

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم

المقدسي البشاري

ابو عبد الله، شمس الدين محمد بن ابي بكر المتوفي عام 380 هـ / 990 م

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم

مقدمات وفصول لا بد منها

اعلم أني أسست هذا الكتاب على قواعد محكمة وأسندته لدعائم قوية وتحريت جهدي الصواب، واستعنت بفهم أولي الألباب، وسألت الله عز اسمه أن يجنبني الخطأ والزلل، ويبلغني الرجاء والأمل. فأعطي قواعده وأرصف بنيانه ما شاهدته وعقلته، وعرفته وعلقته. وعليه رفعت البنيان وعملت الدعائم والأركان ومن قواعده أيضا وأركانه. وما استعنت به على بيانه سؤال ذوي العقول من الناس، ومن لم أعرفهم بالغفلة والالتباس عن الكور والأعمال في الأطراف التي بعدت عنها، ولم يتقدر لي الوصول إليها. فما وقع عليه اتفاقهم أثبتته، وما اختلفوا فيه نبذته. وما لم يكن لي بد من الوصول إليه والوقوف عليه قصدته. وما لم يقر في قلبي ولم يقبله عقلي أسندته إلى الذي ذكره أو قلت زعموا. وشحنته بفصول وجدتها في خزائن الملوك.

وكل من سبقنا إلى هذا العلم لم يسلك الطريق التي قصدتها ولا طلب الفوائد التي أردتها أما أبو عبد الله الجيهاني فإنه كان وزير أمير خراسان وكان صاحب فلسفة ونجوم وهيئة فجمع الغرباء وسألهم عن الممالك ودخلها وكيف المسالك إليها وارتفاع الخنس منها وقيام الظل فيها ليتوصل بذلك إلى فتوح البلدان ويعرف دخلها ويستقيم له علم النجوم ودوران الفلك. ألا ترى كيف جعل العالم سبعة أقاليم وجعل لكل إقليم كوكبا مرة يذكر النجوم والهندسة وكرة يورد ما ليس للعوام فيه فائدة وتارة ينعت أصنام الهند وطورا يصف عجائب السند وحينما يفصل الخراج والرد. ورأيته ذكر منازل مجهولة ومراحل مهجورة ولم يفصل الكور ولا رتب الأجناد ولا وصف المدن ولا استوعب ذكرها بل ذكر الطرق شرقا وغربا وشمالا وجنوبا مع شرح ما فيها من السهول والجبال والأودية والتلال والمشاجر والأنهار وبذاك طال كتابه وغفل عن أكثر طرق الأجناد ووصف المدائن الجياد.

وأما أبو زيد البلخي فإنه قصد بكتابه الأمثلة وصورة الأرض بعد ما قسمها على عشرين جزءا، ثم شرح كل مثال واختصر ولم يذكر الأسباب المفيدة ولا أوضح الأمور النافعة التفصيل والترتيب، وترك كثيرا من أمهات المدن فلم يذكرها وما دوخ البلدان ولا وطئ الأعمال ألا ترى إن صاحب خراسان استدعا إلى حضرته ليستعين به فلما بلغ جيحون كتب إليه إن كنت استدعتني لما بلغك من صائب رأيي فإن رأيي يمنعني من عبور هذا النهر. فلما قرأ كتابه أمره بالخروج إلى بلخ.

وأما ابن الفقيه الهمداني فإنه سلك طريقة أخرى ولم يذكر إلا المدائن العظمى ولم يرتب الكور والأجناد وادخل في كتابه ما لا يليق به من العلوم، مرة يزهد في الدنيا وتارة يرغب فيها ودفعة يبكي وحينما يضحك ويلهي.

وأما الجاحظ وابن خرداذبه فإن كتابيهما مختصران جدا لا يحصل منهما كثير فائدة. فهذا ما وقع إلينا من المصنفات في هذا الباب بعد البحث والطلب وتقليب الخزائن والكتب وقد اجتهدنا في أن لا نذكر شيئا قد سطره، ولا نشرح أمرا قد أوردوه، إلا عند الضرورة لئلا نبخس حقوقهم، ولا نسرق من تصانيفهم. مع أنه لا يعرف فضل كتابنا هذا إلا من نظر في كتبهم أو دوخ البلدان وكان من أهل العلم والفطنة. ثم أني لا أبرئ نفسي من الزلل، ولا كتابي من الخلل. ولا أسلمه من الزيادة والنقصان ولا افلتت من الطعن على كل حال. وبعد فإن شرحنا الأسباب التي شرطناها في الخطبة يتفاوت في الأقاليم ولا يتساوى لانا إنما نذكر ما نعرف وليس هو علم يطرد بالقياس فيتساوى، وإنما يدرك بالمعاينة والخبر فينهي.

وفي كتابنا هذا اختصار لفظ يدل على معان مثل قولنا: لا نظير له نريد أن ليس مثله بت مثل: معتقة بيت المقدس، ونبيده مصر، وليم البصرة، وهذه أشياء لا يرى مثلها وإن كانت أجناسا. فإن قلنا غاية فإنها تعني في الجودة من الأجناس مثل أجاص العمري بشيراز، وتين الدمشقي بالرملة، ومشمش العصلوني والريباس بنيسابور. فإن قلنا جيد فقد يكون أجود منه الطائفي، ونيل أريحا خير منه الزبيدي، وخوخ مكة أسرى منه الدارقي.

وربما أجمعنا القول وتحته شرح مثل قولنا في الأهواز ليس لجامعها حرمة، وذلك أنه أبدا مملوء بخلق من الشطار والسوقه والجهال يتعدون إليه ويجتمعون فيه، ثم لا يخلو قوم جلوس والناس في الفريضة وهو بيت الشحاذين ومركز للفاسقين.

وكتولنا ولا أعز من أهل بيت المقدس لأنك لا ترى بها بخسا ولا تطفيفا ولا شربا ظاهرا ولا سكران ولا بها دور فسق سرا ولا إعلانا مع تعبد وإخلاص. ولقد بلغهم أن الأمير يشرب فتسوروا عليه داره وفرقوا أهل مجلسه.

ومثل قولنا في شيراز لا مقدار لأهل الطبالسة بها وذلك أنه لباس الشريف والوضيع والعالم والجاهل، وكم قد رأيت بها من سكارى قد بعثروا بطيالسهم وسحبوها، وكنت إذا استأذنت على الوزير وأنا مطيلس حجبت إلا إذا عرفت وإذا أتيت بدراسة أذن لي. وربما ذكرنا وانتنا في ذكر بلدة واحدة، فالتذكير مصروف إلى مصر والتأنيث إلى قسبة ومدينة، مع أن أهل الأدب قد أجازوا ذلك فيما ليس له روح.

والبلد يعم المصر والقسبة والرساق والكورة والناحية وإذا وصفنا قسبة في كورتها ذكرناها باسمها، مثل القسطاط ونموجكت واليهودية، وإن ذكرناها في موضع آخر ذكرناها باسمها المعروف عند الناس، فقلنا مصر بخارا اصبهان.

وكلما قلنا المشرق فهي دولة آل سامان. فإن قلنا الشرق أردنا أيضا فارس وكرمان والسند فإن قلنا المغرب فهو - الإقليم. فإن قلنا الغرب تبع ذلك مصر - والشام وقد أودعناه شيئا من الغامض والمعاني ليجل ويقل، وأوردنا فيه الحجج توثقا والحكايات تحققا والسجع تطرفا والأخبار تبركا. وبسطنا أكثره ليقف عليه العوام إذا تأمله، ورتبناه على طرق الفقه ليجل عند العلماء إذا تدبروه. وذكرنا الاختلافات تبحرا والنكت تحرزا، وطولناه بوصف المدن لمعان شتى، وذكرنا الشؤون لفوائد لا تخفى، أوضحنا الطرق لان الحاجة إليها أشد، وصورنا الأقاليم لان المعرفة بها أروج، وفصلنا الكور لان ذلك أصوب. وقد استخرنا الله تعالى قبل جمعه، وسألناه التوفيق والمعونة، بعد ما استشرنا صدور الزمان والأئمة، وحملنا محضره إلى القاضي المختار عالم خراسان وأوفر قضاة الزمان. فكل أشار به وقبله وبعث على إحضاره ومدحه.

وقد ذكرنا ما رأيناه وحكيما ما سمعناه. فما صح عندنا بالمعاينة وأخبار التواتر أرسلنا به القول. وما شككنا فيه أو كان من طريق الأحاد أسدناه إلى الذي منه سمعناه. ولم نذكر في كتابنا إلا صدرا مشهورا أو عالما مذكورا أو سلطانا جليلا إلا عند ضرورة أو خلال حكاية، ولوقارة ذلك ألن نسميه رجلا ونذكر محله لنلا يدخل في جملة الاجلة. واعلم إنني مع هذه الوثائق والشروط لم أظهره حتى بلغت الأربعين، ووطئت جميع الأقاليم وخدمت أهل العلم والدين. واتفق وفاء ذلك بمصر فارس في دولة أمير المؤمنين أبي بكر عبد الكريم الطائع لله، وعلى المغرب أبو منصور نزار العزيز بالله أمير المؤمنين سنة. ولم نذكر إلا مملكة الإسلام حسب ولم نتكلف ممالك الكفار لأنها لم ندخلها ولم نر فائدة في ذكرها، بلى قد ذكرنا مواضع المسلمين منها. وقد قسمناها أربعة عشر إقليما أفردنا أقاليم العجم عن أقاليم العرب. ثم فصلنا كور كل إقليم ونصينا أمصارها وذكرنا قضبانها ورتبنا مدنها وأجنادها بعد ما مثلناها، ورسمنا حدودها وخططها، وحررنا طرقها المعروفة بالحمرة، وجعلنا رمالها الذهبية بالصفرة، وبحارها المالحة بالخضرة، بنهارها المعروفة بالزرقة، وجبالها المشهورة بالغبرة، ليقرب الوصف إلى الإفهام، ويقف عليه الخاص والعام.

والأقاليم العربية: جزيرة العرب ثم العراق ثم أقور ثم الشام ثم مصر ثم المغرب.

وأقاليم العجم أولها المشرق ثم ألد يلم ثم الرحاب ثم الجبال ثم خوزستان ثم فارس ثم كرمان ثم السند. وبين أقاليم العرب بادية، ووسط أقاليم الأعاجم مفازة، لا بد من أفرادهما الاستقصاء في وصفهما لشدة الحاجة إليهما وكثرة الطرق فيهما. وأما البحار والأنهار فقد أفردنا لهما بابا كافيا لشدة الحاجة إليه والأشكال فيه.

ذكر البحار والأنهار

اعلم اننا لم نر في الإسلام إلا بحرين، حسب أحدهما يخرج من نحو مشارق الشتاء بين بلد الصين وبلد السودان فإذا بلغ مملكة الإسلام دار على جزيرة العرب كما مثلناه، وله خلجان كثيرة وشعب عدة، وقد اختلف الناس في وصفه والمصورون في تمثيله، فمنهم من جعله شبه طيلسان يدور ببلد الصين والحبشة وطرف بالقلم وطرف بعبادان. وأبو زيد جعله شبه طير منقاره بالقلم ولم يذكر شعبة ويلة وعنقه بالعراق وذنبيه بين حبشة والصين. ورأيت ممثلا على ورقة في خزنة أمير خراسان وعلى كرباسة عند أبي القاسم ابن الأنماطي بنيسابور، وفي خزنة عضد الدولة والصاحب، وإذا كل مثال يخالف الآخر، وإذا في بعضهن خلجان وشعب لا اعرفها. وأما اننا فسرت فيه نحو ألفي فرسخ، ودرت على الجزيرة كلها من القلم إلى عبادان، سوى ما توهت بنا المراكب إلى جزائره ولججه، وصاحبت مشايخ فيه ولدوا ونشأوا، من ربانيين واشاتمة ورياضيين ووكلاء

وتجار، ورأيتهم من ابصر الناس به وبمراسيه وأرياحه وجزائره. فسألتهم عنه وعن أسبابه وحدوده ورأيت معهم دفاتر في ذلك يتدارسونها ويعولون عليها ويعملون بما فيها. فعلمت من ذلك صدرا صالحا بعد ما ميزت وتدبرت، ثم قابلته بالصور التي ذكرت. وبيننا أنا يوما جالس مع أبي علي بن حازم انظر في البحر ونحن بساحل عدن إذ قال لي: ما لي أراك متفكرا. قلت: أيد الله الشيخ قد حار عقلي في هذا البحر لكثرة الاختلاف فيه، والشيخ اليوم من اعلم الناس به لأنه أمام التجار ومراكبه أبدا تسافر إلى أقاصيه، فإن رأى أن يصفه لي صفة اعتمد عليها وارجع من الشك إليها فعل. فقال: على الخبير بها سقطت، ثم مسح الرمل بكفه ورسم البحر عليه لا طيلسان ولا طير، وجعل له معارج متلينة وشعبا عدة ثم قال هذه صفة هذا البحر لا صورة له غيرها. وأنا أصوره سادجا وأدع الشعب والخلجان إلا شعبة ويلة لشهرتها وشدة الحاجة إلى معرفتها وكثرة الأسفار فيها وأدع ما اختلفوا فيه وارسم ما اتفقوا عليه. وعلى الأحوال كلها لا شك إنه يدور على ثلاثة أرباع جزيرة العرب، وإن له لسانين كما ذكرنا من نحو مصر يفترقان على طرف الحجاز بموضع يسمى فاران. وعظم هذا البحر وامتناعه بين عدن وعمان حتى يصير اتساعه نحو ستمائة فرسخ ثم يصير لسان إلى عبادان. ومواقع الخوف في المملكة جبيلان موضع غرق فرعون وهي لجة القلزم وفيها تسير المراكب العراض لترجع من البر الغامر إلى البر العامر. ثم فاران وهو موضع تهب فيه الرياح من مصر والشام فتتحدان وفيه هلاك المراكب ومن رسمهم أن يبعثوا رجالا يرقبون الريح، فإذا سكنت الرياح أو غلبت التي هم من نحوها ساروا وإلا أقاموا المدة الطويلة إلى وقت الفرج. ثم مرسى الحوراء كثير العرى تغتر فيه المراكب عند دخوله. ومن القلزم إلى الجارعى صعبة من أجلها لا يسرون إلا بالنهار، والربان على الجوار منكب يطلع في البحر فإذا ظهرت عراة صاح يمينا وشمالا وقد رتب صبيان بصرخان بذلك، وصاحب السكان بيده حبلان يجذبهما يمينا وشمالا إذا سمع النداء، وإن غفلوا عن ذلك صدم العرى المركب فأعظبته. ثم عن جزيرة الصلاب مضيق يتقى فيه للمراكب ويؤجل فمن أخذ ذات الشمال كان في سعة البحر. ثم جابر وهو موضع سوء يرى فيه قعر البحر وذلك القصير كثيرا ما يعطب فيه المراكب. وعند دخول كمران خوف وشدة. والمندم مضيق صعب لا يسلك إلا في شباب الريح وقوتها. ثم يتلجج البحر إلى عمان، وترى ما ذكر الله أمواج كالجبال الراسيات، إلا أنه سليم في الذهاب مخوف في الرجعة من العطب والغرق جميعا، ولا بد في كل مركب من مقاتلة ونفاطين. ثم مرسى عمان ردي مهلك. ثم فم السبع مضيق مخوف. ثم الخشب التي تنسب إلى البصرة، وهي الطامة الكبرى، مضيق وبحر رقيق، وقد نصب في البحر جذوع عليها بيوت، ورتب فيها قوم يوقدون بالليل حتى يتباعد عنهم المراكب من رقة تلك المواضع، وسمعت شيئا يقول وقد لحقتنا ثم شدة وضرب المركب الأرض عشر مرات، هذا موضع يسافر فيه أربعون مركبا فيرجع واحد. ولا أحب أن أطول هذا الأصل وإلا ذكرت مراس هذا البحر والطرق .

ولهذا البحر الصيني زيادات في وسط الشهر وأطرافه، وفي كل يوم وليلة مرتين، ومنه جزر البصرة ومدنها إذا زاد دفع دجلة فانقلبت في أفواه الأنهار وسقت الضياع، فإذا نقص جزر الماء، وقد اختلف الناس في سببه، فقال قوم ملك يغمس فيه إصبعه كل يوم فيميد فإذا رفع إصبعه جزر. وقال كعب الأحبار لقي الخضر ملكا. فقال اخبرني عن المد والجزر. فقال الملك أن الحوت ينتفس فيخرجه الماء إلى منخره فذلك الجزر، ثم ينتفس فيخرجه من منخره فذلك المد. وروي لنا فيه وجه آخر اذكره في إقليم العراق. وفيه ضيق وعمق، أخرج راس الجمجمة إلى الديبل. ثم بعده بحر لا يدرك عمقه، وفيه من الجزائر ما لا يحصى كثرة، فيها ملك من العرب يقال أن بها ألفا وسبعمائة جزيرة تملكهن امرأة، وزعم من دخل مملكتها إنها تجلس لرعيها على سرير عريانة وعليها تاج وعلى رأسها أربعة آلاف وصيفة قيما عراة. ثم بحر هر كند وهو قاموس فيه سرنديب تكون ثمانين فرسخا في مثلها فيها جبل آدم الذي اهبط فيه، اسمه الرهن يرى من مسيرة أيام، عليه أثر قدم غرقت نحو سبعين ذراعا والأخرى على مسيرة يوم وليلة في البحر، يرى عليه كل ليلة نور. وثم يوجد الياقوت أجوده ما احدره الريح، وفيه ريحان شبه المسك، وفيها ثلاثة ملوك، وثم شجر كافور، لا يرى أطول من شجرته بيضاء تظل أكثر من مائتي رجل، ينقر أسفلها فينسب عليه الكافور كالصمغ، ثم تبطل الشجرة. تليها جزيرة الكلب فيها معادن الذهب، طعامهم النارجيل، بيض عراة حسان، يتصل بها جزيرة الرمي فيها أشجار البقم، تخرس غرسا، ثمرها يشبه الخرنوب مر وعروقها شفاء من سم ساعة. وجزيرة أسقوطرة كأنها صومعة البحر المظلم، وهي سد البوارج ومنهم تخاف المراكب ولم تزل في هلع حتى جاوزتها. وهو ابرك البحرين واحدهما عاقبة.

والبحر الآخر خروجه من أقصى المغرب بين السوس الأقصى والأندلس، يخرج من المحيط عريضا، ثم ينخرط ثم يعود فيعظم إلى تخوم الشام. وسمعت بعض مشايخ المغرب يفسر هذه الآية " ورب المشركين ورب المغربين " قال: المغربان هذان الوجهان من هذا البحر مغرب الصيف عن يمينه ومغرب الشتاء عن يساره، وسمعت جماعة منهم يذكرون أنه يضيق في حدود طنجة حتى يكون واتفقوا على انه عند معابر الأندلس إذا عابنت هذا البرتريا لك البر الآخر. وذكر ابن الفقيه أن طول بحر الروم الدبورى ألفان وخمسائة فرسخ من انطاكية إلى جزائر السعادة، وعرضه في مكان خمسمائة فرسخ وفي مكان

مائتا فرسخ. فما كان من ناحية القبلة من طرسوس إلى دمياط ثم إلى السوس كلهم مسلمون، وما كان من الجهة الأخرى يعني يسار البحر فنصارى. وفيه ثلاث جزائر عامرة أهلة: اصقلية تقابل المغرب، واقريطش تقابل مصر، وقبرص تقابل الشام. وله خلجان معروفة، وعلى حافته بلدان كثيرة، وثغور جليظة، ورباطات فاضلة، وجهة منه على تخوم الروم إلى حدود الأندلس والغالب عليه الروم وهو مخوف منهم جدا وهم وأهل اصقلية. والأندلس أخبر الناس به وحدوده وخلجانه لأنهم يسافرون فيه ويغزون من هو يليهم، وفيه طرقهم إلى مصر والشام. وقد ركبت معهم المدة الطويلة أبدا أسألهم عنه وعن أسبابه واعرض عليهم ما سمعت فيه فقل ما رأيتهم يختلفون فيه، وهو بحر صعب هائج تسمع له أبدا جلبة خاصة ليالي الجمع. أخبرنا الفقيه أبو الطيب عبد الله بن محمد الجلال بالري. قال: حدثنا أحمد بن محمد بن يزيد الاسترابادي. قال: حدثنا العباس بن محمد. قال: حدثنا أبو سلمة. قال: حدثنا سعيد بن زيد. قال: حدثنا ابن يسار عن عبد الله بن عمرو. قال: أن الله لما خلق بحر الشام أوحى إليه أني خلقتك وأنى حامل فيك عبادا لي يبتغون من فضلي يسبحونني ويقدسونني ويكبرونني ويهللونني فكيف أنت صانع بهم. قال: رب إذا أغرقهم. قال: اذهب فقد لعنتك، وسأقل حليتك وصيدك. وأوحى إلى بحر العراق مثل ذلك. فقال: رب إذا حملهم على ظهري فإذا سبحوك سبحتك معهم وإذا قدسوك قدسك معهم وإذا كبروك كبرتكم معهم. قال: اذهب فقد باركت فيك سأكثر حليتك وصيدك. وهذا دليل على أن ليس إلا بحران.

ولا أدري هذان البحران يقلبان في المحيط أم يخرجان منه وقرأت في بعض الكتب إنهما يخرجان منه وهما إلى القلب فيه أقرب، لأنك إذا خرجت من فرغانة لا تزال تنحدر إلى مصر ثم إلى أقصى المغرب. وأهل العراق يسمون العجم أهل فوق وأهل الغرب أهل أسفل. فهذا يؤيد ما ذهبنا إليه ويدل على إنها أنهار اجتمعت فصبت في المحيط والله أعلم. وجعل أبو زيد البحار ثلاثة، زاد المحيط ولم ندخله نحن في الجملة، لأنه كما يقال مستدير بالعالم كالحلقة لا يعرف له غاية ولا نهاية. وأما الجيهاني فإنه جعلها خمسة، زاد بحر الخزر وخليج القسطنطينية. ونحن اقتصرنا على ما أنبأ الله في كتابه حيث يقول " مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان " والبرزخ من الفرما إلى القلزم مسيرة ثلاثة أيام، فإن قيل إنما أراد الله تعالى بالبحرين العذب والمالح لأنهما لا يختلطان كما قال وهو الذي مرج البحرين - الآية - فالجواب أن اللؤلؤ والمرجان لا يخرجان من الحلو والله يقول منهما ولا خلاف بين أهل العلم أن اللؤلؤ يخرج من الصيني والمرجان من الرومي. فعرفنا أنه إنما أراد هذين البحرين. فإن قيل البحار سبعة لأن الله قال عز وجل: ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر. وزاد المقلوية والخورزمية، فالجواب لم يقل الله تعالى إن البحار سبعة وإنما ذكر بحر العرب، وقال ولو أن سبعة مثله جعلت أيضا مدادا. كما قال: ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه. مع إنه يجب بهذا الدعوى أن تكون ثمانية. وأيضا فإننا نلتزم هذا السؤال وننتصب فيه فنقول أن البحر هو بحر الحجاز والسبعة بحر القلزم وبحر اليمن وبحر عمان وبحر مكران وبحر فارس وبحر هجر، فهذه ثمانية كما نطقت الآية. فإن قيل يلزمك بهذا التأويل أن تكون أكثر من عشرة لأنك تركت بحر الصين وبحر الهند وبحر الزنج. فالجواب من وجهين أحدهما أن الله تعالى خاطب العرب بما يعرفونه ويعاينونه ليؤكد عليهم الحجة، وما كانت أسفارهم إلا في هذه البحار. ألا ترى أن هذا البحر بهذه الأسماء يدور على ديار العرب من القلزم إلى عبادان. والوجه الآخر لا ننكر أن يكون البحار كثيرة وذكر الله تعالى منها في هذه الآية ثمانية. فإن قيل هذا يرجع عليك ويلزمك أن البحار تجوز أن تكون سبعة، وإنما ذكر الله منها في تلك الآية بحرين. فالجواب هذا لا يشبه ذلك. لأن الله تعالى قال في تلك: مرج البحرين يلتقيان. فأشار إلى بحرين معهودين، والألف واللام إذا لم يكونا للجنس فإنما هما للتعريف. وقال في هذه يمده من بعده سبعة أبحر، ولم يدخل فيه حرف التعريف. فيجوز أن يكون أراد به سبعة من جماعة. كما قال: سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما وأيام الله كثيرة. وقال في آية أخرى: وعلى الثلثة الذين خلفوا فلا يجوز بأن يقال أنهم كانوا أكثر. فإن قيل لما وقع الاختلاف في تفسير هذه الآية ورأينا بحر الصين لا يلقى الرومي سقط الاحتجاج بها وسلمت لنا الآية الأخرى، فوجب أن تكون البحار سبعة. فالجواب قد ارتفع الاختلاف بقوله: يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان. وأما الالتقاء فحدثني جماعة من مشايخ مصر أن النيل كان يفيض في بحر الصين إلى قريب. فإن قيل تأويلك يوجب التناقض لأن فيه إنهما يلتقيان وإن بينهما على ما ذكرت ثلاثة أيام، وحاشى كتاب الله من التناقض. وما تأولناه مستقيم لأن التقاءهما جريان الحلو فوق المالح والبرزخ المنع من اختلاطهما. فالجواب تأويلنا أيضا مستقيم لأن أعطينا كل معنى حقه فقلنا الالتقاء ما ذكرناه من صب النيل في الصيني وطرف النيل اليوم يفيض في الرومي فبالنيل التقيا. ويقال أن أم موسى إنما طرحت تابوته في بحر القلزم فخرج في النيل إلى مصر، مع أن الالتقاء غير الاجتماع لأن الملتقيين يكون بينهما فصل ومسافة، وما ذهبوا إليه يسمى اختلاطا لا التقاء. فإن قيل لم جعلت بحار الأعاجم من السبعة بعد ما قلت أن الله خاطبهم بما يعرفونه. فالجواب فيه من وجهين أحدهما أن العرب قد كانت تسافر إلى فارس ألا ترى أن عمر بن الخطاب رضه قال: إنني تعلمت العدل من كسرى، وذكر خشيته وسيرته والآخر أن من سار إلى هجر وعبادان لا بد له من بحر فارس وكمران وتيز مكران، أولا ترى إلى كثير من الناس يسمونه إلى حدود اليمن بحر فارس، وإن أكثر صنائع المراكب وملاحيتها فرس، وهو من عمان إلى عبادان قليل العرض لا يجهل المسافر فيه جهته. فإن قيل فهلا قلت هذا في بحر

القلزم إلى موضع الأتساع. فالجواب قد قلنا أن من القلزم إلى عذاب وما وراءها مفاوز خالية لم يسمع أن هذا البحر ينسب إلى شيء منها مع أنا قد انفصلنا عن هذا في بعض الجوابات. فإن قيل كيف يجوز أن تجعل بحرا واحدا ثمانية أبحر. فالجواب أن هذا مشهور عند كل من ركب البحر، ألا ترى كيف سمى الله بحر الروم بحرين، حيث يقول: " وإذ قال موسى لفتهاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا فلما بلغا مجمع بينهما " . وكان هذا كله بسواحل الشام وأعلام ذلك ظاهرة وصخره موسى ثم بيته. فإن قيل فلم لا قلت أن معنى قوله مرج البحرين هو بحر واحد أيضا. فالجواب هذا لا يجوز لأن الله تعالى قال: " بينهما برزخ " والبرزخ حاجز. مع أنا نقول لهذا المخالف إن كان الأمر على ما تزعم فأرنا ثمانية بحار في الإسلام. فإن ذكر المحيط قيل له ذلك على تخوم العالم بغير نهاية تعرف، وإن ذكر القسطنطيني قيل ذلك خليج من الرومي يخرج خلف اصفلية ألا ترى انهم ابدأ يغزون فيه، فإن ذكر الخزري قيل له تلك بحيرة ألا ترى أن اكثر الناس يسمونها بحيرة طبرستان، أولم تر إلى قرب أطرافها، فإن قال المقلوبة والخوارزمية قيل له من جعل هاتين من هذه الجملة لزمه أن يجعل بحيرات الرحاب وفارس وتركستان فيجاوز العشرين. فإن انصف رجع إلى قولنا والله أعلم. المراكب وملاحيتها فرس، وهو من عمان إلى عبادان قليل العرض لا يجهل المسافر فيه جهته. فإن قيل فهلا قلت هذا في بحر القلزم إلى موضع الأتساع. فالجواب قد قلنا أن من القلزم إلى عذاب وما وراءها مفاوز خالية لم يسمع أن هذا البحر ينسب إلى شيء منها مع أنا قد انفصلنا عن هذا في بعض الجوابات. فإن قيل كيف يجوز أن تجعل بحرا واحدا ثمانية أبحر. فالجواب أن هذا مشهور عند كل من ركب البحر، ألا ترى كيف سمى الله بحر الروم بحرين، حيث يقول: " وإذ قال موسى لفتهاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا فلما بلغا مجمع بينهما " . وكان هذا كله بسواحل الشام وأعلام ذلك ظاهرة وصخره موسى ثم بيته. فإن قيل فلم لا قلت أن معنى قوله مرج البحرين هو بحر واحد أيضا. فالجواب هذا لا يجوز لأن الله تعالى قال: " بينهما برزخ " والبرزخ حاجز. مع أنا نقول لهذا المخالف إن كان الأمر على ما تزعم فأرنا ثمانية بحار في الإسلام. فإن ذكر المحيط قيل له ذلك على تخوم العالم بغير نهاية تعرف، وإن ذكر القسطنطيني قيل ذلك خليج من الرومي يخرج خلف اصفلية ألا ترى انهم ابدأ يغزون فيه، فإن ذكر الخزري قيل له تلك بحيرة ألا ترى أن اكثر الناس يسمونها بحيرة طبرستان، أولم تر إلى قرب أطرافها، فإن قال المقلوبة والخوارزمية قيل له من جعل هاتين من هذه الجملة لزمه أن يجعل بحيرات الرحاب وفارس وتركستان فيجاوز العشرين. فإن انصف رجع إلى قولنا والله أعلم.

وأما الأنهار الفائضة في المملكة، فالمشهور منها فيما رأيت وميزت اثنا عشر.

دجلة والفرات والنيل وجيحون ونهر الشاش وسيحان وجيحان وبردان ومهران ونهر الرس ونهر الملك ونهر الاهواز، يجري فيها السفن. ودونها خمسة عشر أخرى: نهر المروين ونهر هراة ونهر سجستان ونهر بلخ ونهر الصغد وطيفوري وزندرد ونهر العباس وبردی ونهر الاردن والمقلوب ونهر انطاكية ونهر ارجان ونهر شيرين ونهر سمندر. ثم ما بعدهن صغار، نذكر بعضهن في الأقاليم مثل نهر طاب والنهروان والزاب ونظائرهن.

فأما دجلة فإنها عين تخرج من تحت رباط ذي القرنين عند باب الظلمات بإقليم أقور فوق الموصل، ثم يلقاها عدة انهار منها الزاب إلى أن يلقاها الفرات وشعب النهروان ببغداد.

وأما الفرات فإنه يخرج من بلد الروم ثم يتقوس على إقليم اقور، ويتشعب إليه الخابور، ثم يدخل العراق ويتبطح خلف الكوفة ويلقى دجلة منه أربع شعب.

وأما النيل فمخرجه من بلد النوبة ثم يشق إقليم مصر فيتشعب خلف الفسطاط، فنهر يفيض بالإسكندرية ونهر بدمياط. وذكر الجيهاني انه يخرج من جبل القمر ثم ينصب في بحيرتين خلف خط الاستواء وبطيف بأرض النوبة. وقال غيره لا يعرف له أول ولا يدري أحد من أين يقبل. وحدثنا أبو الحسن الخليل بن الحسن السرخسي بنيسابور. قال: حدثنا أبو الحسن علي بن محمد القنطري. قال: حدثنا المأمون بن احمد السلمي. قال: حدثنا محمد بن خلف. قال: اخبرنا أبو صالح كاتب الليث بن سعد عن الليث. قال: ذكروا والله اعلم إنه كان رجل من بني العيص يقال له حانذ بن أبي شالوم بن العيص وإنه خرج هاربا من ملك من ملوكهم حتى دخل ارض مصر فأقام بها سنين، فلما رأى عجائب نيلها وما يأتي به جعل الله على نفسه أن لا يفارق ساحلها حتى يبلغ منتهاه من حيث يخرج أو يموت قبل ذلك فسار حتى انتهى إلى بحر اخضر فنظر إلى النيل يشق البحر قال المقدسي هذا البحر هو المحيط. قال: فصعد على البحر فإذا هو برجل قائم يصلّي تحت شجرة تفاح فلما رآه استأنس إليه وسلم عليه. فسأله من أنت. قال: حانذ بن أبي شالوم بن العيص بن إسحاق صلعم. فمن أنت. قال: أنا عمران بن العيص بن إسحاق عم. قال: فما الذي جاء بك يا عمران. قال: جاء بي الذي جاء بك حتى انتهيت إلى هذا الموضع فأوحى الله تعالى إلى أن قف

في هذا الموضوع حتى يأتيك أمري. قال: فقال له يا عمران اخبرني عن النيل. فقال: لست بمخبرك دون أن تفعل ما أسألك. قال: وما ذلك. قال: إذا رجعت إلي وأنا حي أقمت عندي حتى يوحى الله إلي بأمر أو يتوفاني فتدفني. قال: ذلك لك. قال: له سر كما أنت على هذا البحر فإنك ستأتي دابة مقاربة للشمس إذا طلعت اهوت إليها لتبتلعها فلا يهولك أمرها فاركبها فإنها تذهب بك إلى جانب البحر، فسر عليه راجعا حتى تنتهي إلى النيل، فسر عليه فإنك ستبلغ أرضا من حديد جبالها وشجرها وسهولها من أرض ذهب، إلى أن تنتهي وإذا بقبة من ذهب فيها ينتهي إليك علم النيل. فسار حتى بلغ القبة فإذا ماء ينحدر من السور إلى القبة ثم يفترق في الأبواب الأربعة. فأما ثلاثة فتغيض في الأرض وأما واحد فيشق على وجه الأرض وهو النيل. فشرب منه واستراح أهوى إلى السور ليصعد فاتاه ملك، فقال له: يا حائذ قف مكانك فقد انتهى إليك علم النيل، وهذه الجنة وذكر الحديث بطوله.

وأما جيحون فإن ابتداءه من بلاد وخان يمد إلى الختل ثم يتسع ويعظم ويقع إليه ستة انهار: نهر هلبك ثم نهر بربان ثم نهر فارغ ثم نهر انديجاراغ ثم نهر وخشاب وهو اعقهن ثم يلقاه نهر القواديان ثم انهار الصغانيان كل ذلك من جانب هيطل ينحدر متبحرا إلى خوارزم فيقير في بحيرة مرة وقد سقى عدة من المدن مع مدن خوارزم كلها شرقا وغربا.

وأما نهر الشاش فإنه يخرج عن يمين بلد الترك ويمد إلى بحيرة خوارزم أيضا وهو يقارب جيحون في العظم إلا أنه شبه الميت.

وأما سيحان وجيحان وبردان فأنهن. انهار طرسوس وأذنة والمصيصة، يخرجن من بلد الروم ثم يفيضن في البحر. وكذلك سائر انهار الشام إلا نهر بردى والأردن فإنهما يفيضان في البحيرة المقلوية. وبردى يتفجر من جبال فوق دمشق، ويشق القصبية ويسعي الكورة ثم ينقسم فضلته فبعض يتبحر في أقصى الكورة وبعض ينحدر إلى الأردن.

وأما نهر مهران فإنه يخرج من الهند ثم يفيض في بحر الصين بعد ما يلقاه عدة انهار في الأقاليم وطعم مائه ولونه وزيادته وكون التماسيح فيه كالنيل.

وأما نهر الرس والملك والكر فأنهن يخرجن من بلاد الروم فيسقين إقليم الرحاب ثم يفيضن في بحيرة الخزر.

وأما انهار الاهواز فإنها عدة انهار تنحدر على الإقليم من الجبال ثم تجتمع بحصن مهدي وتفيض في بحر الصين عند عبادان. ووجدت في كتاب بالبصرة أربعة انهار من الجنة في الدنيا: النيل وجيحون والفرات والرس. وأربعة من انهار النار: الزبداني والكر وسنجة والسم.

وأما نهر المروين وهراة وسجستان وبلخ فإنها تخرج من أربعة جوانب بلد الغور ثم تنحدر إلى هذه العرر فتسقيها.

وأما طيفوري فإنه ينحدر من جبال جرجان فيسقى الكورة. ونهر الري يخرج من فوق البلد من شبه فوارة ثم ينشعب وينحدر على البلد. وزندرود ينحدر من جبال اصفهان ثم يدخل اليهودية ويسقي الكورة.

وأما انهار فارس فإنها تفيض في خمس بحيرات في الإقليم ونهرطاب يقبل من البرج قبل سميرم ثم يمد على تخوم فارس ثم يفيض في بحر الصين عند سينيزونهر ارجان يتفجر من جبال فارس ويقع فيه ماء مالح تحت العقبة ويسقي الكورة بالقسمة.

ذكر الأسماء واختلافها

اعلم أن في الإسلام بلدانا وكورا وقرى تتفق أسماءها، وتتنابن مواضعها، ويشكل على الناس أمرها، والمنسوبون إليها. فرأينا أن نقدم هذا الباب ونفرده لها، ونذكر أيضا الأسماء التي يختلف فيها أهل الأقاليم، فإن ذلك يفيد من دخلها لا محالة.

السوس كورة بأقصى المغرب ومدينة بأوله، وأخرى بهيطل، وكورة بخوزستان. وبالمغرب سوسة أيضا. اطرابلس مدينة على ساحل دمشق، وأخرى على ساحل برقة. بيروت مدينة بدمشق، ومدينة بخوزستان. عسقلان مدينة على ساحل فلسطين، ومنبر

ببلخ. رمادة مدينة بالمغرب، وقرية ببلخ، وأخرى بنيسابور، وأخرى بالرملة. طبران مدينة على تخوم قومس، ورستاق سرخس. وطبران قصبه طوس. وطبرستان كورة. وطبرية قصبه الاردن. وطوران كورة بالسند. وطبرك موضع بالري. قوهستان كورة بخراسان، ومدينة بكرمان. طبس التمر وطبس العناب مدينتان بقوهستان. دهستان مدينة بكرمان، وناحية بجرجان، وناحية ببادغيس. نسا مدينة بخراسان، وأخرى بفارس، وأخرى بكرمان. البيضاء نسا فارس، وكورة بالمغرب، ومدينة بالخزر. البصرة بالعراق، ومدينة بالمغرب. الحيرة مدينة كانت بالكوفة، وقرية بفارس، ومنزل بسجستان، ومحلة بنيسابور. الجور مدينة بفارس، والجور محلة بنيسابور. حلوان كورة بالعراق، ومدينة بمصر، وقرية بنيسابور، وأخرى بقوهستان. كرخ مدينة بسامرا، ومحلة ببغداد، ومنبر بالرحاب، وقرية ببغداد. وكرخة مدينة بخوزستان. كروخ مدينة بهراة. الشاش كورة بهبطل، وقرية بالري. استراباذ مدينة بجرجان، وقرية بنسا خراسان. كرج ناحية ومدينة لهمدان، وقرية بالري. دستجرد مدينة بالصغانيان، وقرى بالري ونيسابور، ودستجرد مدينة بكرمان. مغون مدينة بقومس، وأخرى بكرمان. باسند مدينة بالصغانيان، وأخرى بالسند. اوه مدينتان بالجمال. الاهواز مصر خوزستان، وقرية بالري. الرقة بأثور، ومدينة بقوهستان. خوار مدينة بالري، وأخرى على تخوم قومس، وخور بببلخ، وخور بقوهستان. نوقان مدينة بطوس، وقرية بنيسابور. وموقان مدينة بالرحاب. ومنوقان مدينة بكرمان. الكوفة بالعراق، وكوفا مدينة ببادغيس. وكوفن رباط ابوررد. خاتقين مدينة بحلوان العراق، والخانقين بالكوفة، وخانوقه بأثور، والخانقة متعبد الكراميين بإيليا. الحديثة مدينة على دجلة، وأخرى على أفرات باقور، والحدث مدينة بقتسرين، والمحدثه منزل بيرية تيماء. النيك والعونيد مدينتان بالحجاز، ومنزلان بيرية تيماء. الزرقاء قرية في طريق الري، وموضع في طريق دمشق. عكا مدينة على ساحل الاردن، وعك قبيلة باليمن. اليهودية قصبه اصفهان، وقصبه جوزجان. الانبار مدينة لبغداد، وانبار مدينة بجوزجان. اصفهان كورة وقرية اصفهانك في طريقها، والاصبهانات مدينة بفارس. مدينة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ومدينة الري، ومدينة اصفهان، ومدينة السلام، والمدائن بالعراق. كوتا ربا وكوتا الطريق مدينة وقرية بالعراق. الدسكرة بخوزستان، ودسكرة العراق. باراب رستاق باسبيجاب، وفارياب بجوزجان. الطالقان مدينة بالديلم، وطالقان جوزجان. ابشين حضرة الشار ومدينة بغزنيين. هراة خراسان ومدينة لاصطخر. بغلان العليا والسفلى مدينتان بطخارستان. اسداواذ مدينة بالجمال، وقرية بنيسابور. بيار شبه مدينة بقومس، وقرية بنسا خراسان. ووزار رستاق لسمرقند. جرجان كورة بالديلم. والجرجانية مدينة بخوارزم. بلخ وبلخان مدينة خلف ابوررد. قزوين مدينة للري وقزوينك قرية بالدنيور. فلسطين بالشام، وقرية بالعراق. الرملة قصبه فلسطين، وقرية بالعراق، وقرى الرمل مدينة بخوزستان. فربز مدينة على جيحون وفره مدينة لسجستان وافراوه رباط نسا. امل مدينة على جيحون وقصبه طبرستان واتل قصبه الخزر. بكراباذ شبه مدينة بجرجان، ومنزل بسجستان. النيل نهر مصر ومدينة بالعراق. جبلة مدينة لحمص، وجبيل على ساحل دمشق. قبا مدينة بفرغانة، وقرية بيثرب، ومنزل بالبادية. قومس كورة بالديلم وقومسة قرية باصبهان. الشامات نواحي الشام، ومدينة بكرمان، وربع من سواد نيسابور. جرش مدينة باليمن، وجبل جرش بالاردن. سنجان مدينة بالرحاب، وأخرى بمرو، وقرية بنيسابور، وسنجان مدينة بأثور وزنجان مدينة للري. مرو الشاهجان ومرو الروذ. سقيا يزيد مدينة ومنزل بالحجاز سقيا بني غفار. حضرموت مدينة بالاحقاف، ومحلة بالموصل. الرصافة ربع بغداد وقرية بارجان. نينوى القديمة والحديثة بالموصل. عسكر ابي جعفر بجانب بغداد الشرقي، وقرية بالبصرة، وعسكر مكرم كورة بخوزستان، وعسكر بنجهير ناحية ببلخ، والعسكر محلة بالرملة، وأخرى بنيسابور، وقرية ببخارا. الدورق كورة ومدينة وقرية بخوزستان. الزبيدية منزل بالجمال، وآخر بالبطائح وماء بالبادية والزبداني مدينة بدمشق. الحدادة قرية بقومس، والحدادية قرية بالبطائح. نيسابور وسابور وجندی سابور ثلاث كور بناهن سابور وبنى بارجان مدينة بلا سابور وباصطخر ارسابور. كرمان إقليم، وكرمان شاهان مدينة بالجمال، وكرمينية مدينة ببخارا، وبيتكرا قرية بإيليا. عمان كورة بالجزيرة، وعمان مدينة بفلسطين. الزاب ناحية بالمغرب، ونهر بأقور. اسكاف العليا والسفلى ببغداد. جيلان بالديلم التي تسميها العامة كيلان، والحيل مدينة بالعراق. جزيرة العرب إقليم، وجزيرة ابن عمر بأقور، وجزيرة بني زغانية، وجزيرة أبي شريك بافريقية، والجزيرة مدينة بالفسطاط، وجزيرة بني حدان ببحر القلزم. قلعة الصراط، وقلعة القوارب، وقلعة برجمة، وقلعة النسور، وقلعة شميت، وقلعة ابن الهرب، وقلعة ابي ثور، وقلعة البلوط بالمغرب، والقلعة بالرحاب، كلهن مدن. حصن مهدي مدينة بالأهواز، وحصن السودان، وحصن البرار، وحصن ابن صالح، مدن بسجلماسة، حصن بلكونة مدينة بالأندلس، حصن الخوابي بالشام، حصن منصور بالثغور. قصر ابن هبيرة، وقصر الجص بالعراق، وقصر الفلوس مدينة بتاهرت، قصر الافريقي، ومدينة القصور بافريقية، قصر الريح منزل بنيسابور، قصر اللصوص منزل بالجمال. تاهرت العليا كورة والسفلى مدينة بالمغرب. سوق ابن خلف بافريقية، سوق ابن حيلة، سوق كرى، سوق ابن مبلول، سوق ابراهيم، مدن بتاهرت، اسواق على أيام الجمعة بخوزستان، مدن طخارستان تسمى اسواقا. الاحساء كورة ومنزل بالحجاز. القادسية مدينة بالكوفة، ومنزل بسامرا. غزة بفلسطين، الغزة بتاهرت. بطحاء مكة والبطحات مدينة بتاهرت. هران قرية باصفهان، وهران مدينة بتاهرت. تبريز بالرحاب وتبرين بتاهرت. تاويلت ابي مغول، وأخرى مدينتان بتاهرت. عين المغطا باصقلية، وعين زربة بالثغور، وراس العين بأثور، مدن وقرى، وينبع بالحجاز وعينونا مدينة لويلة، بيت عينون قرية بإيليا. صبرة مدينة بافريقية، وأخرى ببرقة. مرسى الخرز،

ومرسى الحجامين، ومرسى الحجر، ومرسى الدجاج، مدن بالمغرب. خراة قرية بفارس، ومدينة بتاهرت. كول مدائن بافريقية، والمشرق، وفارس. جويم ابي احمد مدينة، وقرية جويم بفارس. قسنطينية وقسنطينية وقسطيلية مدن بالمغرب، والقسطل قرية على تخوم الشام. معرة النعمان، ومعرة قنسرين، مدينتان بالشام. اللجون مدينتان بالشام. ثغر طرسوس وعلى ساحل الشام انطرسوس. دار البلاط بمصر الروم، وبلاط مروان مدينة بالأندلس، وتسمى ايليا البلاط. وادي القرى بالحجاز، وادي الرمان بالأندلس مع وادي الحجارة. بانياس مدينة، وباناس نهر بدمشق، ببسان مدينة بالاردن. الرها مدينة بأثور، وادي الرها مدينة بافريقية. ومن المدن ما لها أكثر من اسم نحو مكة وبكة، المدينة يثرب طيبة طابة جابرة مسكينة مخبورة يندر الدار دار الهجرة، بيت المقدس ايليا القدس البلاط، عمان صحار مزون، عدن سمران، الصرة الحيس، البحرين هجر. جور فيروزا ياذ، نسا البيضاء. وثلاث قصبات تسمى شهرستان جرجان سابور كاث، وقصبات تسمى باسماء كورها ولهن اسماء غيرها مثل بخارا ونيسابور ومصر.

وأما الأشياء التي يختلف فيها أهل الأقاليم فهي مثل لحام جزار قصاب، كرسف عطب قطن، قطان حلاج، البزازين الكرابيسيين الرهاندنة، جبان طباخ يقال فامي تاجر، ميزاب مرزاب مزاب مثعب، باقلى فول، قدر برمة، موقدة اثافي، زنبيل مكمل قفة، سفلى مركز إجانة تغار، قنطار بهار، من رطل، حبة طسوج، خادم قيم مفرك بلان، شمشك صندل، حصن قلعة قهندز كلات، صاحب ربع مصلحة مسلحة صاحب الطريق، عشار مكاس مرصدي، مخاصم خصيم، حاكم قاض، وكيل جري، شيرج سليط، زجاج قواريري، صفع صك، بقعة موضع، قطة سنور دمة هرة، معلم خادم استاذ شيخ خصي، دباغ صرام أدمي سختياني جلودي، فاعل روزكاري، قرياتي رستاقى سوادي، زراع فلاح حراث، فندق خان تيم دار التجار، مرزبة اكلة، حبل قلس، وتد كنورا، هدهنا كركرها، لص مشوشا، جنحت ولجت، انقض زور، قف هلى، هيارا جماعة، لكيشا كثير، زنونق دولاب حنائة، دالية كرمة، مسحاة مجرفة، معول فاس، صاعدا زقافا، منحدر شبالا، طاروس شرتة، سكان رجل، ربان راس، ملاح نوتي، ساحل شط، رقعة بطاقة، روحة نفسه، سفينة جاسوس زورق رقية تلوى عرداس طيار زبب كاروانية مثلثة واسطية ملفوطة شنكولية براكية خيطية شموط مسحية جبلية مكية زبرباذية بركة سوقية معبرولوجية طيرة برعاني شيوخ مركب شذا برمة قارب دونيج حمامة شيني شلندي بيرجه. ونحو هذا كثير، وان استوعبناه طال الكتاب.

وسنتكلم في كل إقليم بلسانهم وناظر على طريقتهم، ونضرب من امثالهم. لتعرف لغتهم ورسوم فقهاءهم. فإن كنا في غير الأقاليم مثل هذه الأبواب تكلمنا بلغة الشام، لأنها اقلية الذي به نشأت وناظرت على طريقة القاضي أبي الحسين القزويني، لأنه أول إمام عليه درست. ألا ترى إلى بلاغتنا في إقليم المشرق لأنهم اصح الناس عربية لأنهم تكلفوها تكلفا، وتعلموها تلقا. ثم إلى ركافة كلامنا في مصر والمغرب، وقبحه في ناحية البطائح، لأنه لسان القوم. لأن قصدنا في هذا الاصل الانتهاء والتعريف، لا المبارزة والتشفيق، وأعلم أنا قد أجرينا مسائله على التعارف والاستحسان، كما أجرى الفقهاء كتابي المكاتب والايامن. ورتبناه على مذاهب أهل العراق لأنني فيها تفقعت، وإياها اخترت. واستعملت القياس في مواضع تحسن وتليق، وبالله التوفيق.

ذكر الخصائص في الأقاليم

أظرف الأقاليم العراق وهو أخف على القلب وأحد للذهن، وبها تكون النفس أطيب والخاطر أدق إذا كانت كفاية. واجلها وأوسعها فواكه وأكثرها علما وأجلة وأبردا المشرق. وأكثرها صوفا وقزا ودخلا على قدره الديلم. وأجودها ألبانا وأعسالا وألذها إخبازا وأمكنها زعفرانا الجبال. وأكثرها ثمارا وأرخصها أسعارا ولحوما وأثقلها قوما الرحاب. وأسفلها قوما وأشهرهم أصلا وفصلا خوزستان. وأحلاها تمورا وأوطأها قوما كرمان. وأكثرها فانيذا وأرزازا ومسكا وكفار السند. وأكيسها قوما وتجارا وأكثرها فسقا فارس. وأشدها حرا وقحطا ونخيلا جزيرة العرب. وأكثرها بركات وصالحين وزهادا ومشاهد الشام. وأكثرها عبادا وقراء وأموالا ومتجرا وخصائص وحبوبا مصر. وأخوفها سبلا وأجودها خيلا وأوسطها قوما أقور. وأجفاها وأثقلها وأغشها قوما وأكثرها مدنا وأوسعها أرضا المغرب.

وقال عبد الرحمان بن أخي الأصمعي دخلت على الجاحظ، فقلت افدني في البلدان فائدة، قال نعم الأمصار عشرة: المروة ببغداد، والفصاحة بالكوفة، والصنعة بالبصرة، والتجارة بمصر، والغدر بالري، والجفاء بنيسابور، والبخل بمرو، والصلف ببليخ، والحرفة بسمرقند. وقد صدق لعمرى ألا أن بنيسابور أيضا صناعا حدافا، وبالبحرة تجارات، وبمكة فصاحة، وبمرو دهاة، وصنعاء طيبة الهواء، وبيت المقدس حسنة البناء، وصغر وجرجان موضع الوباء، ودمشق كثيرة الأنهار، وصغد ممتدة الاشجار، والرملة لذيدة الثمار، وطبرستان دائمة الامطار، وفرغانة رخيصة الاسعار، والمروة والجحفة معدن الدعار، والرقة

موضع الاخطار، وهمذان وتنيس مركز الاحرار، والشام إقليم الاخبار، وسمرقند فرضة التجار، ونيسابور بلدة الكبار، والفسطاط أهل الأمصار، وطوب لأهل الغرج بعدل الشار، ولأصفهان الهواء والحلل والفخار، ورسوم شيراز على الإسلام عار، وعدن دهليز الصين مع صحار، وبالصغانيان الكلاً والثمار والاطيار، وبخارا جليلة لولا الماء وحريق النار، وبلخ خزانة الفقه مع الرحب واليسار، وأيليا تصلح لأهل الدين والدار، وأهل بغداد قليلو الإعمار، وصنعاء ونيسابور بالصد.

وليس أكثر ولا أردل من مذكري نيسابور، ولا اطمع من أهل مكة، ولا أفقر من أهل يثرب، ولا أعف من أهل بيت المقدس، ولا أدب من أهل هراة وبيار، ولا أذهن من أهل الري، ولا أنقب من أهل سجستان، ولا أبخس من أهل عمان، ولا أجهل من أهل عمان، ولا أصح موازين من أهل الكوفة وعسكر مكرم، ولا أحسن من أهل حمص وبخارا، ولا أقيح من أهل خوارزم، ولا أحسن لحى من الديلم، ولا أشرب للخمور من أهل بعلبك ومصر، ولا أفسق من أهل سيراف، ولا أعمى من أهل سجستان ودمشق، ولا أشغب من أهل سمرقند والشاش، ولا أوطأ من أهل مصر، ولا أبله من أهل البحرين، ولا أحمق من أهل حمص، ولا أليق من أهل فسا ونابلس ثم الري بعد بغداد، ولا أحسن لسانا من أهل بغداد، ولا أوحش من لسان صيدا وهراة، ولا أصح من اللسان خراسان، ولا أحسن عجمية من أهل بلخ والشاش، ولا أعطف من أهل البطائح، ولا أسلم صدورا. من أهل هيطل، ولا أخير قوما من أهل غرج الشار.

فإن سأل سائل أي البلدان أطيب نظر؟ فإن كان ممن يطلب الدارين قيل له بيت المقدس، وإن كان مخلصا أمنا من الطمع قيل مكة، وإن كان ممن يطلب النعمة والحياسة والرخص والفواكه قيل له كل بلد أجزاءك، وإلا فعليك بخمسة أمصار: دمشق والبصرة والري وبخارا وبلخ. أو بخمس مدائن: قيسارية وبياعينا وخجدة والدينور ونوقان. أو بخمس نواح: الصغد والصغانيان ونهاوند وجزيرة ابن عمر وسابور. فاختر ما شئت منها فإنها منازة الإسلام. وأما الاندلس فيقال أنها جنات. ومستفاض جنات الدنيا أربع: غوطة دمشق ونهر الابلية وروضة الصغد وشعب بوان. ومن أراد التجارة فعليه بعدن أو عمان أو مصر. وكلما نذكر من عيوب أهل البلدان فأهل العلم والادب عنه بمعزل، خاصة الفقهاء، لأنى رأيت الفضل فيهم.

واعلم أن كل بلد فيه صاد فأهله حمق إلا البصرة. فإن اجتمعت صادان مثل المصيصة وصرصر فنعوذ بالله. وكل بلد نسبت صاحبه إليه فليقت الزاي الياء فهو داه، مثل رازي مروزي سجزى. وكل بلد آخر أن فله خاصية أو طيبة، مثل جرجان موقان ارجان. وكل بلد شديد البرد فأهله أسمن وأضخم وأحسن وأكبر لحى، مثل فرغانة وخوارزم وارمينية. وكل بلد على بحر أو نهر فالزنا واللواطه فيه كثير، مثل سيراف وبخارا وعدن. وكل بلد يحيط به أنهار فأن في أهله شغبا وخروجاء، مثل دمشق وسمرقند والصليق. وكل بلد رحب رخي فإن المعاش به ضيقة إلا بلخ. واعلم أن بغداد كانت جليلة في القديم وقد تداعت الآن إلى الخراب، واختلت وذهب بهاؤها، ولم أستطعها ولا أعجبت بها، وإن مدحناها فللتعارف. وفسطاط مصر اليوم كبغداد في القديم ولا أعلم في الإسلام بلدا أجل منه. وأما إقليم المشرق فقد فشا فيه الجور وفسد، وهو خير من غيره. وأقاليم الأعاجم فلا تطيب لأهل أسفل. ولو كان للرملة ماء جار لما استثنينا أنها أطيب بلد في الإسلام، لأنها ظريفة خفيفة، بين قدس وتغور وغور وبحور، معتدلة الهواء لذينة الثمار سرية الأهل، غير أن فيهم جهلا خزانة مصر ومطرح البحرين رحية.

ذكر المذاهب والنمة

اعلم أن المذاهب المستعملة اليوم في الإسلام التي لها خاص وعم ودعاة وجمع، ثمانية وعشرون مذهبا. أربعة قي الفقه، وأربعة في الكلام، وأربعة في الحكم فيهما، وأربعة مندرسة، وأربعة في الحديث، وأربعة غلب عليها أربعة، وأربعة رستاقية. فأما الفقهيات: فالحنفية والمالكية والشفعية والداودية. وأما الكلاميات: فالمعتزلة والنجارية والكلابية والسالمية. وأما الذين لهم فقه وكلام: فالشيعية والخوارج والكرامية والباطنية. وأما أصحاب الحديث: فالحنبلية والراهوية والاوزاعية والمنذرية. وأما المندرسية: فالعطائية والثورية والاباضية والطاقية. وأما التي في الرساتيق: فالزعفرانية والخرمينية والابيضية والسرخسية. وأما التي غلب عليها أربعة من شكلها: فالاشعرية على الكلابية، والباطنية على القرظية، والمعتزلة على القدرية، والشيعية على الزيدية، والجهمية على النجارية. فهذه جمل المذاهب المستعملة اليوم ثم تنشعب إلى فرق لا تحصى.

ولما ذكرنا القاب وأسماء تتكرر ولا تزيد على ما ذكرنا، يعرف ذلك العلماء، وهن أربعة ملقبة، وأربعة ممتدحة، وأربعة منكورة، وأربعة نختلف فيها، وأربعة لقب بها أهل الحديث، وأربعة معناهن واحد، وأربعة يميزهن النحارير. فأما الملقبة فالروافض والمجبرة والمرجئة والشكاك. وأما الممتدحة فأهل السنة والجماعة وأهل العدل والتوحيد والمؤمنون وأصحاب الهدى. وأما المنكورة فالكلابية ينكرون الجبر والحنبلية ينكرون النصب ومنكرو الصفات ينكرون التشبيه ومثبتوها ينكرون

التعطيل. وأما المختلف فيها فعند الكرامية الجبر جعل الاستطاعة مع الفعل، وعند المعتزلة جعل الشر بقدر الله تعالى وأن يقال أفعال العباد مخلوقة الله. والمرجئة عند أهل الحديث من أحر العمل عن الايمان، وعند الكرامية من نفى فرض الاعمال، وعند المامونية من وقف في الايمان، وعند أصحاب الكلام من وقف في أصحاب الكبائر ولم يجعل منزلة بين منزلتين. والشكاك عند أصحاب الكلام من وقف في القرآن، وعند الكرامية من استثنى في الايمان. والروافض عند الشيعة من أحر خلافة علي، وعند غيرهم من نفى خلافة العمرين. وأما أربعة معانها واحد: فالزعرانية والواقفية والشكاك والرساقية. وأما أربعة لقب بها أهل الحديث: فالحشوية والشكاك والنواصب والمجبرة. وأما التي يميزهن كل نحري، فأهل الحديث من الشفعية، والثورية من الحنفية، والنجارية من الجهمية، والقدرية من المعتزلة. واعلم أن اصل مذاهب المسلمين كلها منشعبة من أربع: الشيعة والخوارج والمرجئة والمعتزلة. واصل افتراقهم قتل عثمان، ثم تشعبوا ولا يزالون مفتقرين إلى خروج المهدي. والارجاء هاهنا هو الوقف في أهل الكبائر يدخل فيه أهل الرأي والحديث. وقالت المعتزلة كل مجتهد مصيب في الفروع حسب واحتجوا بالذين اشكلت عليهم القبلة وقت النبي، صلى الله عليه وسلم، فصلى كل قوم إلى جهة، فلم يأمر من أخطأ بالإعادة، بل جعله بمثابة من أصابها. وهذه المقالة تعجبي ألا ترى إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قد اختلفوا وجعل اختلافهم رحمة. وقال بأبهم اقتديتم وأهديتهم وقال سفيان بن عيينة. إن الله تعالى لا يعذب احدا على ما اختلف فيه العلماء، أولا ترى أن القاضي إذا اجتهد في قضية لم يجز لغيره أن يبطلها وإن كانت عنده خطأ. وقالت طائفة من الكرامية كل مجتهد مصيب في الاصول والفروع جميعا إلا الزنادقة، واحتج صاحب هذه المقالة، وهو قول جماعة من المرجئة بخبر النبي صلى الله عليه وسلم، " يفتقر أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعين في الجنة وواحدة في النار. وقال بقية الأئمة: لا مصيب إلا من وافق الحق وهم صنف واحد، واحتجوا بالخبر الآخر إثنان وسبعون في النار وواحدة ناجية وهذا أشهر، إلا أن الأول أصح أسنادا والله أعلم. فإن صح الأول فالهالكة هما الباطنية، وإن صح الثاني فالناجية السواد الأعظم. ولم أر السواد الأعظم إلا من أربعة مذاهب أصحاب أبي حنيفة بالمشرق، وأصحاب مالك بالمغرب، وأصحاب الشافعي بالشام وخرائن نيسابور، وأصحاب الحديث بالشام واقور والرحاب، وبقية الأقاليم ممتزجون. قد بينت ذلك في شرح الأقاليم من هذا الكتاب.

وأما أصحاب القراءات المستعملة اليوم فعلى أربعة أقسام: حروف أهل الحجاز وهن أربع قراءة نافع وابن كثير وشيبة وأبي جعفر. وحروف أهل العراق وهن أربع حرف عاصم وحمزة والكسائي وأبي عمرو. وقراءة أهل الشام وهي لعبد الله بن عامر. وحروف الخاص وهن أربع قراءة يعقوب الحضرمي واختيار أبي عبيد واختيار أبي حاتم وقراءة الأعمش، وأكثر الأئمة على أن الجميع على صواب. وقد أخترت من المذاهب مذهب أبي حنيفة رحه للخلال التي أذكرها في إقليم العراق. ومن الحروف مقراً أبي عمران عبد الله بن عامر اليحصبي للمعاني التي أصفها في إقليم أقور.

واعلم أن الناس قد عدلوا عن مذهب أبي حنيفة في أربع: صلاة العيدين إلا بزبيد وبيار، وصدقة الخيل، وتوجيه الميت عند الموت، والتزام الاضحية إلا ببخارا والري. وعدلوا من مذهب مالك في أربع: الصلاة قدام الإمام إلا بالمغرب ويوم الجمعة بمصر وصلاة الجنائز بالشام، وفي أكل لحوم الكلاب إلا بمدينةتين بالمغرب تباع جهرا وتطرح في هرائس مصر ويثرب سرا، وفي الخروج من الصلاة بتسليمة واحدة إلا ببعض بلدان المغرب، وفي المسامحة في تسيحات الركوع والسجود إلا الجهال. وعدلوا عن مذهب الشافعي في أربع: الجهر بالبسملة إلا بالمشرق في مساجد أصحابه، وكذلك القنوت في الفجر، وفي إحضار النية مع تكبيرة الافتتاح، وفي ترك القنوت في الوتر في غير نصف رمضان الأخير إلا بنسا.

وعدلوا عن مذهب داود في أربع: تزويج ما فوق الأربع، وإعطاء الابنتين النصف، ولا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد، وفي مسألة العول. وعدلوا عن مذهب أصحاب الحديث في أربع: المتعة في الحج، والمسح على العمامة، وترك التيمم بالرمل، وانتقاض الوضوء بالقهقهة. إلا أنه قد وافقهم الأربع أربعة: في القهقهة أبو حنيفة رحه، وفي المتعة الشيعة، وفي التيمم الشافعي، وفي المسح على العمامة الكرامية. وعدلوا عن مذهب الشيعة في أربع: المتعة ووقوع طلاق الثلاث والمسح على الرجلين والحيلة في الأذان. وعدلوا عن مذهب الكرامية في أربع: المسامحة في النية عند كل فريضة، وصلاة الفريضة على الدابة، وجواز الصوم لمن أكل بعد طلوع الفجر وهو لا يعلم، وصحة صلاة من طلعت الشمس وهو فيها. وخالف العوام الجميع في أربع: تكبير أيام التشريق، والصلاة قبل العيدين، وترك الدخول من. منى آخر يوم قبل الزوال، وغسل القدم ثلاث مرات في الوضوء.

وقلما رأيت فقهاء أبي حنيفة رحه ينفكون من أربع من الرياسة مع لباقة فيها والحفظ والخشية والورع. وأصحاب مالك من أربع الثقل والبلادة والديانة والسنة. وأصحاب الشافعي من أربع النظر والشغب والمروة والحمق. وأصحاب داود من أربع من الكبرة والحدة والكلام واليسار. والمعتزلة من أربع من اللطافة والدراية والفسق والسخرية. والشيعة من أربع البغضة والفتنة

واليسار والصيت. وأصحاب الحديث من أربع القدوة والهمة والانفاق والغلبة. والكرامية من أربع التقى والعصبية والذل والكدية. والادباء من أربع الخفة والعجب والتصرف والتجمل. والمقرئين من أربع الطمع واللواطة والرياء والسمعة.

وأما الاديان الذين هم ذمة فأربعة اليهود والنصارى والمجوس والصابئون.

ونحن نذكر غلبة كل قوم ممن ذكرنا في مواضعهم، بلا ميل ولا تعصب إن شاء الله تعالى. ونصف ما فيهم من خير وشر. فإن قيل أكثر ما ذكرته خطأ وخلاف ما يعرفه الناس حتى أنك خالفت الاصول، يجعلك الاقسام رباعيات وعدلت عن السباعيات، بعد ما قد علمت أن الله عز اسمه، خلق السموات والأرض سبعا سبعا والأيام والليالي سبعا سبعا، والأرزاق من سبع، ونزل القرآن على سبعة أحرف، والمساجد سبعة. وذكر ما سنجيب عن بعضه، فالجواب إننا قد تحرزنا بقولنا المذاهب المستعملة ولم نقل فرق المسلمين. وأما وجود الأمر على خلاف ما ذكرنا في البعض فذلك ندر والأغلب ما ذكرنا. وأما السامرة فإنهم صنف من اليهود، ألا ترى إن نبيهم موسى عم. وأما الرباعيات وإن كانت اتفقت وما تقصدناها، فإن لها نظائر في الاصول وهي أن الكتب أربعة، وخلق الإنسان من أربع، والطبائع أربع، والفصول أربعة، والأهوار أربعة، وأركان الكعبة أربعة، وأشهر الحرم أربعة. وحدثنا أبو بكر أحمد بن عبدان بالأهواز، قال: حدثنا محمد بن معاوية الأنصاري قال: حدثنا إسماعيل بن صبيح عن سفيان الحريري عن عبد المؤمن عن زكرياء أبي يحيى عن الأصمغ بن نباتة أنه سمع عليا رضه، يقول: إن القرآن نزل ربعا فينا وربعا في عدونا وربعا سيرا وأمثالا وربعا فرائض وأحكاما، فهذه أصول أيضا لا تنكر.

ذكر ما عانيت من الأسباب

اعلم أن جماعة من أهل العلم ومن الوزراء قد صنفوا في هذا الباب، وإن كانت مختلة، غير أن أكثرها بل كلها سماع لهم. ونحن فلم يبق إقليم إلا وقد دخلناه، وأقل سبب إلا وقد عرفناه. وما تركنا مع ذلك البحث والسؤال والنظر في الغيب، فانتظم كتابنا هذا ثلاثة أقسام: أحدها ما عايناه، والثاني ما سمعناه من الثقات، والثالث ما وجدناه في الكتب المصنفة في هذا الباب وفي غيره. وما بقيت خزنة ملك إلا وقد لزمته، ولا تصانيف فرقة إلا وقد تصفحتها، ولا مذاهب قوم إلا وقد عرفتها، ولا أهل زهد إلا وقد خالطتهم، ولا مذكرو بلد إلا وقد شهدتهم، حتى استقام لي ما ابتغيته في هذا الباب. ولقد سميت بستة وثلاثين إسما دعيت وخوطبت بها مثل: مقدسي وفلسطيني ومصري ومغربي وخراساني وسلمي ومقرئ وفقهه وصوفي وولي وعابد وزاهد وسياح ووراق ومجلد وتاجر ومذكر وإمام ومؤذن وخطيب وغريب وعراقي وبغدادى وشامى وحنيفى ومثؤدب وكرى ومتفقه ومتعلم وفرائضى واستاذ ودانشومند وشيخ ونشاسته وراكب ورسول وذلك لاختلاف البلدان التي حلتها. وكثرة المواضع التي دخلتها.

ثم إنه لم يبق شيء مما يلحق المسافرين إلا وقد أخذت منه نصيبا غير الكدية وركوب الكبيرة، فقد تفقّهت وتادبت، وتزهدت وتعبدت، وفقهت وأديت. وخطبت على المنابر، وأذنت على المنائر. وأممت في المساجد، وذكرت في الجوامع، واختلفت إلى المدارس. ودعوت في المحافل، وتكلمت في المجالس. وأكلت مع الصوفية الهرائس. ومع الخانقائين الثراند، ومع النواتي العصائد. وطرقت في الليالي من المساجد، وسحت في البراري، وتهدت في الصحاري. وصدقت في الورع زمانا، وأكلت الحرام عيانا. وصحبت عباد جبل لبنان، وخالطت حينما السلطان. وملكت العبيد، وحملت على رأسي بالزبيل. وأشرفت مرارا على الغرق، وقطع على قوافلنا الطرق. وخدمت القضاة والكبراء، وخالطت السلاطين والوزراء. وصاحبت في الطرق الفساق، وبعث البضائع في الأسواق. وسجنت في الحبوس، وأخذت على أني جاسوس. وعانيت حرب الروم في الشواني وضرب النواقيس في الليالي. وجلدت المصاحف بالكرى، وأشترت الماء بالغلاء. وركبت الكنائس والخيول، ومشيت في السمائم والثلوج. ونزلت في عرصة الملوك بين الاجله، وسكنت بين الجهال في محلة الحاكه. وكم نلت العز والرفعه، ودبر في قتلي غير مرة. وحججت وجاورت، وغزوت وربطت. وشربت بمكة من السقاية السويق، وأكلت الخبز والجلبان بالسويق. ومن ضيافة ابراهيم الخليل، وجميز عسقلان السبيل. وكسيت خلع الملوك وأمروا لي بالصلاات. وعريت وافتقرت مرات، وكاتبني السادات، ووبخني الأشراف. وعرضت علي الأوقاف، وخضعت للاخلاف. ورميت بالبدع، واتهمت بالطمع. وأقامني الأمراء والقضاة أمينا، ودخلت في الوصايا وجعلت وكيلا. وامتحننت الطرارين، ورأيت دول العيارين. واتبعني الارذلون، وعاندني الحاسدون، وسعي بي إلى السلاطين. ودخلت حمامات طبرية، والقلاع الفارسية. ورأيت يوم الفواره، وعيد برباره، وبئر بضاعة، وقصر يعقوب وضياعه. ومثل هذا كثير ذكرنا هذا القدر ليعلم الناظر في كتابنا أنا لم نصفه جزافا، ولا رتبناه مجازا، ويميزه من غيره. فكم بين من قاسى هذه الأسباب، وبين من صنف كتابه في الرفاهية ووضع على السماع. ولقد ذهب لي في هذه الأسفار فوق عشرة آلاف درهم سوى ما دخل علي من التعصير في أمور الشريعة. ولم يبق رخصة مذهب إلا وقد

استعملتها. قد مسحت على القدمين، وصلبت بمد هامتان، ونفرت قبل الزوال، وصلبت الفريضي على الدواب، ومع نجاسة فاحشة على الثياب، وترك التسبيح في الركوع والسجود، وسجد السهو قبل التسليم. وجمعت بين الصلوات، وقصرت لا في سفر الطاعات. غير أنني لم أخرج عن قول الفقهاء الأئمة، ولم أؤخر صلاة عن وقتها بته. وما سرت في جادة وبين مدينة عشرة فراسخ فما دونها إلا فارقت القافلة وانفتلت إليها لأنظرها قديما، وربما اكتريت رجالا يصحبوني، وجعلت مسيري في الليل لأرجع إلى رفقائي مع إضاعة المال والهم.

ذكر المواضع المختلف فيها

اعلم أن في الإسلام مواضع ومشاهد ليست بصحيحة ولا مجمع عليها. فوجب إفراد هذا الباب لها لتباين الصحة ونحاز عنها إذا ذكرناها في الأقاليم. بكازرون قبة من نحو العقبة تزعم المجوس إنها وسط الدنيا ولها عيد في كل سنة، خارج ينبع نحو البحر مشهد قالوا هولسان الأرض حين قالت " أتينا طائعين " بالجش موضع قالوا ثم كانت سلسلة داود التي كانت موضع البيئات. قال قوم قبر آدم عند منارة مسجد الخيف، قال آخرون عند قبر إبراهيم، وقال قوم بالهند، وقيل إن قبر آدم بالتيه، وزعم رجل بايليا أنه رأى في النوم أنه خلف جبل زيتا. قال أهل الكتاب قبر داود بصهيون. قال قوم مدائن لوط بين كرمان وخراسان. زعم قوم أن نار إبراهيم كانت بجرمق. قال قوم الدكة التي بالغري هي قبر نوح. وقبر علي في محراب جامع الكوفة وقال آخرون عند المنارة المائلة. قال قوم قبر فاطمة مع النبي صلى الله عليه وسلم، في الحجر، وقال آخرون في البقيع. خارج من نحو سر خس رباط فيه قبر صغير زعموا أنه قبر رأس الحسين بن علي. بفرغانة زعموا قبر أيوب. على قلة جبل سينا زيتونة قالوا هي التي " لا شرقية ولا غربية " على جبل زيتا أخرى يقال فيها ذلك. وقال قوم صخرة موسى بشروان. والبحر بحيرة طبرستان والقرية باجروان وقتل الغلام بقرية خزران. قال قوم سد ياجوج وماجوج خلف الأندلس. وقال آخرون هو درب خزران وياجوج وماجوج هم الخزر. وسمعت أبا علي الحسن بن أبي بكر البناء يقول كان قيربوسف دكة، يقال إنها قبر بعض الأسباط حتى جاء رجل من خراسان وذكر أنه رأى في المنام إنه ذهب إلى بيت المقدس وأعلمهم أن ذلك يوسف الصديق، قال فأمر السلطان والدي بالخروج وخرجت معه، قال فلم يزل الفعلة يحفرون حتى انتهوا إلى خشب العجلة وإذا بها قد نخرت ولم أزل أرى عند عجانزنا من تلك النحاة يستشفين بها من الرمذ.

باب اختصرناه للفقهاء

هذا باب أفرده لمن أحب أن يعرف أمصار المسلمين، وكور الأقاليم، ويقف على عدد القصبات ومدنها، ولم يكن له فراغة إلى تدبير ما فصلناه. ولا حاجة في نسخ ما شرحناه. وطلب جملة يخف حملها في الأسفار، وحفظها على الاختصار. وكثيرا ما سئلت عن هذا القدر وابتغي مني هذا الباب، فقدمته قبل الشروع في ذكر المملكة باختصار الألفاظ، وترك الاطناب وجعل الإغماض. فمن فهم فقد فهم، وإلا إذا نظر في الأصل علم.

اعلم أنا جعلنا الأمصار كالملوك، والقصبات كالحجاب، والمدن كالجند، والقرى كالرجال. وقد اختلفت في الأمصار فقالت الفقهاء: المصر كل بلد جامع فيه الحدود ويحله أمير ويقوم بنفقته ويجمع رستاقه مثل عثر، ونابلس، وزوزن. وعند أهل اللغة المصر كل ما حجز بين جهتين مثل البصرة، والرقعة، وارجان. والمصر عند العوام كل بلد كبير جليل مثل الري، والموصل، والرملة. وأما نحن فجعلنا المصر كل بلد حله السلطان الأعظم، وجمعت إليه الدواوين، وقادت منه الأعمال، وأضيف إليه مدن الإقليم. مثل دمشق، والقيروان، وشيراز. وربما كان للمصر أو للقصبية نواح لها مدن. مثل طخارستان بلخ، والبطائح لواسط، والزاب لأفريقية.

فالأقاليم أربعة عشر ستة عربية جزيرة العرب ثم العراق ثم أقور ثم الشام ثم مصر ثم المغرب. وثمانية عجمية المشرق ثم الديلم ثم الرحاب ثم الجبال ثم خوزستان ثم فارس ثم كرمان ثم السند. ولا بد لكل إقليم من كور ثم لكل كورة من قصبية ثم لكل قصبية من مدن، إلا الجزيرة والمشرق والمغرب فإن لكل واحد مصرين. والمصر قصبية كورته، وليس كل قصبية مصرا. ثم الأمصار أسم كورها أيضا إلا الأربع الأول والمنصورة والثلاث الأواخر. نبتدى من المشرق وهلم جرا إلى المغرب.

فالأمصار: سمرقند، إيرانشهر، شهرستان، أردبيل، همذان، الاهواز، شيراز، لسيرجان، المنصورة، زبيد، مكة، بغداد، الموصل، دمشق، الفسطاط، القيروان، قرطبة. وبقية القصبات سبع وسبعون: بنجكت نموكت، بلخ، غزني، بست، زرنج، هراة، قاين، مرو، اليهودية، الدامغان، أمل، بروان، آتل، مراغة، دبيل، الري، اليهودية، لسوس، جنديسابور، تستر، العسكر،

الدورق، رامهرمز، أركان، سيراف، درابجرد، شهرستان، أصطخر، أردشير، نرماسير، بم، جيرفت، بنجبور، قزدار، ويهند، قنوج، الملتان، صنعاء، البصرة، الكوفة، واسط، حلوان، سامرا، أمد، الرقة، حلب، حمص، طبرية، الرملة، صغر، الفرما، بلبيس، العباسية، اسكندرية، أسوان، برقة، بلرم، تاهرت، فاس، سجلماسة، طرفانة.

نرجع إلى ذكر المدن المحيطة بقصباتها فنقدم الحاجب ونتبعه جنده فمن أشكل عليه شيء من ذلك فليفتشه على إقليمه.

أخسيكت، نصراباذ، رنجد، زاركان، خيرلام، وشيشان، اشتيقان، زرنرامش، أوزكند، أوش، قبا، برنك، مرغينان، رشتان، باب، جارك، أشت، توبكار، أوال، دكرکرد، نوقاد، مسكان، بيكان، جدغل، شاولدان، خجندة.

ولا سبيجاب: خورلوغ، جمشلاغو، أسبانىكت، باراب، شاوغر، سوران، ترار، زراخ، شغلجان، با لاج، بروكت، بروخ، يكانك، أذخت، ده نوجيكت، طراز، بالوا، جكل، برسخان، أطلخ جموكت، شلجى، كول، سوس، تكابكت، بلاسكون، لبان، شوى، أبا لغ، مادانك، برسبان، بلغ، جكركان، يغ، يكالغ، روانجم، كتاك، شور، جشمه، دل، أواس، جرکرد.

ولبنك: نكث، جينانجك، نجاكث، بنا كث، خرشكث، غرچند، غناج، بهوزن، وردك، كيرنه، نمدوانك، نوجكث، غزك، أنوذ كث، بشكث، بروكش، خاتونكث، جيغوكث، فرنك، كدالى، نكالك، تل أوش، غزکرد، زرانكث، دروا، فردكث، أجخ ومن نواحيها: أيلاق قصبته تونكث، مدنها: شا وكث، بانخاش، نوكت، با لايان، أربلخ، نمونلغ، خمرك، سيكث، كهسيم، دخكث، خاس، خجاكث، غرچند، سام، سرك، بسكث لىنجكث: أرسبا نيكت، كردكث، غزق، ساباط، زامين، ديزك، نوجكث، دزه، خرقاتة، خشت، قطوان، مرسمندة. ولنموجكث: بيكند، الطواويس، زندنة، بمجكث، خد يمنكن، عروان، بخسون، سيكث ارياميش، ورخشى، زرميش، كمجكث، فغرسين، كشفغن، نويدك، وركى. ناحيتها كش مدنها نوقة، قریش، سونج، أسكيفغن. ونسف مدنها: كسبة، بزدة، سيركث.

ولسمرقند: بنجكث، ورغسر، ابغر، كشاني، أشتيخن، دبوسية، كرمينية، وربجان، قطوانة.

وعلى جيحون ناحية ختل مدينتها هلبك، مرند، أنديجارغ، هلاورد، لاوكد، كاربنك، تمليات، أسكندرة، منك، فارغر، بيك. ثم مدينة ترمذ، كالف، زم، نويدة، أمل، فربر. وكورة الصغانيان مدنها: دارزنجي، باسند، سنكرده، بهام، زينور، ريكد شت، الشومان، قواديان، أنديان، دستجرد، هنبان. ولخوارزم قصبته الهيطلية كات، مدنها: غردمان، واخان، أردخيوه، نوکفاغ، كردد، مزد اخقان، جشيرة، سدور، زدوخ، قرية برا تكين، مدمينية. قصبه الخراسانية: الجرجا نية، مدنها: نوزوار، زمحشر، روزوند، وزارمند، دسكاخان خاس، خشميشن، مداميشن، خيوه، كردرانخاس، هزاراسف، جقر وند، سد فر، جرجا نية، جاز، درغان، جيت.

ولبلخ: أشفورقان، سليم، كركو، جاه، مذر، برواز. ناحية طخارستان.

مدنها: ولوالج، الطالقان، حلم، غربنك، سمنجان، أسكلكد، روب، بغلان العليا، بغلان السفلى، أسكيمشت، راون، آرهن، أندراب، سراي، عاصم. ناحية الباميان مدنها: بسغورفند، سقاوند، لخراب، بذخشان، بنجهير، جاربايه، بروان. ولغزني: كرد يس، سكا وند، نوه، بردن، دمراخي، حش باره، فرمل، سرهون، لجرأ، خوا شت، غراب، زاوه، كاويل، كابل، لمغان، بودن، لهوكر. وناحيتها والشتان مدنها: أفشين، أ سبيجه، مستنك، شال، سكيره، سيوه. وليست: جالقان، بان، قرمة، بوزاد، داور، سروسنان، قرية الجوز، رخود، بكرأواذ، بنجواي، طلقان. ولزرنج: كوين، زنبوك، فره، درهند، قرنين، كواربواذ، بارنواذ، كزه، سنج، باب الطعام، كروادكن له، الطاق. لهرآة: كروخ، أوبه، مالن، السفقات، خيسار، أستربيان، ماراباذ. نواحيها: بوشنج، مدنها: خرکرد، فلجرد، كوسوي، كزة، وباذغيس مدنها: دهستان، كوغباباذ، كوفاء، بشت، جاداوا، كابرون، كاليون، جبل الفضة. وكنج رستاق: مدنها: بين، كيف، بغ. وأسفزار مدنها: كواشان، كواران، كوشك، أدرسكر. وناحية غرجستان قصبته أبشين، ومدنها: شورمين، بليكان. ولليهودية: أنبار، برزور، فارياب، كلان، الجززان. لمرو: خرق، هرمزفره، با شان، سنجان، سوسقان، صهبة، كيرنك، سنك، عبادي، دندانمان. ناحيتها مروالروذ مدنها: قصر أحنف، طالقان، ومدينة سرخس. ولقايين: تون، خوست، خور، كرى، طيس، الرقة، يناود، سناوذ، طيس السفلى. ولايرا نشهر: بوزجان، زوزن، طرثيث، سا بزوار، خسورجرد، أ زادوار، خوجان، ريوند، مازل، مالن، جاجرم. وخزائنها طوس قصبته الطابران ومن

مدنها النوقان، وا لرادكان، وجنابد، أستورقان، تروغيد. نسا مد نها: أسفينقان، وا لسرمقان، فراوة، شهرستانة نة. وابيور مد نها. مهنة كوفن.

وللدامغان: بسطام، مغون، سمنان، زغنة، بيا ر. ولشهرستان: آسكون، ألهم، أستاراباذ آخر الرباط. ولآمل: سالوس، سارية، ميلا، مامطير، ترنجي، طميس، هري، بود، ممطير، نامية، تميثة. ولبروالن: ولامر، شكيرز، تارم، خشم. ناحيتها الجبل مدنها: دولاب، بيلمان شهر، كهن روذ. ولاتل: بلغا، سمندر، سوار، بغند قيشوي، البيضاء، خمليج، بلنجر.

ولبرذعة: تقليس، القلعة، خنان، شمكور، جنزة، برديج، الشماخية، شروان، باكوه، الشايران، باب الابواب، الابخان، قبلة شكي، ملازكرد، تبالا. ولد بيل: بدليس، خلاط، أرجيش، بركري، خوي، سلماس، أرمية، داخرقان، مراغة، أهر، مرند، سنجان، قاليقلا. ولارد بيل: رسبة، تبريز، جابروان، الميانج، السراة، ورثان، موقان، ميمذ، برزند.

وللري: قم، آوه، ساوة، آوه، قزوين، أبهر، زنجان، شلنبة، ويمه.

ولهذان: أسداواذ، طزر، قرماسين، بوسته، رامن، وبه، سيراوند. ولها نواح جليلة بلا مدن مثل: نهاوند ولها رودراور، وكرج ابي دلف ولها كرج أخرى، ومرج وبروجرد. والصيمة بلامدن والدينور بلا مدن وشهرزور..... وللإهودية: المدينة، خالنجان، الرباط، لوردكان، سميرم، يزد، ناين، نياستانه، أردستان، قاشان.

وللسوس: البذان، بصنا، بيروت، قرية الرمل، كرخة. ولجندي سابور: الذر، الروناش، بايوه، قاضبين، اللور. ولم أر لتستر مدينة البتة. وللعسكر: جوبك، زيدان، سوق الثلاثاء، حبك، ذوقرطم. وللاهور: نهر تيري، جوزدك، بيروه، سوق الاربعاء، حصن مهدي، باسيان، شوراب، بندم، دورق، خان طوق، سنة، مناذر الصغرى. وللدورق: أزم بخساباذ، الذر، أ ندبار، أزر، جبي، ميراقيان، ميرا ثيان. ولرامهرمز: سنبل، أ يذج، ليرم، بازك، لاذ، غروة، بافج، كوزوك.

ولارجان: قوستان، داريان، مهروبان، جنابة، سينيذ، بلا، سابور، هندوان. ولسيراف: جور، ميمند، نابند، الصيمكان، خير، خورستان، الغندجان، كران، سميران، زيرباز، نجيرم، نابندون، سورا، راس كشم. ولدرابجرد، طيستان، الكردبان، كرم، يزدخواست، رستاق الرستاق، برك، أزبراه، سنان، جويم أبي أحمد، الاصبهانات. ولشيراز: البيضاء، فسا، المص، كول، جور، كارزين، دشت بارين، جم، جوبك، جمكان، كورد، بجة، هزار، أبك. ولشهرستان: دريز، كازرون، خرة، النوبندجان، كاريان، كندران، توز، زم الاكراد، جنيد، خشت. ولاصطخر: هراة، ميبد، مائين، الفهرج، الحيرة، سروستان، أسبانجان، بوان، شهر بابق، أورد، الرون، أشتران، خرمة، ترك نيشان، صاهه.

ولبردسير: ما هان، كوگون، زرند، جنزروذ، كوه بيان، قواف، زاور، أناس، خوناوب، غبير، كارستان. وناحيها خبيص، مدنها: نشك، كشيد، كوك، كثروا. ومن المنفردات جنزروذ، فرزين، ناجت خير، مرزقان، السورقان، مغون، جيروقان. وللسيرجان: بيمند، الشامات، واجب، بزورك، خور، دشت برين، كشيستان. ولنرماسير: باهر، كرك، وريكان، نسا، دا رجين. ولريم: دارزين، طوشتان، أوارك، مهرکرد، راين، مائين، راينين. ولجيرفت: باس، جكين، منوقان، درهفان، جوى سليمان، كوه بارجان، قوهستان، مغون، جواون، ولاشجرذ، روذكان، درفاني.

ولبنجبور: مشكة، كيج، سراي، شهر، بربور، خواش، دمندان، جالك، دزك، دشت علي، التيز، كبرتون، راسك، به، بند، قصرقند، أصفه، فهل فهرة، قنيلي، أرمابيل. ولويهند: قامهل، كنيابة، سوبارة، أورهة، زهو، هر، برهيروا. ولقزدار: قنابيل، بجثرد، جثرد، بكانان، خوزي، رستاكهن، موردان، رونماسكان، كهركور، محالي، كيزكانان، سورة، قصدار. وللمنصورة: د بيل، زندرايچ، كدر، مايل، تنبلي، نيرون، قالري، أنري، بلري، المسواهي، البهراج، بانبة، منجابري، الرور، سوبارة، كيناس، صيمور.

لزبيد: معقر، كدرة، مهجم، مور، عطنة، الشرجة، غلاقفة، مخا، الحردة، الجريب، اللسعة، شرمة، العشييرة، رنفة، الخصوف، الساعد، الجرده، الحمضة. وناحية عثر مدنها: بيش، الجريب، حلي، السريق. ولصنعاء: صعدة، نجران، جرش، العرف، جيلان، الجند، نمار، نسفان، يحصب، السحول، المذيخرة، خولان. ولمكة: منى، أمج، الجحفة، الفرع، جبلة، مهايع، حاذة، الطائف، بلدة. وناحية يثرب لها بدر، الجار، ينبع، العشييرة، الحوراء، المروة، سقيا يزيد، خبير. وناحية قرح قصبته وادي

القرى ومدنها: الحجر، العونيد، بدا يعقوب، ضبة، النيك. ولصالح: نزوة، السر، ضنك، حفيت، دبا، سلوت، خلفار، سمد، لسيا، ملح. وناحية مهرة مدنها: الشحر..، وناحية الاحقاف مدينتها: حضرموت. وناحية سبا، وناحية اليمامة. وللحساء: الزرقاء، سا بون، أوال، العقير.

وللبصرة: الابل، نهر الدير، مطارا، مذار، نهرزبان، بدران، بيان، نهر الامير، نهر القديم، عبادان، أبو الخصيب، نهر دبا، المطوعة، القندل، المفتح، الجعفرية. وللكوفة: حمام عمر، الجامعين، سورا، النيل، القادسية، عين التمر. ولبغداد: بردان، النهروان، كارة الدسكرة، طراستان، هارونية، جلولا، باجسرى، باقية، برهرز، كلواذى، درزيجان، المداين، أسبانبر، كيل، سيب، دير العاقول، النعمانية، جبل عبرتا، بابل، قصر هبيرة، عبدس، بهروي. ولواسط: فم الصلح، نهر سابس، درمکان، باذيين، قراقبة، سيادة، السكر، قرقوب، الطيب، لهبان، البسامية، أودسة. وناحية البطائح مدينتها الصليق، ولها: جامدة، هرار، الحدادية، الزبيدية. ولحلوان: خانقين، زبوجان، المرج، شلاشان الجامد، الحر، السيروان، بندنجان. ولسامرا: الكرخ، عكيرا، الدور، الجامعين، بت، راذانان، قصر الجص، جوى، أيوانا، بريقا، سنديية، راقفروية، دمما، الانبار، حيت، تكريت، السن.

وللموصل: نينوى، الحديثة، معلثاى، الحسنية، تلعفر، سنجار، الجبال، بلد، أذرمة، برقعيد، نصيبين، دارا، كفرتوثا، رأس العين، ثمانين. ولأمد: ميفارقين، تل فافان، حصن كيفا، الفار، حاذية. وللركة: المحترقة، الراقفة، خانوقة، الحريش، تل محرى، باجروان، حصن مسلمة، ترعوز، حران، الرها. ومن النواحي: جزيرة ابن عمر، لها: فيشابور، باعيناثا، المغيثة، الزوزان. وناحية سروج. ولها: كفرزاب، كفرسيرين. وناحية الفرات مدينتها قرقيسيا، ولها: الرحبة، الدالية، عانة، الحديثة. وناحية الخا بور مدينتها: عرابان، ولها الحصين، الشمسينية، ميكسين، سكير العباس، الخيشة، السكينية، التناير ولحلب: أنطاكية، بالس، سميساط، المعرتين، منبج، بياس، التينات، قنسرين، السويدية. ولحمص: سلمية، تدمر، الخناصره، كفرطاب، اللاذقية، جبلة، جبيل، نطرسوس، بلنباس، حصن الخوابي، لجون، ريفية، جوسية، حماة، شيزر، وادي بطنان. ولدمشق: داريا، بانياس، صيدا، بيروت، عرقة، اطرابلس، الزبداني، وناحية البقاع مدينتها بعلبك، ولها: كامد، عرجموش. ولطبرية: بيسان، اذرعان، قدس، كابل، اللجون، عكا، صور، الفراضية. وللرملة: بيت المقدس، بيت جبريل، غزة، عسقلان، يافة، أرسوف، قيسارية، نابلس، أريحاء، عمان. ولصغر: ويلة، عينونا، مدين، تيوك، أذرح، مآب، معان.

وللفرما: البقارة، الوردية، العريش، تنيس دمياط، شطا، دبغو وللعباسية: شبروازه، دمنور، سنهور، بنها العسل، شظونف، مليح، دميرة، يورة، دقهلة، سنهور، برلس، سندفا، وسبع مدن يعرفن بالمحلات. ولبلبيس: مشتول، فاقوس، جرجير، صندفا، بنها العسل، دميره، طوخ، طنتنا هو دير نطلى. وللأسكندرية: الرشيد، محلة حفص، ذات الحمام، برلس. وللفسطاط: الجزيرة، الجيزة، القاهرة، العزيزية، عين شمس، بهنى، المحلة، سندفا، دمنهور، حلوان، القلزم. ولا سوان: قوص، أحميم، بلينا، طحا، سمسطا، بوصير، اشمونين، أجمع، وناحية أليوم.

ولبرقة: رمادة، اطرا بلس، أجدابية، السوس، صيرة، قابس، غافق.

لبلرم: الخالصة، اطرابنش، مازر، عين المغطا، قلعة البلوط، جرجنت، بثيرة، سرقوسة، لنتيني، قطنية، الياج، بطرنوا، طبرمين، ميقتش، مسينة، رمطة، دمنش، جاراس، قلعة القوارب، قلعة الصراط، قلعة أبي ثور، بطرلية، ثرمة، بورقاد، قرليون، قرينش، برطنيق، اخياس، بلجة، برطنة.

وللقيروان: صيرة، أسفا قس، ألمهدية، سوسة، توسق، بنزرد، طبرقة، مرسى الخرز، بونة، باجة، لربس، قرنة، مريسة، مس، بنجد، مرماجنة، سيبية، قمودة، قفصة، نفاوة، لافس، أودنة، قلانس، قبيشة، رصفة، بنونش، لجم، جزيرة أب شريك، باغاي، سوق ابن خلف، دوفانة، المسيلة، اشير، سوق حمزة، جزيرة بني زغناية، متيجة، تنس، دار سوق ابراهيم، الغزة، قلعة برجمة، باغر، يلل، جبل توجان، وهران، جاراوا، أرزكول، مليلة، نكور، سبتة، كلزاوة، جبل زالاغ، أسفاقس، منستير، مرسى الحمامين، هياجة، لربس، مرسى الحجر، جمونس الصابون، طرس، قسطيلية، نفطة، تقيوس، مدينة القصور، مسكيانة، باغاي، دوفانة، عين العصافير، دار ملول، طبنة، مقرة، تيجس، مدينة المهريين، تامسنت دكما، قصر الافريقي، ركوى، القسطنطينية، ميلي، جيجل، تابريت، جف، ايكجا، مرسى الدجاج، أشير.

ولتاهرت: يممة تاغليسية، قلعة ابن الهرب، هزارة الجعية، غدير الدروع، لماية، منداس، سوق ابن حيلة، مطماطة، جبل تجان، وهران، شلف طير، الغزة، سوق ابرا هيم، ورهباية، البطحة، الزيتون، تما يعود، الخضراء، واريفن، تنس، قصر الفلوس، بحرية، سوق كرى، منجصة، أوكى، تبرين، سوق ابن مبلول، ربا، تاويلت أبي مغول، تامزيت، تاويلت، لغوا، فكان. ولسجلماسة: درعة، تادنقوست، أثر، ايل، ويلميس، حصن السودان ابن صالح، النحاسين، حصن السودان، هلال أصلى، دار الامير، حصن برارة، الخيامات، تازروت.

ولفاس: البصرة، زلول الجاحد، سوق الكتامي، ورغة، سيوا، صهناجة، هواة، تيزا، مطماطة، كزناية، سلا، مدينة بني قرياس، مزاحية، أزيلا، سبتا، بلد غمار، قلعة النسور، نكور، بلش، مرنيسة تابريدا، صاخ، مدينة مكناسة، قلعة شميت، مدائن برج، اوزكى، تيونوا، مكسين، أمليل، أملاه أبي الحسن، قسطينة، نفزاوة، نقاوس، بسكرة، قبيشة. نواحيها الزاب، مدينتها المسيلة، ومدنها: مقرة، طينة، بسكرة، بادس، تهودا، طولقا، جمبلا، بنطبوس، واذنة وطنجة مدنها: وليلة، مدركة، متروكة، زقور، غزة، غميرة، الحاجر، تاجر اجرا، البيضاء، الخضراء.

ولطرفانة: اغمات، ويلا، وريكة، تندلي، ماسة، زقور، غزة، غميرة، الحاجر، فنكور، الخضراء.

ومن مذكورات بلدان قرطبة: طليطلة، لاردة، تطيلة، سرقسطة، طرطوشة، بلنسية، مرسية، بجانة، مالقة، استجة، رية، جيان، شنتره، غافق، ترجاله، قورية، ماردة، باجة، شنترين، أخشنة، أشبيلية، شذونة، جبل طارق، قرمونة، مورور، الجزيرة. ولو كنت دخلت الاندلس لكورتها لكثرة المدن والاعمال والنواحي بها. وهي نظير هبطل، بل أجل وقد بقي يسير من مدن الاسلام لم نذكرها لجهلنا أياها. والاندلس مثل هذا الجانب الافريقي أو قريبة منه. وذكر ابن خرداذبة إنها أربعون مدينة يعني المذكورات.

ذكر أقاليم العالم ومركز القبلة

اعلم أن كل مصنف في هذا الباب جعل الأقاليم أربعة عشر: سبعة ظاهرة عامرة: وسبعة خرابا. وسمعت بعض المنجمين يقول الخلق كلهم في المغرب ولا يسكن المشرق أحد من الحر وسمعت غيره يقول من البرد. وقالوا من أقصى المغرب إلى هذه العامرة بأقصى الترك ستمائة فرسخ على سير مستو بلا تعرج. وعلى هذا صنف من ذكرنا كتبهم في هذا الباب، ونحن ننقل منها وعمن لقينا من كبراء المنجمين هذا الباب، لأنه علم يحتاج إليه في سمت القبلة ومعرفة مواضع الأقاليم منها. فإني رأيت خلقا قد اختلفوا في القبلة وحولها وتماروا فيها ولو عرفوا الوجه في ذلك ما اختلفوا فيها ولا غيروا ما وضعه الأوائل.

فأما الأرض فإنها كالكرة، موضوعة جوف الفلك كالمحة جوف البيضة، والنسيم حول الأرض وهو جاذب لها من جميع جوانبها إلى الفلك، وبنية الخلق على الأرض أن النسيم جاذب لما في أيديهم من الخفة، والأرض جاذبة لما في أيديهم من الثقل، لأن الأرض بمنزلة الحجر الذي يجذب الحديد. ومثلوا الفلك بخراط بيدير شيئا مجوفا وسطه جوزة، فإذا أدار ذلك الشيء وقفت الجوزة وسطه. والأرض مقسومة بنصفين بينهما خط الاستواء، وهو من المشرق إلى المغرب، وهذا طول الأرض، وهو أكبر خط في كرة الأرض. كما أن منطقة البروج أكبر خط في الفلك، عرض الأرض من القطب الجنوبي الذي يدور حوله سهيل إلى الشمال الذي يدور حوله بنات نعش. فاستدارة الأرض موضع خط الاستواء ثلاثمائة وستون درجة، والدرجة خمسة وعشرون فرسخا، فيكون ذلك تسعة آلاف فرسخ. وبين خط الاستواء وكل واحد من القطبين تسعون درجة، واستدارتها عرضا مثل ذلك، لأن العمارة في الأرض بعد خط الاستواء أربع وعشرون درجة، ثم الباقي قد غمره البحر. فالخلق على الربع الشمالي من الأرض والربع الجنوبي خراب، والنصف الذي تحتنا لا ساكن فيه، والربعان الظاهران هما الأربعة عشر إقليما التي ذكرنا.

الإقليم الأول ثمانية وثلاثون ألف فرسخ وخمسمائة فرسخ، وعرضه ألف وتسعمائة وخمسة وتسعون فرسخا. أوله حيث يكون الظل نصف النهار إذا استوى مع الليل قدما واحدة ونصفا وعشرا وسدس عشر قدما، وآخره في هذا الوقت قدما وثلاثة أخماس. والذي بين طرفيه عرضا نحو من ثلاثمائة وتسعين ميلا، والميل أربعة آلاف ذراع، ووقع وسطه قريبا من صنعاء وعدن والاحقاف، ووقع طرفه الذي يلي الشام بتهامة قرب مكة، فدخل فيه من الأمهات: صنعاء وعدن وحضرموت ونجران وجرش وجيشان وصعدة وتباله وعمان والبحرين وأدنى أرض السودان إلى المغرب وطوائف من بلد الهند والصين مما يلي ساحل البحر، وكل ما في سمت هذه البلدان شرقا وغربا فهو داخل في هذا الإقليم.

الإقليم الثاني أوله حيث يكون الظل إذا استوى الليل والنهار كما قلنا عند الظهر قدمين وثلاثة أخماس قدم، والذي بين طرفيه ثلاثمائة وخمسون ميلا قاصدا، ووقع وسطه قرب يثرب، وأقصى جنوبيه وراء مكة، والآخر من قبل الشمال عند الثعلبية فمكة، والثعلبية بين إقليمين، ووقع في هذا الإقليم من المدن: مكة ويثرب والريذة وفيد والثعلبية وأسوان مصر إلى حد النوبة والمنصورة واليمامة وطائفة من بلاد الهند، وكل ما كان على خط هذه البلدان شرقا وغربا فهو داخل فيه. الإقليم الثالث أوله حيث يكون ظل نصف النهار ثلاثة أقدام ونصفا وعشرا وسدس عشر قدم، وآخره حيث يكون ظل الاستواء فيه نصف النهار أربعة أقدام ونصفا وثلث عشر قدم، فيبلغ النهار في وسطه أربع عشرة ساعة، ووقع وسطه بالقرب من مدين شعيب في شق الشام ومن واقصة في شق العراق، وصار عرضه نحو من ثلاثمائة ميل ونصف قاصدا، فصارت الثعلبية وماكان في سمتها شرقا وغربا في طرفه الأقصى الذي يلي الجنوب، وصارت بغداد وفارس وقندهار الهند والاردن وبيروت في حده الأدنى الذي يلي الشام، وكذلك كل ما كان في سمت ذلك شرقا وغربا فواقصة وما كان في سمتها شرقا وغربا بين إقليمين ووقع فيه من المدن: الكوفة والبصرة وواسط ومصر والاسكندرية والرملة والاردن ودمشق وعسقلان والأرض المقدسة وقندهار الهند وسواحل كرمان وسجستان والقيروان وكسكر والمدائن، وما كان في سمتهن شرقا وغربا فهو داخل في الإقليم.

الإقليم الرابع أوله حيث يكون الظل فيه في الوقت الذي ذكرنا أربعة أقدام وثلاثة أخماس وثلث خمس قدم، وعرضه نحو من مائتين وستين ميلا ونيفا قاصدا، ووقع وسطه بالقرب من أقور ومنبج وعرة وسلمية وقومس من نحو الري، ووقع طرفه الأدنى الذي يلي العراق بالقرب من بغداد وما كان على سمتها شرقا وغربا، ووقع طرفه الأقصى الذي يلي الشام بالقرب من قاليقلا وساحل طبرستان إلى أردبيل وجرجان وما كان في هذا سمت، ووقع فيه من المشاهير: نصيبين ودارا والرقعة وقنسرين وحلب وحران وسميساط والثغور الشامية والموصل وسامرا وحلوان وشهرزور وماسبذان والدينور وناهوند وهمذان واصبهان والمراعة وزنجان وقزوين وطوس وبلخ وجميع ما التقت هذه المدن على سمت.

الإقليم الخامس أوله حيث يكون الظل خمسة أقدام وثلاثة أخماس وسدس خمس قدم، والذي بين طرفيه عرضا نحو مائتين وثلثين ميلا قاصدا، ووقع وسطه بالقرب من أرض تغليس من الرحاب ومرو من خراسان وأرض جرجان وكل ما كان في هذا سمت من البلدان شرقا وغربا، ووقع طرفه الأقصى الذي يلي الشمال بالقرب من دبيل فيه من البلدان: قاليقلا وطبرستان وملطية ورومية وديلمان وجيلان وعمورية وسرخس ونسا وبيورد وكش والاندلس وما قرب من رومية وانطالية.

الإقليم السادس أوله حيث يكون الظل ستة أقدام وستة أعشار وسدس عشر قدم، يفضل آخره على ظل أوله قدما واحدة فقط، ويكون عرضه نحو من مائتي ميل ونيف قاصدا، ووقع طرفه الأدنى الذي يلي الجنوب حيث وقع الطرف الأقصى الشمالي الذي يليه من الإقليم الخامس وذلك سمت دبيل شرقا وغربا، فأما طرفه الأقصى الشمالي الذي يلي الشمال فوقع بالقرب من أرض خوارزم وما وراءها وأسيجاب مما يلي الترك، ووقع وسطه بالقرب من القسطنطينية ومن أمل خراسان ومن فرغانة وما كان في هذا سمت شرقا وغربا ووقع فيه: سمرقند وبرذعة وقبلة والخزر والجيل وأطراف الأندلس التي تلي الشمال وأطراف الصقالبة التي تلي الجنوب.

الإقليم السابع أوله الذي يكون الظل فيه سبعة أقدام ونصفا وعشرا وسدس عشر قدم، كما هو في الإقليم السادس لأن آخره الذي هو أول هذا وآخره الذي يلي الجنوب حيث وقع الطرف الأقصى الشمالي من الإقليم الذي يليه وهو السادس وذلك سمت خوارزم وطرابند شرقا وغربا، ووقع طرفه الأقصى الذي يلي الشمال في أقاصي أرض الصقالبة وأطراف الترك التي تلي خوارزم في الشمال، ووقع وسطه في بلاد اللان بلا مدن معروفة.

وقال عبد الله بن عمرو: الدنيا مسيرة خمسمائة سنة، أربعمائة سنة خراب ومائة عمران، موضع المسلمين منها سنة. وعن أبي الجلد قال: الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ، السودان اثنا عشر ألف فرسخ، والروم ثمانية آلاف فرسخ، وفارس ثلاثة آلاف، والعرب ألف فرسخ.

ذكر مملكة الإسلام

اعلم أن مملكة الإسلام حرسها الله تعالى ليست بمستوية فيمكن أن توصف بتربيع أو طول وعرض، وإنما هي متشعبة يعرف ذلك من تأمل مطالع الشمس ومغاربها، ودوخ البلدان وعرف المسالك ومسح الأقاليم بالفراسخ. وسنجهد في تقريب الوصف وتصويره لذوي العقول والإفهام إن شاء الله تعالى.

الشمس تغرب في حافة بلد المغرب ويرونها تنزل في البحر المحيط، وكذلك أهل الشام يرونها تغيب في بحر الروم. وإقليم مصر يأخذ من البحر الرومي طولاً إلى بلد النوبة، ويقع بين بحر القلزم وتخوم المغرب. ويمتد المغرب من تخوم مصر إلى البحر المحيط، مثل الشريطة يضغطه، من قبل الشمال بحر الروم ومن قبل الجنوب بلدان السودان. ويمد إقليم الشام من تخوم مصر نحو الشمال إلى بلد الروم، فيقع بين بحر الروم وبادية العرب. ويتصل بالبادية وبعض الشام بجزيرة العرب، ويدور على الجزيرة بحر الصين إلى عبادان من أرض مصر. ويتصل أرض العراق بالبادية وبعض الجزيرة. ويتصل بتخوم العراق الشمالية إقليم أقور فيمتد إلى بلد الروم وقد تقوس عليه الفرات من نحو الغرب، ووقع خلف الفرات بقية البادية وطرف من الشام، فهذه أقاليم العرب

ووقعت خوزستان والجبال على تخوم العراق الشرقية وطائفة من الجبال، وإقليم الرحاب على تخوم أقور الشرقية. ووقعت فارس وكرمان والسند خلف خوزستان على صف واحد، البحر جنوبيها والمفاضة وخراسان شماليها. وتاخمت السند وخراسان من قبل الشرق بلدان الكفر، وتاخمت الرحاب بلد الروم من قبل الغرب والشمال. ووقع إقليم الديلم بين الرحاب والجبال والمفاضة وخراسان. فهذه مملكة الإسلام فتدبرها وفيها تفتل وتعرج لمن شقها من شرقها إلى غربها. ألا ترى إنك إذا أخذت من البحر المحيط إلى مصر كنت على الاستواء ثم تميل يسيراً إلى العراق ثم تنفتل في أقاليم الاعاجم وخراسان مائلة إلى جهة الشمال، ألا ترى أن الشمس تطلع عن يمين بخارا من نحو أسبيجاب.

وأما مساحتها على الوصف الذي شرحناه فإنك تأخذ من البحر المحيط إلى القيروان مائة وعشرين مرحلة، ثم إلى النيل ستين مرحلة، ثم إلى دجلة خمسين مرحلة، ثم إلى جيحون ستين مرحلة، ثم إلى تونكت خمسة عشر يوماً، ثم إلى طراز خمسة عشر يوماً، وإن عطفت إلى فرغانة فمن جيحون إلى أوزكند ثلاثين مرحلة، وإن عطفت إلى كاشغر فأربعين مرحلة. ووجه آخر تأخذ من سواحل اليمن إلى البصرة خمسين يوماً، ثم إلى أصفهان مائة فرسخ وثمانية وثلاثين، ثم إلى نيسابور ثلاثين مرحلة، ثم إلى جيحون عشرين مرحلة، ثم إلى طراز ثلاثين مرحلة، وهذا على الاستواء، ويسقط إقليم مصر والمغرب والشام.

وأما العرض فمختلف جداً لأن إقليم المغرب قليل العرض وكذلك مصر، ثم إذا حاذيت الشام إتسعت المملكة، ثم لا تزال تتسع حتى تصير وراء جيحون إلى بلد السند نحو ثلاثة أشهر وأما أبو زيد فجعل العرض من ملطية، ماداً على الجزيرة والعراق وفارس وكرمان إلى أرض المنصورة، ولم يذكر المراحل إلا أنها تكون نحو أربعة أشهر غير عشرة أيام، والذي ذكرنا أبين واتقن فمن أقصى المشرق بكاشغر إلى السوس الأقصى نحو عشرة أشهر.

قدر للخليفة سنة ما يرتفع من الخراج والصدقات، سوى الحميات والجبايات من جميع المملكة، فبلغ ألفي ألف وثلثمائة ألف وعشرين ألفاً ومائتين وأربعة وستين ديناراً ونصفاً. قال وحسب خراج الروم للمعتصم فبلغ خمسمائة قنطار وكذا قنطاراً، فإذا به أقل من ثلاثة آلاف ألف دينار، فكتب إلى ملك الروم: إن أحس ناحية عليها أحس عبيدي، خراجها أكثر من خراج أرضك.

وطول المملكة على ما قدمنا ألفان وستمائة فرسخ، كل مائة فرسخ ألف ومائتا ألف ذراع. فالفرسخ اثنا عشر ألف ذراع، والذراع أربعة وعشرون أصبعاً. والاصبع ست حبات شعير مصفوفة بطون بعضها إلى بعض. والميل ثلث الفرسخ. وفي البريد خلاف بالبادية. والعراق اثنا عشر ميلاً، وبالشام وخراسان ستة، ألا ترى كيف بني بخراسان على كل فرسخين رباط، ورتب فيه أصحاب البريد، فبهذا نأخذ.

الجزء الأول

أقاليم العرب

جزيرة العرب

إنما بدأنا بجزيرة العرب لأن بها بيت الله الحرام، ومدينة النبي عليه الصلاة والسلام، ومنها انتشر دين الإسلام. وفيها كان الخلفاء الراشدون، والانصار والمهاجرون. وبها عقدت رايات المسلمين، وقويت أمور الدين. وأيضا فإن بها المشاعر والمناسك والمواقيت والمناحر. ثم هي عشرية قد ذكرها الأئمة في دواوينهم، ولا بد للمدرسين من معرفتها في شروحهم. ولأن منها دحييت الأرض ودعا إبراهيم عم الخلق. ومع ذلك فإنها تشتمل على حدود جلييلة وكور كبيرة وأعمال نفيسة. ألا ترى أن الحجاز كلها، واليمن بأسرها، وبلد سبأ والاحقاف واليامة والأشجار وهرج وعلان والطائف ونجران وحنين والمخلاف وحجر صالح وديار عاد وثمود والبيئر المعطلة والقصر المشيد وموضع إرم ذات العماد وأصحاب الأخدود وحبس شداد وقبرهود وديار كندة وجبل طيء وبيوت الفارحين بالواد وجبل سينا ومدين شعيب وعيون موسى فيها. وهي أمد الأقاليم مساحة وأفسحها ساحة وأفضلها تربة وأعظمها حرمة وأشرفها مدنا. بها صنعاء التي فاقت البلاد، وعدن التي تشد إليها الرحال، والمخاليف للإسلام فيها جمال. واليمن الجلييلة والحجاز. فإن قال قائل لم جعلت اليمن والمشرق والمغرب جانبيين جانبيين، قيل له: أما اليمن فالنبي صلى الله عليه وسلم جعلها حيث فرق مواقيتها في الأحرام. وأما خراسان فإن أبا زيد جعلها إقليمين وهو إمام في هذا العلم بخاصة في إقليمه، فلا عيب علينا إن جعلناها جانبيين. فإن قال فلم خالفته بعد ما نصيبته أماما فصيرت خراسان إقليما واحدا، قيل له لنا في هذا جوابان: أحدهما أنا لم نحب أن نفرق مملكة آل سامان إذ المشهور في الإسلام أنهم ملوك خراسان وأما دار ملكهم في هبطل. والجواب الثاني أن أبا عبدالله الجيهاني أيضا إمام في هذا العلم وهو لم يفرق خراسان. فقولنا من جهة يوافقهما ومن جهة يخالف. وهذه صورة جزيرة العرب.

وقد جعلناه أربع كور جلييلة، وأربع نواح نفيسة، والكور أولها الحجاز ثم اليمن ثم عمان ثم هجر. والنواحي: الاحقاف، والأشجار، اليامة، قرح. فأما الحجاز فقصبته مكة ومن مدنها: يثرب وبنبع وقرح وخبير والمروة والحوراء وجدة والطائف والجار والسقيا والعونيد والجخفة والعشيرة هذه أمهات، دونهن: بدر، خليص، أمج، الحجر، بدا يعقوب، السوارقية، الفرع، السيرة، جبلة، مهاج، حاذة. وأما اليمن فقسمان ما كان نحو البحر فهو غور وأسمه تهامة قصبته زبيد ومن مدنه: معقر، كدرة، مور، عطنة، الشرجة، دويمة، الحمضة، غلافقة، مخا، كمران، الحردة، اللسعة، شرمة، العشيرة، رنقة، الخصوف، الساعد، المهجم، وغيرهن. ناحية أبين مدنها: عدن لحج. وناحية عثر مدنها: ببش، حلى، السرين، وناحية السروات. وأما ما كان من ناحية الجبال فهو بلاد باردة تسمى نجدا قصبته صنعاء، ومن مدنها: صعدة، نجران، جرش، العرف، جبلان، الجند، زمار، نسفان، يحصب، السحول، المذبخرة، خولان. ناحيتها الاحقاف بها من المدن: حضرموت، حسب. وناحية مهرة مدينتها الشحر، وناحية سبأ. وأما عمان فقصبته صحار ومدنها: نزوة، السر، ضنك، حفيت، دبا، سلوت، جلفار، سمد، لسيا، ملح. وأما هجر فقصبته الاحساء ومدنها: سابون، الزرقاء، اوال، العقير، وناحيته اليامة. وأكثر مدن هذه الجزيرة صغار لكنها على أتين المدن. الآن نرجع إلى وصف ما أمكن من بلدان الكور وندع ما لا فائدة فمكة: هي مصر هذا الإقليم قد خطت حول الكعبة في شعب واد، رأيت لها ثلاث نظائر عمان بالشام واصطخر بفارس وقرية الحمراء بخراسان. بناؤها حجارة سود ملس وبيض أيضا، وعلوها الاجر كثيرة الاجنحة من خشب الساج، وهي طبقات مبيضة نظيفة، حارة في الصيف إلا أن ليلها طيب قد رفع الله عنهم مؤونة الدفأ وأراحهم من كلف الاصطلاء. وكلما نزل عن المسجد الحرام يسمونه المسفلة، وما ارتفع عنه المعلاة، وعرضها سعة الوادي. والمسجد في ثلثي البلد إلى المسفلة، والكعبة في وسطه، وفيه طول باب الكعبة مرتفع عن الأرض نحو قامة، عليه مصراعان ملبسان بصفائح الفضة قد طليت بالذهب قبل المشرق، طول المسجد ثلاثمائة ذراع وسبعون ذراعا، وعرضه ثلاثمائة وخمسة عشر ذراعا. وطول الكعبة أربعة وعشرون ذراعا وشبر في ثلاثة وعشرين ذراعا وشبر، وذرع دور الحجر خمسة وعشرون ذراعا، وذرع الطواف مائة ذراع وسبعة أذرع، وسمكها في السماء سبعة وعشرون ذراعا، والحجر من قبل الشام فيه يقرب الميزاب شبه أندر قد البست حيطانه بالرخام مع أرضه، إرتفاعها حقو ويسمونه العظيم، والطواف من ورائه ولا يجوز الصلاة إليه. فإن قال قائل إذا لم يجز الطواف إلا عليه فأجز الصلاة إليه، قيل له هذا كلام غير فهم لأنه مشكوك فيه فوجب أن يحتاط فيه من الوجهين. والحجر الاسود على الركن الشرقي عند الباب على لسان الزاوية مثل رأس الانسان، ينحني إليه من قبله يسيرا. وقبة زمزم تقابل الباب الطواف بينهما، ومن ورائها قبة الشراب، فيها حوض كان يسقي فيه السويق والسكر في القديم. والقام بازاء وسط البيت الذي فيه الباب وهو أقرب إلى البيت من زمزم،

يدخل في الطواف أيام الموسم ويكب. عليه صندوق حديد عظيم راسخ في الأرض، طوله أكثر من قامه، وله كسوة ويرفع المقام في كل موسم إلى البيت، فإذا رد جعل عليه صندوق خشب له باب يفتح أوقات الصلاة، فإذا سلم الإمام إستلمه ثم أغلق الباب، وفيه أثر قدم إبراهيم عم، مخالفة، وهو أسود وأكبر من الحجر. وقد فرش الطواف بالرمل، والمسجد بالحصى، وأدير على صحنه أروقة ثلاثة على أعمدة رخام، حملها المهدي من الاسكندرية في البحر إلى جدة، والمسجد من بنائه. قد ألبست حيطان الأروقة من الظاهر بالفسيفساء حمل إليها صناع الشام ومصر، الا ترى اسماءهم عليه وله تسعة عشر بابا: باب بني شيبية، باب النبي، باب بني هاشم، باب الزيتين، باب البزازين، باب الدقايق، باب بني مخزوم، باب الصفاء، باب زقاق الشطوي، باب التمارين، باب دار الوزير، باب جباد، باب الحزورة، باب إبراهيم، باب بني سهم، باب بني جمح، باب العجلة، باب الندوة، باب البشارة، وإليه الاسواق من المشرق والجنوب، ودور المصريين ومنازلهم من الغرب. ويقع السعي بين الصفا والمروة في السوق الشرقي، والعدو من قرنة المسجد إلى باب بني هاشم وثمان أميال خضر، وخلف هذين السوقين آخران إلى آخر المعلاة بينهما منافذ. فمن دخل من العراق وأراد باب بني شيبية فليتيامن وليسلك سوق رأس الردم ولا يسلك سوق الليل. ومن أراه من المصريين فإذا بلغ الجراحية خارج البلد عطف على اليسار إلى الثانية، ثم انحدر على المقابر إلى مدخل العراقيين. ويدخل إليها من ثلاثة وجوه، أبواب منى نحو العراق دربان ثم درب العمرة ثم درب اليمن بالمسفة، الجميع مصفحة بالحديد والبلد محصن. وأبو قبيس مطل على المسجد يصعد إليه من الصفا في درج. وقد أحاط بالطواف أميال من الصفر وخشبات فيها قناديل معلقة، ويجعل فوقها الشمع لملوك مصر واليمن والشار صاحب غرجستان.

وبمكة ثلاث برك تملأ من قناة شقتها زبيدة من بستان بني عامر، وآبار عذبية ومستغلاتهم الدور. أخبرنا أبو بكر بن عبدان الشيرازي، قال: حدثنا علي بن الحسين ابن معدان، قال: حدثنا محمد بن سليمان لوين المصيبي، قال: حدثنا أبو الأحوص عن الأشعث بن سليم عن الاسود بن يزيد، قال: قالت عائشة رضها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الحجر من البيت هو، قال: نعم، قلت: فمالهم لم يدخلوه في البيت، فقال: أن قومك قصرت بهم النفقة، قلت: فماشأن بابه مرتفعا، قال: فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا، ولولا أن قومك حديث عهد بالجاهلية فأخاف تنكر قلوبهم لنظرت أن أدخل الحجر في البيت وأن الزق بابه بالأرض. ويقال أن ابن الزبير أدخل عشرة من مشايخ الصحابة حتى سمعوا ذلك منها، ثم أمر بهدم الكعبة فاجتمع إليه الناس وأبوا ذلك، فأبى إلا هدمها، فخرج الناس إلى فرسخ خوفا من نزول عذاب، وعظم ذلك عليهم ولم يكن إلا الخير. وبنائها على ما حكته عائشة وتراجع الناس، فلما قدم الحجاج تحرم ابن الزبير بالكعبة، فأمر بوضع المنجنيق على أبي قبيس وقال: ارموا الزيادة التي ابتدعها هذا المكلف، فرموا موضع الحطيم، وأخرج ابن الزبير وصلبه، ورد الحائط كما كان في القديم، وأخذ بقية الاحجار فسد منها الباب الغربي، ورسف بقيتها في البيت كيلا تضيع.

وسمعت بعض مشايخ القيروان يقول حج المنصور فرأى صغر المسجد الحرام وشعته وقلة معرفتهم بحرمته، ورأى الإعرابي يطوف بالبيت على بغيره وبجاوية، فسأله ذلك وعزم على شراء ما حوله من الدور وزيادتها فيه، وتقضيته وتخصيصه. فجمع أصحابها ورغبهم في الاموال الجمة فتأبوا عن بيعها وضنوا بجوار بيت الله الحرام، فاهتم لذلك ولم يجز أن يغضبها عليهم، ولم يظهر للناس ثلاثة أيام. وتحدث الناس بذلك وأبو حنيفة في تلك السنة حاج، ليس له بعد ذكر ولا ظهر الناس على فقهه، وصائب رأيه، قال: فقصد خيامه وكانت بالابطح، فسأل عن أمير المؤمنين وما الذي غيب شخصه. فذكرت القصة، فقال: هذا باب هين لو قد لقيته عرضته عليه. فأنهني ذلك إليه، فأمر بإحضاره. فلما سأله عن ذلك قال أبو حنيفة: يحضرهم أمير المؤمنين فيسألهم أهذه الكعبة نزلت عليكم أم أنتم نزلتم عليها. فإن قالوا نزلت علينا كذبوا، لأن منها دحيث الأرض. وإن قالوا نحن نزلنا عليها، فجوابهم أنه قد كثر زوارها وضافت ساحتها، فهي أحق بفنائها، ففرغوه لها. فلما جمعهم وسألهم قال سفيرهم وكان رجلا هاشميا، نحن نزلنا عليها. قال: ردوا فناءها فقد كثر زوارها واحتاجت إليه، فبهتوا ورضوا بالبيع. وهذه الحكاية تقوي إحدى الروايتين عن أبي حنيفة كراهية بيع دور مكة وأخذ أجورها إلا على تأويل.

مدينة منى: على فرسخ من مكة، وهي من الحرم. طولها ميلان، تعمر أيام الموسم وتخلو بقية السنة إلا ممن يحفظها. وكان أبو الحسن الكرخي يحتج لأبي حنيفة في جواز الجمعة بها إنها ومكة كمصر واحد. فلما حج أبو بكر الجصاص ورأى بعد ما بينهما استضعف هذه العلة وقال: إنها مصر من أمصار المسلمين، تعمر وقتا وتخلو وقتا، وخلوها لا يخرجها من حد الامصار، وعلى هذه العلة يعتمد القاضي أبو الحسين القزويني. وسألني يوما: كم يسكنها وسط السنة من الناس. قلت عشرون ثلاثون رجلا وقل مضرب إلا وفيه امرأة تحفظه، قال: صدق أبو بكر وأصاب فيما علمك. فلما لقيت الفقيه أبا حامد البغولني بنيسابور حكيت له ذلك، فقال: العلة ما نص بها أبو الحسن إلا ترى إلى قول الله عز اسمه: " ثم ملحها إلى البيت العتيق " ، وقال: " هديا بالغ الكعبة وإنما يقع النحر بمنى " . وقل بلد مذكور في الاسلام إلا ولأهله به مضرب، وعلى رأسها من نحو مكة عقبة ترمي عليها الجمره يوم النحر، والثالث من الأيام الآخر، والأولى بقرب مسجد الخيف، والوسطى بينهما. ومنى

شعبان فيهما أُنقته، والمسجد في الشارع الايمن، ومسجد الكبش بقرب العقبة، بها آبار ومصانع وقياسير وحوانيت حسنة البناء بالحجر وخشب الساج، وهي بين جبلين يطلان عليها.

والمزدلفة: على فرسخ من منى، بها مصلى وسقاية ومنارة وبرك عدة إلى جبل ثبير. وكانت العرب تقول أشرق ثبير كيما نغير على الخلاف وتسمى جمعا والمشعر الحرام.

عرفة: قرية فيها مزارع وخضر ومباح، وبها دور حسنة لأهل مكة ينزلونها يوم عرفة، والموقف منها على صيحة عند جبل متلاط، وثم سقايات وحياض وقناة تخر وعلم قد بني يقف خلفه الأمام للدعاء، والناس حوله على جبال بقربه لاطية. والمصلى على حافة وادي عرنة على تخوم عرفة. ولا يجوز الوقوف بالوادي، ومن خرج إليه قبل غيبوبة الشمس وجب عليه دم. وعلى حد عرفة أعلام بيض، وفي المصلى منبر من الأجر، وخلفه حوض كبير، وقبله بميلين المأزمين هي حد الحرم. بطن محسر: واد بين منى والمزدلفة، هوتخم المزدلفة. التنعيم: موضع به مساجد حول مسجد عائشة، وسقايات على طريق المدينة منه يحرم المكيون بالعمرة، ويحدق بالحرم أعلام بيض، وهو من طريق الغرب التنعيم ثلاثة أميال، ومن طريق العراق تسعة أميال، ومن طريق اليمن سبعة أميال، ومن طريق الطائف احد عشر ميلا، ومن طريق الجادة عشرة أميال. ذوالحليفة: قرية عند يثرب، بها مسجد عامر، وبالقرب آبار، ولا يرى بها ديار. الجحفة: مدينة عامرة يسكنها بنوجعفر، عليها حصن ببابين، وبها أبريسيرة، وعلى ميلين عين وبها بركة كبيرة ربما عز بها الماء وهي كثيرة الحمى. أخبرنا شافع بن محمد قال: حدثنا علي بن الرجاء قال: حدثنا أبو عتبة قال: حدثنا محمد بن يوسف قال: حدثنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب إلينا المدينة كما حبيب إلينا مكة وأشد وأنقل حماها إلى الجحفة. قرن: مدينة صغيرة خلف الطائف على طريق صنعاء. يلملم: منزل على طريق زبيد عامر. ذات عرق: قرية بها آبار قريبة المستقى يابسة عابسة على منزلين. أخبرنا إبراهيم بن عبدالله الاصبهاني قال: أخبرنا محمد بن إسحاق السراج قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا الليث بن سعد قال: حدثنا نافع مولى ابن عمر عن عبدالله بن عمر: أن رجلا قام في المسجد فقال يا رسول الله من أين تأمرنا أن نهل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهل أهل المدينة من ذي الحليفة، ويهل أهل الشام من الجحفة، ويهل أهل نجد من قرن، فقال ابن عمر: يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يهل أهل اليمن من يلملم في حديث آخر، ويهل أهل العراق من ذات عرق. الذيب: ميقات الغرب في البحر جبل أزاء الجحفة. شقان: ميقات أهل اليمن في البحر موضع يقال يلملم. عيذاب: مدينة قبالة جدة، يحرم منها من قصد من ذلك الوجه. فهذه مواقيت الأفاق فمن جاوزهن يريد مكة ثم رجع نظر فإن كان لبي سقط عنه الدم، وقال بعض لا يسقط، وقال بعض يسقط وإن لم يلب. ولا يجاوز أفاقي ميقاتا إلا محرما وإن لم يكن ميقاته كالشامي إذا اجتاز بذوي الحليفة. وميقات أهل مكة في الحج منها. الجعرانة: على مرحلة من مكة يخرج الناس إليها في الاحرام بالعمرة.

فهذه مشاهد المناسك وجميع ما يؤدي فيها ثلاث فرائض وست واجبات وخمس سنن. أما الفرائض: فالاحرام، والوقوف بعرفة، واطواف للزيارة. والواجبات: الاحرام من الوقت، والسعي بين الصفا والمروة، والافاضة من عرفات بعد المغرب. والسنن: طواف القدوم والرمل في ثلاثة أشواط منه، والعدو في السعي بين العلمين، والافاضة من المزدلفة قبل الطلوع، والاقامة بمنى أيام منى. وقال بعضهم السعي فرض وقال بعض طواف القدوم واجب وطواف الصدر سنة.

نرجع الآن إلى وصف مدائن هذه الكورة ونواحيها على الترتيب.

الطائف: مدينة صغيرة، شامية الهواء، باردة الماء، أكثر فواكه مكة منها، موضع الرمان الكثير والزبيب والعنب الجيد والفواكه الحسنة. وهي على ظهر جبل غزوان، ربما يجلد بها الماء، عامتها مدايع، إذا تأذى مكة بالحر خرجوا إليها.

جدة: مدينة على البحر، منه اشتق اسمها، محصنة عامرة أهلة، أهل تجارات ويسار، خزانة مكة ومطرح اليمن ومصر. وبها جامع سري، غير أنهم في تعب من الماء مع أن فيها بركا كثيرة، ويحمل إليهم الماء من البعد، قدغلب عليها الفرس. لهم بها قصور عجيبة، وازقتها مستقيمة، ووضعها حسن، شديدة الحر جدا. أمج: صغيرة بها خمسة حصون إثنان حجر وثلاثة مدر، والجامع على متن الطريق. خليص: متصلة بها وبها بركة وقناة وتمور وخضر ومزارع.

السوارقية: كثيرة الحصون بها بساتين ومزارع كثيرة ومواش. الفرع والسيرة: حصنان بكل واحد جامع. جبلة: كبيرة بها متاجر، عليها حصن منيع يقال له المهدي، الجامع خارجه. مهايح: نظير جبلة على أودية ساية. حاذة: مدينة مليحة للبكرين بها عدة من الحصون وجامع كبير.

يثرب: هي مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وقد جعلناها ناحية لما قد أحاط بها من المدن الخطيرة والسواحل المذكورة، تكون أقل من نصف مكة، يحيط بأكثرها بساتين ونخيل وقرى، ولهم مزارع قليلة ومياه عذبية، وفيها حياض تغلب فيها قنى عند أبواب البلد ينحدر إليها في درج. وقد جر عمر رضه إلى باب الجامع قناة قد أختلت، والاسواق عند الجامع لها نور وبهاء، أكثرهم بنو الحسين بن علي رضهما. بنيانهم مدر، ملححة الأرض، قليلة الأهل، والمسجد في ثلثيها مما يلي بقيع الغرقد على عمل جامع دمشق ليس بالكبير، وهو جامع دمشق من بناء الوليد بن عبد الملك، وقد زاد فيه بنو العباس. وقال صلى الله عليه وسلم " لو مد هذا المسجد إلى صنعاء كان مسجدي. وأول من زاد فيه عمر رضه من الاساطين التي إليها المقصورة اليوم إلى الجدار القبلي. ثم زاد عثمان رضه من قبل القبلة إلى موضعه اليوم. ثم زاد فيه الوليد، ولم يزد الله، ولكن من أجل بيت الحسن بن الحسن بن علي رضه الذي كان بابه في المسجد، وكان يخرج منه عند الإقامة، فبناه بالحجارة المنقوشة والفسافسا، وتولى بناءه عمر بن عبد العزيز رضه. فلما بلغ هدم المحراب دعا بمشايع المهاجرين والانصار فقال احضروا بنيان قبلكم لا تقولوا غيرها عمر. فوقع زيادة الوليد من المشرق إلى المغرب ست أساطين، وزاد إلى الشام من المربعة التي في القبر أربع عشرة أسطوانة، منها عشر في الرحبة، وأربع في السقائق. ثم حج المهدي سنة فزاد فيه مائة ذراع، من ناحية الشام عشر أساطين. فطوله اليوم مائة وأربعة وخمسون ذراعاً، وعرضه مائة وثلاثة وستون ذراعاً، وطول الصحن مائة وخمسة وستون ذراعاً، وعرضه مائة وخمسة وستون ذراعاً.

قال وكتب الوليد إلى ملك الروم أنا نريد أن نعلم مسجد نبينا الاعظم، فأعني فيه بصناع وفسافسا. فبعث إليه باحمال وبضعة وعشرين صناعاً. فيهم عشرة يعدلون مائة وثمانين ألف دينار. قال فخلا لهم المسجد، فعمد أحدهم فقال أبول على قبر نبيهم، فلما حل سراويله ببس مكانه. وقد اختلف الناس في ترتيب قبر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه في رواية النبي من ورائه أبو بكر ومن ورائه عمر. وفي رواية مالك ابن انس النبي غربي البيت أراه فضاء، خلف النبي أبو بكر، خلف الفضاء عمر. والفضاء هو الذي ذكر لعمر بن عبد العزيز، فلم ير نفسه له أهلاً. ويقال فيه يقبر عيسى عم. حدثنا أبو بكر محمد بن علي الفقيه بساوة قال: حدثنا محمد بن هلال الشاشي قال: حدثنا محمد بن اسحاق قال: حدثنا يونس قال: حدثنا محمد بن اسماعيل بن أبي فديك عن عمرو بن عثمان عن القاسم قال: دخلت على عائشة فقلت يا أمه اكشفي عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه. فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطية مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء، قال: فرأيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم مقدماً، وأبا بكر عند رأسه، وجليه بين كتفي النبي، وعمر رأسه عند رجلي النبي صلى الله عليه وسلم والمنبر وسط المغطى غلاف منبر النبي صلى الله عليه وسلم في روضة مرخمة، والروضه المنعوتة إلى جانب سارية حمراء بين المنبر والقبر. وقرأت في اخبار المدينة أن معاوية أمر بحمل المنبر إلى جانب المحراب كسائر المنابر. فلما اخذوا في نقله تزلزلت المدينة واقلبت الصواعق فقال اتركوه، وامر بعمل هذا المنبر فوقه وهو خمس درجات، والأول ثلاث. وللمسجد عشرون باباً. والمدينة هائلة الأبواب ولها أربعة أبواب: باب البقيع، وباب الثنية، وباب جهينة، وباب الخندق، والخندق من نحو مكة عامرة الحصن مشرفة.

البقيع: شرقي المدينة، مليحة التربة، فيه قبر ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم والحسن وعدة من الصحابة وقبر عثمان في اقصاه. قبا: قرية على ميلين على يسار طريق مكة، بها بنيان كثير من الحجارة، وثم مسجد التقوى عامر قدامه رصيف وفضاء حسن وأثار وماء عذب، وبها مسجد الضرار يتطوع العوام بهدمه. أحد: جبل على ثلاثة أميال، قبله قبر حمزة في مسجد قدامة بئر ثم بعده حظيرة فيها قبور الشهداء، وفي الجبل موضع اختبأ فيه النبي صلى الله عليه وسلم وهو أقرب الجبال إلى المدينة. العقيق: قرية على ميلين، عامرة من نحو مكة بها ينزل السلطان، وماؤها عذب، وما بين لا بتي المدينة حرم كحرم مكة.

بدر: مدينة صغيرة من نحو الساحل، جيدة التمر، وثم عين النبي صلى الله عليه وسلم وموضع الوقعة ومساجد بناها ملوك مصر. الجار: على ساحل البحر، محصنة بثلاث حيطان والربع البحري مفوه، بها دور شاهقة وسوق عامر، خزنة المدينة ومدنها يحمل إليهم الماء من بدر والطعام من مصر، وليس لجامعهم صحن. العشيرة: صغيرة على الساحل قبيل ينبع، عندها نخيلات وليس لخاتها نظير. ينبع: كبيرة جليلة حصينة الجدار غزيرة الماء أعمر من يثرب وأكثر نخيلاً، حسنة الحصن حارة السوق، لها بابان الجامع عند أحدهما، الغالب عليها بنو الحسن. رأس العين: على اثني عشر ميلاً. المروة: بلد حصين كثيرة

النخيل جيدة التمور، سقياهم من قناة غزيرة عليها خندق وأبواب حديد وهي معدن المقل والبردى، حارة في الصيف، الغالب عليها بنو جعفر. الحوارة: هي ساحل خيبر، لها حصن وربض عامر فيه سوق من نحو البحر. خيبر: بلد حصين مثل المروة، بها جامع حسن، وثم الباب الذي قلعه أمير المؤمنين، وهي والمروة والحوارة مدن خيبر.

ناحية قرح: تسمى وادي القرى، وليس بالحجاز اليوم بلد، اجل واعمر وأهل وأكثر تجارا وأموالاً وخيرات بعد مكة من هذا، عليها حصن منيع على قرننته قلعة قد أحرق به القرى واكنف به النخيل، ذو تمور رخيصة واخباز حسنة ومياه غزيرة ومنازل أنيقة وأسواق حارة، عليه خندق وثلاثة أبواب محددة والجامع في الأزقة في محرابه عظم، قالوا هو الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم لا تأكلني فأنا مسموم، وهو بلد شامي مصري عراقي حجازي، غير أن ماءهم ثقيل وتمرمهم وسط وحمامهم خارج البلد، والغالب عليها اليهود. الحجر: صغيرة حصينة، كثيرة الآبار والمزارع، ومسجد صالح بالقرب على نشرة مثل الصفة فد تقر في صخرة، وثم عجائب ثمود وبيوتهم. سقيا يزيد: هي أحسن مدن هذه الناحية، والنخيل والبساتين متصلة من قرح إليها، والجامع خارج البلد. بدا يعقوب: على جادة مصر، عامرة أهلة. العونيد: هي ساحل قرح، عامرة كثيرة العسل ولها مرسى حسن.

زبيد: قصبة تهامة، وهو أحد المصريين لأنه مستقر ملوك اليمن، بلد جليل حسن البنيان يسمونه بغداد اليمن، لهم أدنى ظرف وبه تجار وكبار وعلماء وأدباء، مفيد لمن دخله مبارك على من سكنه، آبارهم حلوة وحماماتهم نظيفة، عليه حصن من الطين بأربعة أبواب: باب غلافقه، وباب عدن، وباب هشام، وباب شبارق. وحولها قرى ومزارع أعمر من مكة وأكبر وأرفق، أكثر بنيانهم الأجر ومنازلهم فسيحة طيبة، والجامع ناء عن الأسواق نظيف مبريق الأرض، تحت المنبر تقوير ليتصل الصف، وقد أجرى إليها ابن زياد قناة، وهو بلد نفيس ليس باليمن مثله، غير أن أسواقه ضيقة والأسعار بها غالية والثمار قليلة أكثر طعامهم الدخن والذرة. معقر: على جادة عدن، وكذلك عبيرة وعارة والمخفق وكلهن صغار. عدن: بلد جليل عامر أهل، حصين خفيف، دهليز الصين وفرضة اليمن وخزانة المغرب ومعدن التجارات، كثير القصور، مبارك على من دخله مثل من سكنه، مساجد حسان ومعایش واسعة واخلاق طاهرة ونعم ظاهرة، وبارك النبي صلى الله عليه وسلم في سوق منى وعدن وهو في شبه صيرة الغنم قد احاط به جبل بما يدور إلى البحر، ودار خلف الجبل لسان من البحر، فلا يدخل إليه إلا أن يخاض ذلك اللسان فيصل إلى الجبل، وقد شق فيه طريق في الصخر عجيب، وجعل عليه باب حديد ومدوا من نحو البحر حائطاً، الجبل إلى الجبل فيه خمسة أبواب، والجامع ناء عن الأسواق ولهم آبار مالحة وحياض عدة، ويقال إنها كانت في القديم حبس شداد بن عاد، إلا إنها يابسة عابسة لا زرع ولا ضرع ولا شجر ولا ثمر ولا ماء ولا كلاً، كثيرة الحريق والوكف، جامع شعث وهرج وحش وحمامات ردية يحمل إليهم الماء من مرحلة. أبين: هي أقدم من عدن، وإليها تنسب عدن لأن برهم وفواكههم وخضرم منها لكثرة القرى والمزارع بها، وكذلك لهج. مندم: على البحر عامرة بها يعتقل الريح المراكب، قشفة. مخا: مدينة لزبيد، عامرة كثيرة السليط، شربهم من عين خارج البلد، والجامع على طرفه على الساحل. غلافقة: فرضة زبيد، بها جامع على البحر رأيتهم يفضلونه ويرابطون فيه، عامرة أهلة بها نخيل ونارجيل وآبار حلوة، إلا إنها وبية قاتلة للغرباء.

الشرجة والحرده وعطنه: مدن على الساحل بهن خزائن الذرة تحمل إلى عدن.

جدة: بلد اللين، يحمل إليهم الماء من بعد، وجوامعهم على الساحل.

ناحية عثر: ناحية جلييلة، عليها سلطان براسه، ومدنها نفيسة، وعثر مدينة كبيرة طيبة مذكورة لأنها قصبة الناحية وفرضة صنعاء. صعدة: بها سوق حسن، وجامع عامر، يحمل إليهم الماء من بعد وحمامهم وضر.

بيش: أطيب هواء منها وأعذب ماء، بها ينزل السلطان داره إلى جانب الجامع. الجريب: بلد الموز، وهو أرخى مدن الناحية وأعجبها إلي.

حلي: مدينة ساحلية، عامرة سرية رقيقة. السرين: بلد صغير، له حصن، الجامع فيه على باب البلد. مصنعة: وهو فرضة السروات. السروات: معدن الحبوب والخيرات والتمور الردية والعسل الكثير، لا أدري هي مدن أم قرى لأنها ما دخلتها.

صنعاء: هي قسبة نجد اليمن، وقد كانت أجل من زبيد واعمر، وكان الاسم لها وأما اليوم فقد أختلت، غير إن بها مشايخ لم أر بجميع اليمن مثلهم هياة وعقلا، ثم بلد رجب كثير الفواكه رخيص الاسعار أخباز حسنة وتجارات مفيدة، أكبر من زبيد، ولا تسأل عن طيب الهواء فإنه عجب ومع ذلك رفق معف.

صعدة: أصغر من صنعاء، عامرة في الجبال بها تصنع الركاء الجيدة والانطاع الحسنة، ومنها يرتفع أدم جيد، وهي مدينة العلوية وعملهم. جرش: مدينة وسطة ذات نخل، واليمن ليس ببلد نخيل. نجران: مثل جرش وهما دون صعدة، وأكثر ما ترى من الادم فمن هذه المدن. الحميري: هو بلد قحطان بين زبيد وصنعاء، كثير القرى ردي الهواء وبي مفيد للتجار. المعافر: بلد واسع ذو مزارع وقرى وفوائد. سبأ: بلد خلف هذه النواحي عامر المدينة خرب العمل. حضرموت: هي قسبة الاحقاق، موضوعة في الرمال عامرة نائية عن الساحل، أهلة، لهم في العلم والخير رغبة، إلا أنهم شرارة شديد سمرتهم. الشحر: مدينة على البحر، معدن السمك العظيم يحمل إلى عمان وعدن ثم إلى البصرة وأطراف اليمن، وثم أشجار الكندر صمغها. وموضع إرم ذات العماد ليس لها أثر، من لحج إليها فرسخان في مستوى، فتراها من البعد تشرق فإذا قربت لم تر شيئا، وماء عدن من ثم. سخين: مدينة قريش، يقال لهم بنو سامة سمدت أنهم في أربعة آلاف قوس. الشقرة: ديار خثعم، ثم نخيل وقرى قد أحاط بها.

واعلم أن اليمن موضع واسع، قد أقيمت به حولا كاملا، ودخلت هذه البلدان التي وصفت وغاب عني منه الكثير، غير أني أذكر ما سمعت فيه من أهل الخبرة واستوعب مخاليفه وإن لم أطأ الجميع، لأنه بلد يميز بالمخاليف، وأذكر وضع جزيرة العرب وتمثيلها بوصف يقف عليه كل أحد إن شاء الله تعالى. مخاليف اليمن: مخلاف صنعاء والخشب ورحابة ومرمل مخلاف البيون مخلاف خيوان. وعلى يمين صنعاء: مخلاف شاكر ووادة وبيام وأرخب. ومن نحو الطائف مخلاف نجران وتربة والهجيرة وكثبة وجرش والسرارة مخلاف بتهامة ضنكان عشم بيضة عك ومخلاف الحردة مخلاف همدان مخلاف جوف همدان مخلاف جوف مراد مخلاف شنوءه وصدى وجعفى مخلاف الجسرة مخلاف المشرق وبوشان وغدر مخلاف أعلا وانعم والمصنعتين ويني غطيف وقرية مأرب ومخلاف حضرموت مخلاف خولان رداغ مخلاف أحور مخلاف الحقل وذمار مخلاف ابن عامر وثات ورداغ مخلاف دثينة مخلاف السرو مخلاف رعين وكحلان مخلاف ضنكان وذبحان مخلاف نافع ومصحى مخلاف حجر ويدر وأحلة والصهيب مخلاف الثجة والمزرع مخلاف ذي مكارم والأملاك مخلاف السلف والأدم مخلاف نجلان ونهب مخلاف الجند مخلاف السكاسك. ومن نحو المعافر: مخلاف الزبيدي نخلان المعافر بني مجيد مخلاف الركب مخلاف سقف مخلاف المذيخرة مخلاف حمل وشرعب مخلاف عنة وعنابة. ومن الوجه الآخر: مخلاف وحاطة مخلاف سفلى يحصب مخلاف القفاعة والوزيرة والحجر مخلاف زبيد وبازانه ساحل غلافة وساحل المنذب مخلاف رمع مخلاف مقرى مخلاف ألهان مخلاف جبلان مخلاف ذي جرة مخلاف الميتم مخلاف الم. ومن ناحية ظهر صنعاء: مخلاف خولان لخلاف ميسارع مخلاف حراز وهوزن مخلاف الأخرج مخلاف مجنح مخلاف حضور مخلاف ماجن مخلاف واضع المعلل مخلاف العسبة مخلاف خناصر وملحان حكم وجازان ومرسى الشرجة مخلاف حجور مخلاف قم ويحادي قرية مهجرة مخلاف حية والكودن مخلاف مسخ مخلاف كندة والسكون مخلاف الصدف.

صحار: هي قسبة عمان، ليس على بحر الصين اليوم بلد أجل منه، عامر أهل حسن طيب نزه، ذو يسار وتجار وفواكه وخيرات أسرى من زبيد وصنعاء، أسواق عجيبة وبلدة ظريفة، ممتدة على البحر، دورهم من الأجر والساج شاهقة نفيسة، والجامع على البحر له منارة حسنة طويلة في آخر الاسواق، ولهم آبار عذبية وقناة حلوة وهم في سعة من كل شيء، دهلين الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن، قدغلب عليها الفرس، المصلى وسط النخيل. ومسجد صحار على نصف فرسخ ثم بركت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بني أحسن بناء، وهواءه أطيب هواء من القسبة، ومحراب الجامع بلولب يدور تراه مرة أصفر وكرة اخضر وحينا أحمر.

نزوة: في حد الجبال كبيرة، بنيانهم، طين، والجامع وسط السوق إذا غلب الوادي في الشتاء دخله، شربهم من أنهار وآبار. السر: أصغر من نزوة، والجامع في السوق، شربهم من أنهار وآبار قد التفت بها النخيل. ضنك: صغيرة في النخيل، أبدا بها سلطان قوي لأنهم شرارة عصاة. حفيت: كثيرة النخيل من نحو هجر، الجامع في الاسواق. سلوت: مدينة كبيرة على يسار نزوة. دبا وخلفار: وهما من نحو هجر قريبتان من البحر. وسمد منبر لنزوة. لسيا ومييم وبرنم والقلعة وضنكان مدن أيضا، والمسقط أول ما يستقبل المراكب اليمنية، ورايته موضعا حسنا كثير الفواكه. توأم: قد غلب عليها قوم من قريش فيهم بأس وشدة. عمان: كورة جليلة، تكون ثمانين فرسخا في مثلها كلها نخيل وبساتين عامة، سقياهم من آبار قريبة ينزعها البقر أكثرها في الجبال، وأهل هذه المدن التي ذكرنا عرب شرارة. الأحساء: قسبة هجر وتسمى البحرين، كبيرة كثيرة النخيل عامرة أهلة،

معدن الحروالقحط، على مرحلة من البحر، ولهم شبه نبع متجر وثم جزائر، وبها مستقر القرامطة من آل أبي سعيد، ثم نظر وعدل، غير أن الجامع معطل، وبالقرب خزانة المهدي وخزائن أخر لهم أيضا فبعض الأموال بتلك وبقية في خزائهم. الزرقاء وسابون في خزائهم وكذلك اوال وسائر المدن في البحر أو قريبات من البحر. اليمامة: ناحية قصبتهما الحجر، بلد كبير جيد التمور يحيط به حصون ومدن منها الفلج.

واعلم أن مثل هذه الجزيرة كمثلهما أدنى طول قد وضع فيها سرير من صدرها إلى بابها، بينه وبين الحائطين من يمين وشمال فضاء، والسرير قطعان فالسرير الداخل هو نجد اليمن وهي جبال تقع فيها صنعاء وصعدة وجرش ونجران وبلد قحطان وعدن في الصدر في آخر الجبل، لأن الثلاث حيطان هو بحر الصين وهذه السروات عامرة بها الاغاب والمزارع، والفضاء الذي عن يمين السرير تهامة تقع فيه زبيد وبلدانها، والفضاء الذي عن يساره يسمى نجد اليمن تقع فيه الاحقاف ومهرة إلى تخوم اليمامة، ومنهم من يدخلها وعمان في هذه الخطة، وهذا السرير مع الفضائين هي اليمن، والسرير المؤخر إلى باب الصفة يسمى الحرة. من تخوم اليمن إلى قرح جبال كلها يابسة لا ينبت إلا مواقع المواشي والعضون، والثمام يقع فيه الحرم، والعمق ومعدن النقرة وتلك المجادب والفضاء الايمن يسمى الحجاب، وطية الحجاز قليلة يقع فيها ينبع والمروة والعميص، والسواحل عمارات ونخيل، والفضاء الايسر يسمى نجد الحجاز يقع فيه اليمامة وفيد، وما على الجادة من المنازل ويسمى هذا السرير مع فضائيه الحجاز، ويدخل هجر فيه ويقابل باب الصفة البادية وهذا شيء رأيتهم وقسمته والله أعلم.

جمل شؤون هذا الإقليم

هو اقليم شديد الحر، إلا السروات فإن هواءها معتدل، حدثت أن رجلا بصنعاء طبخ قدرا من اللحم ثم ذهب إلى الحج فعاد وما تغيرت ولباسهم في الشتاء والصيف واحد، والليل بمكة في الصيف طيب، كرب بتهامة، وينزل عليهم بعمان في الليالي شبه الدبس، ويكون بالحرم حر عظيم وريح تقتل وذباب في غاية الكثرة وهو قليل الثمار إلا السروات، وليس باليمن نخيل ولا مياه غزيرة وسواحله قشفة معدوم بها الماء إلا غلافة، وإنما سكنوا تلك المدن لأجل البحر وليس في جميع الإقليم بحيرة ولا نهر يجري فيه السفن. قليل الفقهاء والمذكرين والقراء واليهود به أكثر من النصارى ولا ذمة غيرهم، ولم أر به مجذوما. وحدثنا أبو الفضل بن نهامة بشيراز قال: حدثنا أبو سعيد خلف بن الفضل قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن حمدان قال: حدثنا عمرو بن علي بن يحيى بن كثير قال: حدثنا عامر بن ابراهيم الاصبهاني قال: حدثنا خطاب بن جعفر قال: حدثنا أبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله " رحلة الشتاء والصيف " قال: كانوا يشنون بمكة ويصيفون بالطائف. وفي قوله " وأمنهم من خوف " قال خوف الجذام. وبه برص وسودان كثير وعامتهم سمر والغالب عليهم الدقة والهزال، أكثر ثيابهم القطن متعلين لا يقولون بالمماطر ولا تلج لهم ولا جليد ولا فواكه في الشتاء ولا قديد إلا ما يجفف من ذبائح منى.

ومذاهبهم بمكة وتهامة وصنعاء وقرح سنة، وسواد صنعاء ونواحيها مع سواد عمان شراة غالبية، وبقية الحجاز وأهل الرأي بعمان وهجر وصعدة شيعية، وشيعة عمان وصعدة وأهل السروات وسواحل الحرمين معتزلة إلا عمان. والغالب على صنعاء وصعدة أصحاب أبي حنيفة والجوامع بأبيديهم، وبالمعافر مذهب ابن المنذر، وفي نواحي نجد اليمن مذهب سفيان، والاذان بتهامة ومكة يرجع وإذا تدبرت العمل على مذهب مالك، ويكبر بزبيد في العيدين على قول ابن مسعود: أحدثه القاضي أبو عبدالله الصعواني وقت كوني، ثم والعمل بهجر على مذهب القرامطة، وبعمان داودية لهم مجلس.

أهل هذا الإقليم لغتهم العربية إلا بصحار فإن نداؤهم وكلامهم بالفارسية، وأكثر أهل عدن وجدة فرس إلا أن اللغة عربية، وبطرف الحميري قبيلة من العرب لا يفهم كلامهم، وأهل عدن يقولون لرجليه رجلينه وليديه يدينه وقس عليه ويجعلون الجيم كافا فيقولون لرجب ركب ولرجل ركل وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بروثة عند الاستجمار فألقاها وقال هي ركس، وقد تعنى الفقهاء هذا فيجوز ما قالوه ويجوز أن يكون أستعمل هذه اللغة. وجميع لغات العرب موجودة في بوادي هذه الجزيرة إلا أن أصح بها لغة هذيل ثم النجدين ثم بقية الحجاز إلا الاحقاف فإن لسانهم وحش.

القراءات بمكة، على حرف ابن كثير، وباليمن قراءة عاصم، ثم قراءة أبي عمرو مستعملة في جميع الإقليم. وسمعت بعض صدور القراء بمكة يقول ما رأينا ولا سمعنا أن أحدا أم خلف هذا المقام بغير قراءة ابن كثير إلا في هذا الزمان.

والتجارات في هذا الإقليم مفيدة لأن به فرضتي الدنيا وسوق منى والبحر المتصل بالصين وجدة والجار خزائني مصر، ووادي القرى مطرح الشام والعراق، واليمن معدن العصائب والعقيق والادم والرقيق، فالى عمان يخرج آلات الصيادلة

والعطر كله حتى المسك والزعفران والبقم والساج والساسم والعاج واللؤلؤ والديباج والجزع واليوا قيت والابنوس والنارجيل والقند والاسكندروس والصبر والحديد والرصاص والخيزران والغضار والصندل والبلور والفلفل وغير ذلك. وتزيد عدن بالعنبر والشروب والدرق والحشب والخدم وجلود النمر وما لو استقصيناه طال الكتاب، وبتجارات الصين تضرب الأمثال ثم قولهم جاءوك تجرا أو ملكا.

ولما ركبت بحر اليمن إتفق اجتماعي مع أبي علي الحافظ المروزي في الجلبة، فلما تأكدت المعرفة بيننا قال لي قد شغلت والله قلبي. قلت: بماذا، قال: أراك رجلا على طريق حسنة تحب الخير وأهله وترغب في جمع العلوم وقد قصدت بلادا قد غرت كثيرا من الناس وصدتهم عن طريق الورع والقناعة وأخشى إذا أنت دخلت عدن فسمعت أن رجلا ذهب بألف درهم فرجع بألف دينار وآخر دخل بمائة فرجع بخمسمائة وآخر بكندر فرجع بمثله كافورا، طلبت نفسك التكاثر. قلت أرجو أن يعصم الله، فلما دخلتها وسمعت أكثر مما قال غرني والله ما غر القوم، وعملت على الذهاب إلى ناحية الزنج، وأتيت ما ينبغي أن يشتري، وتقدمت فيه إلى الوكلاء فبرد الله عز اسمه ذلك على قلبي بموت شريك كنت عاقدته وكسرت نفسي بذكر الموت وما بعده، واعلم هديت أن مع كل ربح مما ذكرنا خطرا، والأرباح أبدا مع الاخطار فلا ينبغي لعاقل أن يغتر بذلك، وليعلم أن الله تعالى يعطي عبده بركتين إذا أخلصهما الله أكثر من الدنيا بحذافيرها، وما يصنع بنعمة الموت من ورائها وجمع أموال لا بد من تركها.

ومن خصائص نواحي هذا الإقليم أديم زبيد ونيلها الذي لا نظير له كأنه لازورد، وشروب عدن تفضل على القصب، ومسد المهجرة يسمى ليفا، وبرود سحولا والجريب، وانطاع صعدة وركاءها، وسعيدي صنعاء وعقيقها، وقفاح عثر، وأقداح حلي، ومسان ينيع وحناءها، وبان يثرب وصيحانيها، وبردي المروة ومقلها، وكندر مهرة وحيثا نها، وورس عدن، ومغلق قرح، وسناء مكة، وصبر اسقوطة، ومصين عمان.

ومكايل هذا الإقليم الصاع والمد والمكوك، فالمد ربع الصاع، والصاع ثلث المكوك، هذا بالحجاز وهي مختلفة، المستعمل منها يزن خمسة أرطال وثلثا. وسمعت الفقيه أبا عبدالله بدمشق يقول لما حج أبو يوسف ودخل المدينة رجع عن شيين إلى مذهبهم أحدهما الأذان قبل الفجر، والثاني تقدير الصاع.

وأما الصاع الذي قدره عمر بمشهد الصحابة وكان يكفر به إيمانه فهو ثمانية أرطال، إلا أن سعيد بن العاصي رده إلى خمسة وثلث، إلا ترى إلى قول الراجز:

وجاءنا مجوعا سعيد ... ينقص في الصاع ولا يزيد

ولهم بالمراكب صاعان يعطون بأحدهما جرابيات الملاحين ويتعاملون بالكبير. وأرطالهم بمكة هو المن المعروف في جميع بلاد الاسلام غير أنهم يسمونه رطلا، ورطل يثرب إلى قرح مائتا درهم، ورطل اليمن بغدادي، ولعمان المن، وبقية الإقليم بغدادي، ولهم البهار وهو ثلاثمائة رطل.

ونقودهم مختلفة، لأهل مكة المطوقة وهي العثرية ثلثا المثقال تؤخذ كدراهم اليمن عددا وتفصل العثرية حتى ربما كان بينهما دريهم، ودينار عدن قيمة سبعة دراهم وهو ثلثا البغوي تزن ولا تعد، ودينار عمان ثلاثون غير أنه يوزن. والدراهم المستعملة في الإقليم تسمى بمكة المحمدية، ولأهل مكة المزبقة أربعة وعشرون بمطوق ضعف أختمي تبطل يوم السادس من ذي الحجة إلى آخر الموسم، ولأهل اليمن العلوية تختلف باختلاف البلدان حتى ربما بطلت، في بعضها قيمة أربعة منها درهم وزنته حول الدانق ولهم قروض ربما غلت فصارت ثلاثة بدانق وربما صارت أربعة، ولأهل عمان الطسوه.

الرسوم في هذا الإقليم ليس الوزر والأزر بلا قميص إلا القليل، وبمخا يعيبون على من يتزر إنما هو أزار واحد يلتف فيه. ويختمون في رمضان في الصلاة ثم يدعون ويركعون، وصليت بهم التراويح بعدن فدعوت بعد السلام فتعجبوا من ذلك، وأمر ابن حازم وابن جابر أن أحضر مسجديهما فافعل ذلك. أكثر ما يوقدون مصابيحهم بالصيفة وهو دهن السمك، يحمل من مهرة، ونورتهم سوداء مثل الماخالقة، وباليمن يلزقون الدروج ويبطنون الدفاتر بالنشاء، وبعث إلي أمير عدن مصحفا أجده، فسألت عن الإشراس بالعطارين فلم يعرفوه ودلوني على المحتسب وقالوا عساه يعرفه، فلما سألته، قال: من أين أنت، قلت: من فلسطين، قال: أنت من بلدة الرخاء لو كان لهم أشراس لأكلوه عليك بالنشاء.

ويعجبهم التجليد الحسن ويبدلون فيه الأجرة الوافرة وربما كنت أعطى على المصحف دينارين. ويزينون بعدن السطوح قبل رمضان بيومين ويضربون عليها الدباب، فإذا دخل رمضان اجتمع رفق يدورون عند السحر يقرأون القصائد إلى آخر الليل، فإذا قرب العيد جبوا الناس، ويتخذون في النيروز قبابا يدورون بها على المباشرين ومعهم الطبول فيجمعون مالا جزيلا، وبمكة تنصب القباب ليلة الفطر ويزين السوق بين الصفا والمروة، ويضربون الدباب إلى الصباح، وإذا صلوا الغداة أقبلن الولائد مزينات بيدهن المراوح يطفن بالبيت، ويرتبون خمسة أئمة في التراويح يصلون ترويقة ويطوفون أسبوعا، والمؤذنون يكبرون ويهللون ثم يضرب الفرعاعيات كما تضرب عند الصلوات فيتقدم الأمام الآخر، يصلون العشاء إذا مضى من الليل الثلث ويفرغون إذا بقي الثلث، ثم ينادى بالسحور على أبي قبيس، ولا يرى أحسن من مزي أهل مكة في خروجهم إلى الحج في أن أحدهم ينوبه في ذلك ما ينوب العراقي.

ومياه هذا الإقليم مختلفة، ماء عدن وقناة مكة وماء زبيد ويثرب خفيف، وماء غلافقة قائل، وماء قرح وينبع ردي، وسائر المياه متقاربة، وحجبت سنة - فرأيت ماء زمزم كريها، ثم عدت سنة فوجدته طيبا، وأكثر مياه السواحل عذيبات. فإن قال قائل ومن أين علمت خفة المياه وثقلها قيل له بأربعة أشياء أحدها: أن كل ماء يبرد سريعا فهو خفيف، وما رأيت أسرع برودة من ماء تيماء وأريحا، وهما أخف مياه الإسلام، فمن هذا أستنبطت هذا الوجه، ثم صح لي بكثرة التجارب. والثانية أن الماء الخفيف يبطئ تحليه، ومن شرب ماء ثقيلًا أسرع بوله. والثالثة الماء الخفيف يشهي الطعام ويهضمه، والرابعة إذا أردت أن تعرف ماء بلد فاذهب إلى البزازين والطارئين، فتصفح وجوههم فإن رأيت فيها الماء فاعلم خفته على قدر ما ترى من نضارتهم، وأن رأيتها كوجوه الموتى ورأيتهم مطامنى الرؤوس فعجل الخروج منها.

والمضار بمكة بادنجان يمرض، وبالمدينة كراث يتولد منه خروج عرق المديني.

المعادن اللؤلؤ في هذا الإقليم بحدود هجريغاص عليه في البحر بازاء اوال وجزيرة خارك، ومن ثم خرجت درة اليتيم يكثرى رجال يغوصون فيخرجون صدفًا، اللؤلؤ وسطها، وأشد شيء عليهم حوت يثب إلى عيونهم وفائدة من تعاطاه بينة. ومن أراد العقيق أشتري قطعة أرض بموضع بصنعاء ثم حفر فرما خرج له شبه صخرة وأقل وربما لم يخرج شيء. بين ينبع والمروة معادن ذهب. العنبر يقع على حافة البحر من عدن إلى مخا ومن وجه زيلع أيضا، كل من وجد منه شيئا قل أو أكثر حملة إلى صاحب السلطان ودفعه إليه وأخذ شقة ودينارا، ولا يقع إلا وقت هبوب ريح الأيب ولم يصح لي ما العنبر. ودم الاخوين قبائل الجحفة.

يقع عصبيات بين الخباطين وهم شيعة والجزارين وهم سنة، بمكة عصبيات وحروب، وبين الحماحميين والملاحيين بعدن عداوات وحروب، وبين السنة والشيعية بينين وبين البجة والحبوش والنوبة بزبيد تقع العجائب، وبين الجزارين والأعراب باليمامة وقد بلغ من أمرهم أن اقتسموا الجامع ويقولون، للغريب كن من أيننا شئت وإلا فاخرج.

والمشاهد بمكة مولد النبي صلى الله عليه وسلم في المحاملين، ودار الاربعين باليزازين، ودار خديجة خلف العطارين، غار ثور على فرسخ أسفل مكة، وحراء من نحو منى، وغار آخر خلف أبي قبيس، جبل قعيقعان محاذي أبي قبيس، وبالبحر قبر ميمونة على طريق جدة، وفي الثنية قبر الفضيل وسفيان بن عيينة ووهيب بن الورد. بين المسجدين عدة مشاهد للنبي وعلي، مسجد الشجرة بذي الحليفة، وشجرة بقبا وحجر فاطمة. قبر هود عم بالاحقاف على الساحل.

الموضع الذي يخرج منه النار بعدن جبل في البحر، وخلف البلد مسجد أبان، مخلاف معاذ خلف مخا، ثم مسجد البئر المعطلة والقصر المشيد في مخلاف اليون وفي مخلاف مرمل، من مخلاف صنعاء خرجت النار التي أحرقت جنة المقسمين. بئر عثمان على طريق الشام. عند العرج جبل قالوا أن جبريل شق فيه للنبي صلى الله عليه وسلم وقت هجرته طريقا إلى المدينة. وقعت نار بين المروة والحوراء فكان يقد كما يقد الفحم. بيوت الفارهين بالحجر عجيبية على أبوابها عقود وطروح ونقوش. الطاغية مدينة خربة خلف خيم أم معبد. بالسروات قلاع عجيبية. كمران جزيرة في البحر فيها مدينة ولهم ماء حلو تسمى العقل بها حبوس ملك اليمن.

وفي أخلاق أهل مكة جفاء، ولا ظرف لأهل اليمن. أهل عمان يطفون ويخسرون ويفسقون. الزنا بعدن ظاهر. أهل الاحقاف نواصب غتم، والحجاز بلد فقير قحط.

والقبائل تأخذ من السروات نحو الشام فتقع في أرض الأغر بن هيثم ثم تخرج إلى ديار يعلى بن أبي يعلى ثم إلى سررد ثم إلى ديار عنز وائل في بني غزية ثم تقع في ديار جرش والعتل وجلال ثم إلى ديار الشقرة بها خثعم ثم في ديار الحرث بلد يقال له ذنوب وإسم ساحلها الشرى ثم في شكر وعامر ثم في بجيلة ثم في فهم ثم في بني عاصم ثم في عدوان ثم في بني سلول ثم في مطار وبها معدن البرام ثم في بلاد برممة منها الأبرقة وحصن المهيا ثم أنت بالفلج. وولايات هذا الإقليم متقطعة أما الحجاز أبدا فلصاحب مصر لأجل الميرة، واليمن لآل زياد وأصلهم من همدان، وابن طرف له عثر، وعلى صنعاء أمير غير أن ابن زياد يحمل إليه أموالا ليخطب إليه وربما أخرجت عدن عن أيديهم، والقطان في الجبال وهم أقدم ملوك اليمن، والعلوية على صعدة يخطبون لآل زياد وهم أعدل الناس، وعمان للديلم، وهجر للقرامطة وعلى الأحقاف أمير منهم.

والضرائب والمكوس يؤخذ بجدة من كل حمل حنطة نصف دينار وكيل من فرد الزاملة، وعلى سبط ثياب الشطوي ثلاث دنانير، ومن سبط الدبقي ديناران، وحمل الصوف ديناران، وبعثر على كل حمل دينار، وعلى سلة الزعفران دينار، وكذلك على رؤوس الرقيق هذا ممن خرج، وكذلك بالسرين على من أجتاز، وبكمران أيضا، وبعدن يقوم الأمتعة بالزكاوية ثم يؤخذ عشرها عشريه، وقدروا أنه يصل إلى خزانة السلطان ثلث أموال التجار، وتم تفتيش صعب، ومكس بلدان السواحل هين إلا غلافة.

والمراصد البرية من قلود جدة بالقرين وبطن مر نصف دينار نصف دينار، وعلى باب زبيد من حمل المسك دينار ومن حمل البز نصف دينار، وبقية المراصد تعطي درهما علوية، وصاحب صعدة لا يأخذ ضريبة من أحد وإنما يأخذ ربع العشر من التجار.

والجزيرة عشريه يؤخذ بعمان من كل نخلة درهم. ووجدت في كتاب ابن خرداذبة خراج اليمن ستمائة ألف دينار فلا أدري ما أراد بذلك ولم أر ذلك في كتاب الخراج بل المعروف أن جزيرة العرب عشريه، وكانت ولاية اليمن في القديم مقسومة على ثلاثة أعمال: والى على الجند ومخاليفها وآخر على صنعاء ومخاليفها والثالث على حضرموت ومخاليفها. وذكر قدامة بن جعفر الكاتب أن ارتفاع الحرمين مائة ألف دينار، اليمن ستمائة ألف دينار، واليمامة والبحرين خمسمائة وعشرة آلاف دينار، وعمان ثلاثمائة ألف دينار.

وأهل هذا الإقليم أصحاب قناعة ونحافة يتقوتون باليسير من الطعام ويتجاوزون بالخفيف من الثياب، وقد أكرمهم الله تعالى بخير الثمار وسيدة الأشجار التمر والنخل. أخبرنا أبو عبد الله محمد بن احمد بقصة أرجان، قال: حدثنا القاضي الحسن بن عبد الرحمان بن خلد، قال: حدثنا موسى بن الحسين، قال: حدثنا شيبان بن فروخ، قال: حدثنا مسرور بن سفيان التميمي عن الأوزاعي عن عروة بن رويم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا عمتم النخلة فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم، وليس من الشجر شجرة تلقح غيرها، واطعموا نساءكم إذا ولدن الرطب فإن لم يكن رطب فالتمر الحديث.

وأما المسافات فاعلم أن الواو للجمع، وتم للترتيب، وأو للتخيير. فإذا قلنا إلى فلانة وفلانة فإنهما في موضع واحد مثل خليص وأمج ومزبان وبهمم أباد، فإن قلنا ثم أردنا العطف على الذي قبله كقولنا إلى ا بطن مر ثم إلى عسفان إلى غزة ثم إلى رفح، فإن قلنا أو فقد رجعنا إلى الذي قبل هذا الآخر كقولنا من الرملة إلى إيليا أو إلى عسقلان، من شيراز إلى جويم أو إلى صاهه. وقد جعلنا المراحل ستة فراسخ وسبعة فإن زادت نقطنا على الهاء نقطتين فإن جاوزت العشرة نقطنا تحت اللام نقطتين فإن نقصت عن الستة نقطت ا فوق الهاء نقطة. تأخذ من مكة إلى بطن مر مرحلة ثم إلى عسفان مرحلة ثم إلى خليص وأمج مرحلة ثم إلى الخيم مرحلة ثم إلى الجحفة مرحلة ثم إلى الأبواء مرحلة ثم إلى سقيا بني غفار مرحلة ثم إلى العرج مرحلة ثم إلى الروحاء مرحلة ثم إلى رويثة مرحلة ثم إلى يثرب مرحلة. وتأخذ من مكة إلى يلملم مرحلة ثم إلى قرن مرحلة ثم إلى السرين مرحلة. تأخذ من مكة إلى بستان بني عامر مرحلة ثم إلى ذات عرق مرحلة ثم إلى الغمرة مرحلة. وتأخذ من مكة إلى قرين مرحلة ثم إلى جدة مرحلة ومن بطن مر إلى جدة مرحلة. وتأخذ من الجحفة إلى بدر مرحلة ثم إلى الصفراء والمعلاة مرحلة ثم إلى الروحاء مرحلة. وتأخذ من بدر إلى ينبع مرحلتين ثم إلى رأس العين مرحلة ثم إلى المعدن مرحلة ثم إلى المروة مرحلتين. وتأخذ من بدر إلى الجار مرحلة ثم إلى الجحفة أو ينبع مرحلتين مرحلتين. وتأخذ من جدة إلى الجار أو السرين أربعاً أربعا. وتأخذ من يثرب إلى السويدية أو إلى بطن النخل مرحلتين مرحلتين ومن السويدية إلى المروة مثلها ومن بطن النخل إلى معدن النقرة مثلها. فإن أردت جادة مصر فخذ من المروة إلى السقيا ثم إلى بدا يعقوب ثلاثاً ثم إلى العونيد مرحلة. وإن أردت الشام فخذ من السقيا إلى وادي القرى مرحلة ثم إلى الحجر مرحلة ثم إلى تيماء ثلاث مراحل. وإن أردت مكة في جادة

الكوفة فخذ من زباله وهي عامرة واسعة الماء إلى الشقوق ميلا ثم إلى البطان ميلا ثم إلى الثعلبية ميلا هي ثلث الطريق عامرة كثيرة البرك بها أبار عذبية ثم إلى الخزيمية ميلا ثم إلى أجفر ميلا ثم إلى فيد ميلا مدينة بحصنين عامرة واسعة الماء، ثم إلى توز وهي نصف الطريق ميلا ثم إلى سميراء ميلا برك وماء واسع ومزارع والماء عذبي ثم إلى حاجر ميلا ثم إلى معدن النقرة ميلا بها حصن وماء ضعيف وموضع وحش، ثم إلى المغيثة ميلا ثم إلى الريدة ميلا ماء زقاق وموضع خراب، ثم إلى معدن بني سليم ميلا ثم إلى السليلة ميلا ثم إلى العمق ميلا بها أبار عجيبة والماء غير واسع، ثم إلى الأفيعية ميلا ثم إلى المسلح ميلا بها برك والماء واسع، ثم إلى غمرة ميلا الماء واسع. وإن أردتها من البصرة فخذ من البصرة إلى الحفير ميلا ثم إلى الرحيل ميلا ثم إلى الشحي ميلا ثم إلى حفر أبي موسى ثم إلى ماوية ثم إلى ذات العشر ثم إلى الينسوة ثم إلى السمينة ثم إلى القريتين ثم إلى النجاج ثم إلى العوسجة ثم إلى رامة. ثم إلى إمرة ثم إلى طخفة ثم إلى ضرية ثم إلى جديلة ثم إلى فلجة ثم إلى الدثينة ثم إلى قبا ثم إلى الشبيكة ثم إلى وجرة ثم إلى ذات عرق الجميع سبعمائة ميل. وأما جادة الغرب فتأخذ من ويلة إلى شرف ذي النمل مرحلة ثم إلى مدين مرحلة ثم إلى الاعراء مرحلة ثم إلى منزل مرحلة ثم إلى الكلاية مرحلة ثم إلى شغب مرحلة ثم إلى بدا مرحلة ثم إلى السرحتين ثم إلى البيضاء ثم إلى وادي القرى. والطريق المستعمل اليوم من شرف ذي النمل إلى الصلا ثم إلى النبك ثم إلى ضبة ثم إلى العونيد ثم إلى الرحبة ثم إلى منحوس ثم إلى البحيرة ثم إلى الأحساء ثم إلى العثيرة ثم إلى الجار ثم إلى بدر. وإن أردتها من عمان فخذ من صحار إلى نزوة ثم إلى عجلة ميلا ثم إلى عضوة ميلا هو حصن ثم إلى بئر السلاح ميلا ثم إلى مكة يوما فيها أربع مياه وثمان في رملة. وإن أردتها من هجر فخذ من الأحساء إلى. ومن أرادها من صنعاء أخذ إلى الريدة مرحلة ثم إلى أثافت ثم إلى خيوان ثم إلى الأعمشية ثم إلى صعدة ثم إلى غرفة ثم إلى المهجرة ثم إلى شروراح ثم إلى الثجة ثم إلى كنية ثم إلى بينم على أميال من جرش ثم إلى بنات جرم مرحلة ثم إلى جسداء ثم إلى بيشة ثم إلى تباله ثم إلى رنية ثم إلى كدى ثم إلى صفر ثم إلى تربة ثم إلى الفتق ثم إلى الجدد ثم إلى الغمرة وطريقها القاصدة على الطائف ولم أسلكها. ومن مكة إلى الطائف طريقان تأخذ من بئر ابن المرتفع مرحلة ثم إلى الطائف مرحلة والآخرى على عرفات مرحلتين في الجبل. ومن أرادها من ويلة وهي طريق حجاج الغرب كلها طرق عدة، أما طريق الساحل فتأخذ من ويلة إلى شرف البعل مرحلة ثم إلى الصلا مرحلة ثم إلى النبك مرحلة ثم إلى ضبه مرحلة ثم إلى عونيد مرحلة ثم إلى الرحبة مرحلة ثم إلى منحوس مرحلة ثم إلى البحيرة مرحلة ثم إلى الاحساء مرحلة. ثم إلى الاعراء مرحلة ثم إلى الكلاية مرحلة ثم إلى شغب مرحلة ثم إلى بدا مرحلة ثم إلى السرحتين مرحلة ثم إلى البيضاء مرحلة ثم إلى قرح مرحلة ثم إلى سقيا يزيد مرحلة. وأما طريق اليمن فلا أكاد أضبط مراحلها كغيرها من الكور غير أنني أذكر ما عرفت وأجمل ما سمعت فمن صنعاء إلى صداء فرسخا، ومن صنعاء إلى حضرموت فرسخا، ومن صنعاء إلى ذمار فرسخا، ثم إلى نسفان وكحلان مرحلة ثم إلى حجر وبدر فرسخا، ثم إلى عدن فرسخا، ومن ذمار إلى يحصب مرحلة ثم إلى السحول مرحلة ثم إلى الثجة مثلها ثم إلى الجند مثلها ومن صنعاء إلى الجند فرسخا، ومن صنعاء إلى العرف مرحلة ثم إلى ألهان فراسخ ثم إلى جبلان ثم إلى زبيد، ومن صنعاء إلى شبام مرحلة ومن صنعاء إلى عثر مراحل ومن عدن إلى أبين فراسخ. لي بينم على أميال من جرش ثم إلى بنات جرم مرحلة ثم إلى جسداء ثم إلى بيشة ثم إلى تباله ثم إلى رنية ثم إلى كدى ثم إلى صفر ثم إلى تربة ثم إلى الفتق ثم إلى الجدد ثم إلى الغمرة وطريقها القاصدة على الطائف ولم أسلكها. ومن مكة إلى الطائف طريقان تأخذ من بئر ابن المرتفع مرحلة ثم إلى الطائف مرحلة والآخرى على عرفات مرحلتين في الجبل. ومن أرادها من ويلة وهي طريق حجاج الغرب كلها طرق عدة، أما طريق الساحل فتأخذ من ويلة إلى شرف البعل مرحلة ثم إلى الصلا مرحلة ثم إلى النبك مرحلة ثم إلى ضبه مرحلة ثم إلى عونيد مرحلة ثم إلى الرحبة مرحلة ثم إلى منحوس مرحلة ثم إلى البحيرة مرحلة ثم إلى الاحساء مرحلة. ثم إلى الاعراء مرحلة ثم إلى الكلاية مرحلة ثم إلى شغب مرحلة ثم إلى بدا مرحلة ثم إلى السرحتين مرحلة ثم إلى البيضاء مرحلة ثم إلى قرح مرحلة ثم إلى سقيا يزيد مرحلة. وأما طريق اليمن فلا أكاد أضبط مراحلها كغيرها من الكور غير أنني أذكر ما عرفت وأجمل ما سمعت فمن صنعاء إلى صداء فرسخا، ومن صنعاء إلى حضرموت فرسخا، ومن صنعاء إلى ذمار فرسخا، ثم إلى نسفان وكحلان مرحلة ثم إلى حجر وبدر فرسخا، ثم إلى عدن فرسخا، ومن ذمار إلى يحصب مرحلة ثم إلى السحول مرحلة ثم إلى الثجة مثلها ثم إلى الجند مثلها ومن صنعاء إلى الجند فرسخا، ومن صنعاء إلى العرف مرحلة ثم إلى ألهان فراسخ ثم إلى جبلان ثم إلى زبيد، ومن صنعاء إلى شبام مرحلة ومن صنعاء إلى عثر مراحل ومن عدن إلى أبين فراسخ.

إقليم العراق

هذا إقليم الظرفاء، ومنبع العلماء. لطيف الماء، عجيب الهواء، ومختار الخلفاء. أخرج أبا حنيفة فقيه الفقهاء، وسفيان سيد القراء. ومنه كان أبو عبيدة والفراء، وأبو عمرو صاحب المقراء. وحمزة والكسائي وكل فقيه ومقريء وأديب، وسري وحكيم وداه وزاهد ونجيب، وظريف ولييب. به مولد ابراهيم الخليل، وإليه رحل كل صحابي جليل. أليس به البصرة التي قوبلت بالدينيا، وبغداد الممدوحة في الورى، والكوفة الجلييلة وسامرا، ونهره من الجنة بلا مرا. وتمور البصرة فلا تنسى، ومفاخره كثيرة لا تحصى. وبحر الصين يمس طرفه الأقصى، والبادية إلى جانبه كما ترى. والفرات بقربه من حيث جرى، غير أنه بيت الفتن والغلا. وهو في كل يوم إلى وراء، و، الجور والضرائب في جهد بلاء. مع ثمار قليلة، وفواحش كثيرة، ومون ثقيلة. وهذا شكله ومثاله والله أعلم وأحكم. وقد جعلناه ست كور وناحية، وكانت الكور في القديم غير هذه إلا حلوان، ولكننا أبدا نجري الأمر على ما عليه الناس، وأدخلنا الكور القديمة والقصبات في الاجناد وأسم هذه الكور والقصبات واحد فأولها من قبل ديار العرب الكوفة ثم البصرة ثم واسط ثم بغداد ثم حلوان ثم سامرا. فأما الكوفة فمن مدنها: حمام ابن عمر، الجامعين، سورا، النيل، القادسية، عين التمر. وأما البصرة فمن مدنها: الأبله، شق عثمان، زبان، بدران، بيان، نهر الملك دبا، نهر الامير أبو الخصيب، سليمانان، عبادان، المطوعة، والقندل، المفتح، الجعفرية. وأما واسط فمن مدنها: فم الصلح، درمجان، قراقبة، سيادة، باذيين، السكر، الطيب، قرقوب، قرية ا لرمل، نهر تبرى، لهبان، بسامية أودسة. وأما بغداد فمن مدنها: النهروان، بدران، كارة، الدسكرة، طراستان، ها رونية، جلولاء، باجسري، باقبة، إسكاف، بوهرز، كلواذى، درزيجان، المداين، كيل، سيب، دير العاقول، النعمانية، جرجرايا، جبل، نهر سابس، عبرتا، بابل، عبادس، قصر هيبيرة. وأما حلوان فمن مدنها: خاتقين، زبوجان، شلاشان، الجامد، الحر، السيروان، بندنيجان. وأما سامرا فمن مدنها: الكرخ، عكبرا، الدور، الجامعين، بت راذانان، قصر الجص، جوى، أيوانا، بريفا، سندية، راقفروية، دمما، الأنبار، هيت، تكريت، لسن. فإن قال قائل لم جعلت بابل في الجند وإليها كان ينسب الإقليم في القديم، ألا ترى أن الجيهاني ابتداءً بذكر هذه النواحي وسماها إقليم بابل، وكذلك سماها وهب في المبتدأ وغيره من العلماء. قيل له قد تحرزنا من هذا السؤال. ونظائرنا بأننا أجرينا علمنا على التعارف كالإيمان، ألا ترى أن رجلا لو حلف أن لا يأكل رؤوسا فأكل من رؤوس البقر والغنم حنث. وقال أبو يوسف ومحمد لا يحنث، وسمعت الأئمة من مشايخنا يقولون لا نعد هذا خلافا بينهم لأن في وقت أبي حنيفة كانت تباع وتؤكل ثم زالت تلك العادة في زمانهما. وقد شققنا الاسلام طولا وعرضا فما سمعنا الناس يقولون ألا هذا إقليم العراق وأكثر الناس لا يعلمون أين بابل، ألا ترى إلى جواب أبي بكر لعمر لما سأله أن يبعث جيوشه إلى هذه الناحية فقال: لان يفتح الله على يدي شبرا من الأرض المقدسة أحب إلى من رستاق من رساتيق العراق ولم يقل من رساتيق بابل. فإن قال في قول الله تعالى: " وما أنزل على الملكين ببابل " دليل على ماذكرنا قيل له هذا الاسم قد يجوز أن يتناول الإقليم والمدينة جميعا، ووقوعه على المدينة مجمع عليه، لأن أحدا لا ينازع أحدا في اسمها، وفي وقوعه على الإقليم اختلاف فمن أوقعه عليه وجب عليه الدليل.

الكوفة: قصبه جلييلة خفيفة حسنة البناء جلييلة الاسواق كثيرة الخيرات جامعة رقيقة. مصرها سعد بن أبي وقاص أيام عمر، وكل رمل خالطه حصى فهو كوفة ألا ترى إلى أرضها، وكان البلد في القديم الحيرة وقد خربت. وأول من نزلها من الصحابة علي بن أبي طالب، وتبعه عبد الله بن مسعود وأبو الدرداء ثم تتابعوا كلها. والجامع على ناحية الشرق على أساطين طوال من الحجار الموصلة بهى حسن، والنهر على طرفها من قبل بغداد. ولهم آبار عذيبية حولها نخيل وبساتين، ولهم حياض وقني. محلة الكناسة: من قبل البادية، وهو بلد مختل قد خرب أطرافه وقد كان نظير بغداد. والقادسية: مدينة على سيف البادية، تعمر أيام الحاج ويحمل إليها كل خير، لها بابان وحصن طين، وقد شق لهم نهر من الفرات إلى حوض على باب بغداد، وثم عيون عذيبية وماء آخر يجرونه عند باب البادية أيام الحاج، وهي سوق واحد الجامع فيه. سورا: مدينة بها فواكه كثيرة وأعناب، أهلة وسائر المدن صغار أهلات. عين التمر: حصينة في أهلها شره.

البصرة: قصبه سرية أحدثها المسلمون أيام عمر، كتب إلى صاحبه ابن للمسلمين مدينة بين فارس وديار العرب وحد العراق على بحر الصين، فاتفقوا على موضع البصرة، ونزلها العرب ألا تراها إلى اليوم خططا، ثم مصرها عتبة بن غزوان، وهي شبه طيلسان قد شق إليها من دجلة نهران نهر الابلة ونهر معقل، فإذا اجتمعا مدا عليها، وتشعب إليها أنهار إلى ناحية عبادان وناحية المذار، فطولها ممتد على النهر، ودورها في البر إلى البادية، ولها من هذا الوجه باب واحد، وهي من النهر إلى الباب نحو ثلاثة أميال. وبها ثلاثة جوامع أحدها في الاسواق بهي جليل عامر أهل ليس بالعراق مثله على أساطين مبيضة، وجامع آخر على باب البادية وهو كان القديم، وآخر على طرف البلد. وأسواقها ثلاث قطع الكلاء على النهر، وسوق الكبير، وباب الجامع، وكل أسواقها حسنة. والبلد أعجب إلى من بغداد لرفقها وكثرة الصالحين بها. وكنت بمجلس جمع فقهاء بغداد ومشايخها فتذاكروا بغداد والبصرة فتفرقوا على أنه إذا جمعت عمارات بغداد وأندر خرابها لم تكن أكبر من البصرة. وقد

خرب طرف البصرة البري. واشتق اسمها من الحجارة السود كان يتقل بها مراكب اليمن فتلقى ثم وقيل لا بل حجارة رخوة تضرب إلى البياض، وقال قطرب من الأرض الغليظة. وحماتها طيبة والأسماك والتمور بها كثيرة ذات لحم وخضر وأقطان وألبان وعلوم وتجارات، غير أنها ضيقة الماء، منقلبة الهواء عفة عجيبه الفتن. الأبله: على دجلة عند فم نهر البصرة من قبل الشمال، الجامع أعلى القرية، عامرة كبيرة أرفق من البصرة وأرحب. شق عثمان: بازائها من نحو الجنوب، الجامع في آخرها حسن. وسائر المدن على أنهار من جانبي دجلة عن يمين وشمال وجنوب وشمال، كلهن جليات كبار. غبادان: مدينة في جزيرة بين دجلة العراق ونهر خوزستان على البحر، ليس وراءها بلد ولا قرية إلا البحر، فيها رباطات وعباد وصالحون وأكثرهم صناع الحصر من الحلفاء، غير أن الماء بها ضيق والبحر عليها مطبق. واسط: قسبة عظيمة ذات جانبيين وجامعين وجسر بينهما، كثيرة الخير ومعادن السمك، جامع الحجاج وقبته في الغربي في طرف الأسواق بعيد عن الشط منشعت عامر بالقرآن، اختطها الحجاج وسميت واسط لأنها بين قصبات العراق وبين الأهواز، رفة صحيحة الهواء عذبة الماء حسنة الأسواق واسعة السواد، وقد جعل في طرفي الجسر موضعان يدخل فيهما السفن، وفيهم ظرف. وسائر مدنها صغار مختلفة أعمارها الطيب وقرقوب، إلا أن ناحيتها جيدة. الصليق: مدينة على بحيرة طولها أربعون فرسخا، يتصل ضياعها بسواد الكوفة، شديدة الحر كربة بليظة بق مهلك وعيش ضيق، أدامهم السمك وماؤهم حميم وليلهم عذاب وعقلهم سخيف ولسانهم قبيح مع ملح قليل وكرب عظيم، إلا أنها معدن الدقيق وسلطان رقيق وماء غزير وسمك خطير واسم كبير، وفي الحرب كل صبور وبالنهر كل بصير، ولهم موضع يشاكل نهر الأبله حسن. يليها في الكبر الجامدة وهما من دجلة على ناحية وسائر المدن دونهما، وهذه البطائح بحيرات ومياه ثم مزارع، ولل عراق منها رفق عظيم.

بغداد: مصر الاسلام، وبها مدينة السلام. ولهم الخصائص والظرافة، والقرايح واللطافة، هواء رقيق، وعلم دقيق. كل جيد بها، وكل حسن فيها. وكل حاذق منها، وكل ظرف لها. وكل قلب إليها، وكل حرب عليها، وكل ذب عنها. هي أشهر من أن توصف وأحسن من أن تتعت وأعلى من أن تمدح. أحدثها أبو العباس السفاح ثم بنى المنصور بها مدينة السلام وزاد فيها الخلفاء من بعده. ولما أراد بناء مدينة السلام سأل عن شتائها وصيفها والأمطار والبق والهواء، وأمر رجالا حتى يناموا فيها فصول السنة حتى عرفوا ذلك ثم استشار أهل الرأي من أهلها فقالوا نرى أن تنزل أربع طساسيج في الجانب الشرقي بوق وكلوادي، وفي الغربي قطربل وبادوريا، فتكون بين نخل وقرب ماء، فإن أجذب طسوج أو أخرت عمارته كان في الآخر فرج، وأنت على الصراة تحينك الميرة في السفن الفراتية، والقوافل من مصر والشام في البادية، وتحينك آلات من الصين في البحر، ومن الروم والموصل في دجلة، فأنت بين أنهار لا يصل إليك العدو إلا في سفينة أو على قنطرة على دجلة وفرات. فبناها أربع قطع مدينة السلام وبادوريا والرصافة وموضع دار الخليفة اليوم. وكانت أحسن شيء للمسلمين وأجل بلد وفوق ما وصفنا حتى ضعف أمر الخلفاء فاختلفت، وخف أهلها، فأما المدينة فخراب، والجامع فيها يعمر في الجمع، ثم يتخللها بعد ذلك الخراب. اعمر موضع بها قطيعة الربيع والكرخ في الجانب الغربي، وفي الشرقي باب الطاق وموضع دار الأمير، والعمارات والأسواق بالغربي أكثر، والجسر عند باب الطاق إلى جانبه بيمارستان بناه عضد الدولة، حصل في كل طسوج مما ذكرنا جامع، وهي في كل يوم إلى ورا، وأخشى أنها تعود كسامرا. مع كثرة الفساد والجهل والفسق وجور السلطان. أخبرنا أبو بكر الاسماعيلي بجرجان، قال: حدثنا ابن ناجية، قال: حدثنا ابراهيم الترماني، قال: حدثنا سيف بن محمد، قال: حدثنا عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي، قال: كنت مع جرير بن عبد الله فقال: أي شيء يدعى هذا النهر، قالوا: دجلة، قال: فهذا النهر الآخر، قالوا: دجيل. قال: فهذا النهر، قالوا: صراة، قال: النخل، قالوا: قطربل، قال: فركب فرسه وأسرع ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تبني مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجبي إليها خزائن الأرض وجبايرتها يخسف بهم فهم أسرع هويًا في الأرض من الوتد الحديد في الأرض الرخوة. وأنهار الفرات تغلب في دجلة في جنوبها وما حاذى المدينة وما شمالها دجلة حسب. وتجرى في هذه الشعب الفراتية السفن إلى الكوفة وفي دجلة إلى الموصل. وذكر الشمشاطي في تاريخه أن المنصور لما أراد بناء مدينة السلام، أحضر أكبر من عرف من أهل الفقه والعدالة والأمانة والمعرفة بالهندسة، وكان فيهم أبو جنيفة النعمان ابن ثابت والحجاج بن أرطاة، وحشر الصنائع والفعله من الشام والموصل والجبل وسائر أعماله وأمر بخطها وحفر الأساسات في سنة وتمت في سنة. وجعل عرض السور من أسفل خمسين ذراعًا، وجعلها بثمانية أبواب أربعة داخلية صغار وأربعة خارجية كبار، باب البصرة وباب الشام وباب خراسان وباب الكوفة، وجعل الجامع والقصر وسطها، وقبلة جامع الرصافة أصح منه. ووجدت في بعض خزائن الخلفاء أن المنصور أنفق على مدينة السلام أربعة آلاف ثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهما، لأن أجرة الاستاذ كانت قيراطا والروزكاري حبتين. النهروان: مدينة ذات جانبيين الشرقي أعمر، رحبة عامرة، بينهما الجسر الجامع في الجانب الشرقي، والحاج ينزلون على هذا الشط. الدسكرة: مدينة صغيرة، سوقها واحد طويل الجامع أسفله غام بازاج. جلولا: حولها أشجار غير حصينة، وهذه المدن وخانقين على جادة حلوان ليس لهن بهاء ولا هن لائقات ببغداد. صرصر: أيضا كبعض قرى فلسطين، النهر إلى جانبها وكذلك نهر الملك والضراة قرى. وأما قصر هبيرة فمدينة كبيرة جيدة الأسواق، يجيئهم الماء من الفرات، كثيرة الحاكة واليهود والجامع في

السوق. بابل: صغيرة نائية عن الطريق، والجادة على جسرها. وسائر مدن هذا الوجه على ما وصفنا مثل النيل وعبدس وكوثا ومدينة ابراهيم كوثاربا. وثم تلال قالوا هي رماد نار نمروذ، وبقر كوثا الطريق شبه منارة لهم فيها كلام. وليس على دجلة من نحو واسط مدينة أجل من دير العاقول كبيرة عامرة أهلة، الجامع ناء عن السوق والأسواق متشعبة جيدة تشاكل مدن فلسطين. تليها في الكبر جبل عامرة. أهلة الجامع في السوق لطيف. ثم النعمانية صغيرة الجامع في السوق. ثم جرجرايا وقد كانت عظيمة، وهي اليوم مختلة متقطعة العمارة الجامع بقرب الساحل عامر، ولهم ماء يدور حول قطعة من المدينة. وهذه المدن التي ذكرنا على غربي دجلة وسائر المدن صغار. وفي وجه سامرا مدينة عكبرا وهي كبيرة عامرة، كثيرة الفواكه جيدة الاغراب سرية. وأما المدابن فهي من نحو واسط عامرة بناؤهم من الأجر والجامع في السوق. ومن نحو الشرق أسبانبر ثم قبر سلمان وابوان كسرى. فهذه مدن بغداد، وبخراسان قرى كثيرة أجل من أكثر هذه المدن.

سامرا: كانت مصرا عظيمة ومستقر الخلفاء في القديم، اختطها المعصم وزاد فيها بعده المتوكل، وصارت مرحلة، وكانت عجيبة حسنة حتى سميت سرور من رأى ثم اختصر فقيل سرمرى، وبها جامع كبير كان يختار على جامع دمشق قد لبست حيطانه بالميناء وجعلت فيه اساطين الرخام وفرش به وله منارة طويلة وأمور متقنة وكانت بلدا جليلا والآن قد خربت، يسير الرجل الميلىن والثلاثة لا يرى عمارة وهي من الجانب الشرقي وفي الغربي بساتين، وكان قد بنى ثم كعبة وجعل طوافا واتخذ منى وعرفات، غربه أمراء كانوا معه لما طلبوا الحج خشية أن يفارقوه، فلما خربت وصارت إلى ما ذكرنا سميت ساء من رأى ثم اختصرت فقيل سامرا. الكرخ: مدينة متصلة بها، واعم منها من نحو الموصل، وسمعت يوما القاضي أبا الحسين القزويني يقول: ما أخرجت بغداد فقيها قط إلا أبا موسى الضيرير، قلت: فأبو الحسن الكرخي، قال: لم يكن من كرخ بغداد وإنما كان من كرخ سامرا. الأنبار: مدينة كبيرة أول ما نزل المنصور بها وثم داره وقد خفت. هيت: كبيرة عليها سور على الفرات بقرب البادية. تكريت: كبيرة معدن السمسم وصناع الصوف، وللنصارى بها دير يقصد. علث: مدينة كبيرة يجر إليها نهر من دجلة وأبارها قريبة حلوة أهلة كثيرة الاجلة. السن: كبيرة على دجلة عليها من الشرق نهر الزاب والجامع في الأسواق بناؤهم حجارة والجبال منها قريبة على تخوم أقور. ومدن سامرا أجل من مدن بغداد.

حلوان: قسبة صغيرة سهلية جبلية يحيط بها بساتين وأغاب وتين، قريبة من الجبال ولها سوق طويل وحصن عتيق ونهر صغير وقهندز فيه الجامع، ولها ثمانية دروب: درب خراسان درب الباقات درب المصلى درب اليهود درب بغداد درب برقيط درب اليهودية درب ماجكان. وثم كنيسة اليهود يعظومونها خارج البلد من الحص والحجارة، وبيت المقدس أكبر وأجل وأعمر وأظرف وأكثر مشايخ وعلماء منها. ومدائن هذه الكورة صغار خراب لا يسوى ذكرها. وأما دجلة: فإنها ماء أنثى، لطيف جيد للمتفقهة، وكان أبو بكر الجصاص يأمر أن يحمل له لماء من فوق نهر الصراة قبل أن يلقاه الفرات، وهذه دجلة تظهر من أقور، وسنذكر أصلها فيه، ثم يلقاها عدة من الأنهار في هذا الإقليم وينحدر عليها من الفرات بكورة بغداد أربعة أنهار: الصراة نهر عيسى نهر صرصر نهر الملك، ويلقاها من الشرق مياه النهروانات تحت بغداد، فإذا جاوزت واسط تبطحت وصعب سلوكها إلى تخوم البصرة، والسفن فيها أبدا شبلا وزقاقا ولهم في ذلك رفق. والناس ببغداد يذهبون ويجيبون ويعبرون في السفن وترى لهم جلبة وضوضاء، وثلاثا طيب بغداد في ذلك الشط.

وأما الفرات: فإنه نهر ذكر، فيه صلابة وأصله من بلد الروم، يتقوس على طائفة من هذا الإقليم ثم يصل إلى الكوفة بعد ما تشعب ثم ينحدر إلى غربي واسط فيتبطح في بحيرة عظيمة يحيط بها قرى عامرة ولا يجاوزها، وتجري فيه السفن من الرقة. وأعلم أن العراق ليس ببلد رخاء ولكن جل وعمر بهذين النهرين وما يحمل فيهما وبيحر الصين المجاور له، واختصت بغداد برقة الهواء الذي لا يرى مثله، بلى قل في البصرة ما شئت من مياهها وبركها ومدنها وجزرها. أخبرنا أبو الحسن مطهر بن محمد برامهرمز، قال: حدثنا أحمد بن عمرو بن زكرياء، قال: حدثنا الحسن بن علي بن بحر، قال: حدثنا أبو شعيب القيسي، قال: حدثني أشرس، قال: سألت ابن عباس عن الجزر والمد، قال: ملك موكل بقاموس البحر إذا وضع رجله فاض فإذا رفع رجله غاض الماء، والجزر والمد أعجوبة على أهل البصرة ونعمة يزورهم الماء في كل يوم وليلة مرتين، ويدخل الأنهار ويسقي البساتين ويحمل السفن إلى القرى. فإذا جزر أفاد أيضا عمل الأرحية لأنها على أفواه الأنهار، فإذا خرج الماء أدارها، ويبلغ المد إلى حدود البطائح وله وقت يدور مع دور الأهلة.

جمل شؤون هذا الإقليم

هواء هذا الإقليم مختلف، فبغداد وواسط وما دخل في هذا الصقع بلد رقيق الهواء سريع الانقلاب ربما توهج في الصيف وأذى ثم انقلب سريعا، والكوفة بخلافه، ويكون بالبصرة حر عظيم، غير أن الشمال ربما هبت فطاب. وقرأت في أخبار البصرة عيشنا في البصرة عيش ظريف، أن هبت شمال فنحن في طيب وريف، وإن كانت جنوب فانا في كنيف. ورأيتم إذا كانت جنوب في ضيق صدر، يلقي الرجل صاحبه فيقول ألا ترى ما نحن فيه فيجيبه نرجو من الله الفرج، وربما نزل عليهم شبيهه الدبس بالليل. وحلوان معتدلة الهواء، البطائح نعوذ بالله منها ومن شاهدها في الصيف رأى العجب، إنما ينامون في الكلال، وثم بق له حمة كالإبرة إنما هي نحيرة.

والمدينة كثيرة الفقهاء والقراء والأدباء والأئمة والملوك بخاصية بغداد والبصرة وللمذكرين به أدنى صيت، ويحمل إليهم الثلج من البعد وهو بارد في الشتاء ربما جمد الماء في البصرة وجميع بغداد، وأهل الكوفة والبصرة سمر. وبه مجوس كثيرة وذمته نصارى ويهود، وقد حصل به عدة من المذاهب الغلبة ببغداد للحنابلة والشيعة، مع جليلة فقهاء العراقيين بالأعوام، به مالكية وأشعرية ومعتزلة ونجارية، وبالكوفة الشيعة إلا الكناسة فإنها سنة، وبالبصرة مجالس وعوام السالمية وهو قوم يدعون الكلام والزهد وأكثر المذكرين بها منهم ولا يتعاطون الفقه فمن تفقه منهم تفقه لمالك، وذكروا أن صاحبهم ابن سالم كان يتفقه لأبي حنيفة، وسالم كان غلام سهل بن عبد الله التستري، ورأيتم قوما فيهم رزق وصالحون إلا أنهم يفرطون في أطراء صاحبهم، وقد اختلفت إليهم المدة المديدة وعرفت سرائرهم وحللت من قلوبهم لأنني رجل أحب أهل النسك وأميل إلى أهل الزهد كأننا ما كانوا، ولهم رقة في الكلام وتصانيف وترفع مجالسهم وبعد خلافهم. وأكثر أهل البصرة قدرية وشيعة وثم حنابلة، وببغداد غالبية يفرطون في حب معاوية ومشبهة وبربهارية. وكنت يوما بجامع واسط وإذا برجل قد اجتمع عليه الناس، فدنوت منه فإذا هو يقول حدثنا فلان عن فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يدني معاوية يوم القيامة فيجلسه إلى جنبه ويغلفه بيده ثم يجلوه على الخلق كالعروس، فقلت له بماذا بمحاربتك عليا رضي الله عن معاوية، وكذبت أنت يا ضال، فقال: خذوا هذا الرافضي فاقبل الناس علي فعرفني بعض الكتبة فكركرهم عني.

والغالب على فقهاء هذا الإقليم وقضاته أصحاب أبي حنيفة. وكنت يوما في مجلس أبي محمد السيرافي، فقال: أنت رجل شامي وأهل ناحيتك أصحاب حديث يتفقون للشافعي فلم تفقهت لأبي حنيفة، قلت: لخال ثلاث أيد الله الفقيه، قال: وما هن، قلت: أما واحدة فأني رأيت اعتماده على قول علي رضي الله عنه وقال النبي صلى الله عليه وسلم أنا مدينة العلم وعلي بابها وقال أقضاكم علي يعني أفقكم، وعلى قول عبد الله بن مسعود وقال عم رضيت لأمتي ما رضى لها ابن أم عبد وقال كنيف ملئ علما وقال خذوا ثلثي دينكم عن ابن أم عبد وعلم أهل الكوفة عن هذين الرجلين لا محالة. والخلة الثانية رأيت أقدام الأئمة وأقربهم إلى الصحابة وأورعهم وأعبدهم، وقد قال: عليكم بالعتيق وقال النبي صلى الله عليه وسلم " خياركم القرن الذي أنا فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يقشو الكذب وكان في زمن الصدق والصادقين " . والخلة الثالثة رأيت الجميع قد فارقوه في مسألة أصاب فيها عيانا وخطأوا، قال: وما هي، قلت: قد علم الشيخ أن من مذهبه أنه لا يجوز أخذ الأجرة على القرب، ورأيت من حج بأجرة انتكس قلبه، فإن عاد أزداد نكوسا وقل ورعه حتى ربما أخذ الحجتين والثلاث ولم أر لهم بركة ولا جمعوا منه مالا قط، وكذلك الأئمة والمؤذنون ونظائرهم، لأنهم استحقوا أجرهم على الله فأخذوه من خلقه، قال: لقد دققت النظر يا مقدسي واحتطت لنفسك، فإن قال قائل أبو حنيفة مطعون عليه قيل له إعلم أن الخلق على ثلاثة ضروب: ضرب قد اجمع الناس على سدادهم وضرب قد اجمع الجمهور على فسادهم وضرب قد مدحهم بعض وذمهم بعض وهم أفضل الثلاثة فخذ قياسهم من الصحابة. فالمحمودون ابن مسعود ومعاذ وزيد، والمذمومون عبد الله بن أبي، والأفضلون الخلفاء الأربعة. وقد علمت ما يقول فيهم الخوارج وجهال الشيعة، فأبو حنيفة إن كان طائفة من الحمقى يذمونه فخلانق من أهل الفضل يدعون له ويحمدونه مع ما فتح الله على قلبه حتى فرع الشريعة واراخ الخليقة ثم اختياره الضرب والسجن على القضاء فمثل أبي حنيفة لا يرى.

والقراءات السبع مستعملة في الإقليم وكانت في القديم ببغداد حروف حمزة وحروف يعقوب الحضرمي بالبصرة ورأيت أبا بكر الجرتكي يؤم بها في الجامع ويذكر أنها قراءة المشايخ. ولغاتهم مختلفة أصحابها الكوفية لقربهم من البادية وبعدهم عن النبط ثم هي بعد ذلك حسنة فاسدة بخاصة بغداد. وأما البطائح فنبط لا لسان ولا عقل. ولا بأس بالتجارات فيه، ألم تسمع بخز البصرة وبزها وطرائفها وبأرزها، هي معدن اللآلي والجواهر وفرة البحر ومطرح البر وبها يصنع الراسخت والزنجفر والزنجار والمرداسنج، ومنها تحمل التمور إلى الأطراف والحناء ولهم خز وبنفسج وماورد. وبالأبله تعمل ثياب الكتان الرفيعة على عمل القصب. وبالكوفة عمائم الخز والبنفسج في غاية الجودة. وبمدينة السلام الطرائف وألوان ثياب القز وغير

ذلك وبه عباداني حسن وسامان رفيع. ومن خصائصهم بنفسي الكوفة وأزادها، ومحكم بغداد وطرانها، ومعقل البصرة، وتين حلوان، وشيم واسط وبنيتها، ويصنع بالنعمانية أكسية وثياب صوف عسليه حسنة، وبيغداد أزر وعمائم يكانكي رفيعة ومناديل القصرية والبويبية، وصوف تكريت، والستور الواسطية. ومكاييلهم القفيز ثلاثون مناء، والمكوك خمسة امناء، والكيلجة منوان، ورطلهم نصف المن. ونقودهم بالوزن غير أن سنجهم أشف من الخراسانية. من رسومهم التجمل والتطيلس يكثرون التنعل وتسجيل العمائم ولبس الشروب أقل ما يقورون الطيالية. وإذا كان بوقت حمل التمر الحديث إلى واسط نظر أول سفينة تصل فيزين لها ذلك البيع الشط إلى دكانه بالأنماط والستور. ويجعلون على جناز النساء قببا عالية وحشة. وللهراسين مواضع فوق دكاكينهم فيها الحصر والموائد والمري خدام وطشوت وأباريق وأشنان، فإذا انحدر الرجل دفع دانقا. وإذا كان أول البنفسج داروا به في الأسواف وتجلوا عليه. وعلى أبواب الجامع مياضيء بالكرى. ويلبس الخطباء الأقبية والمناطق ولا يطربون في الأذان ولهم رسوم كثيرة حسان.

وأكثر مياههم ماء دجلة والفرات والزاب والنهروانات ومنها سقي مزارعهم، والماء بالبصرة ضيق لأنه يحمل في السفن من الأبله، وأما الماء الملاصق لها فغير حلو ولا طيب ويقال فيه ثلثه ماء البحر وثلثه ماء الجزر وثلثه ماخ الحجر لأن الماء إذا جزر شمرد شطوط الأنهار فلذ الناس عليها ثم يقبل المد فيحمل تلك البلاذات. وإذا هبت الجنوب سخن الماء. تقع عصبات وحشة بالبصرة بين الربيعين وهم شيعة وبين السعديين وهم سنة، ويدخل فيها أهل الرساتيق، وقل بلد إلا وبه عصبيات على غير المذهب. والمشاهد به كثيرة بكوثا ولد ابراهيم واوقدت ناره، وبالكوفة بنى نوح سفينته وفارنتوره، وثم آثار علي وقبره وقبر الحسين ومقتله. وبالبصرة قبر طلحة وزبير وأخي النبي والحسن البصري وأنس بن مالك وعمران بن حصين وسفيان الثوري ومالك بن دينار وعتبة الغلام ومحمد بن واسع وصالح المري وأيوب السختياني وسهل التستري وراعبة العدوية وثم قبر ابن سالم. وبيغداد قبر أبي حنيفة قد بنى عليه أبو جعفر الزمام صفة، وقبر إلى جانبه خلف سوق يحيى وقبر أبي يوسف في مقبرة قريش وقبر أحمد بن حنبل ومعروف الكرخي وبشر الحافي وغيرهم. وقبر سلمان بالمدين، وبالكوفة قبر نبي أظنه يونس عليه السلام. وفي أخلاقهم وطاء وهم أهل الظرف غير أن العيارين إذا تحركوا ببيغداد هلكوا والفساد كثير، وبالبصرة صالحون وزهاد وورعون ومستورون ويؤخرون الظهر ويعجلون العصر ويستقرون بالجامع ليجتمع الناس من الأطراف ويخطب الإمام كل غداة ويدعو، قالوا هي سنة ابن عباس رضي الله عنه. وأما الولايات فهي مستقر خلفاء ولد العباس رضي الله عنه وكان أبدا الأمر أمرهم حتى ضعفوا وغلب عليهم الديلم والآن لا يرون ولا يلتفت إلى رأيهم. فأولهم كان أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، بويج له سنة ومات سنة بالأنبار، وكان قاضيه يحيى بن سعيد الأنصاري. ثم بويج للمنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد سنة ومات سنة، وكان قاضيه عبيد الله بن صفوان وشريك والحسن بن عمار. ثم جلس بعده المهدي أبو عبد الله بن المنصور سنة، وكان قاضيه محمد بن عبد الله بن علاقة وعافية ابن يزيد توفي سنة. وبويج للهادي أبي محمد موسى بن المهدي، وكان قاضيه أبو يوسف وسعيد بن عبد الرحمن توفي سنة. وجلس بعده الرشيد أبو جعفر هرون بن المهدي ليلة الجمعة رابع عشر ربيع الأول سنة، قاضيه الحسين بن الحسن الصوفي ثم عون بن عبد الله المسعودي وحض بن غياث مات بطوس سنة. فبويج الأمين محمد ابنه لسبع خلون من جمادي الآخرة سنة. ثم خرج إليه أخوه المأمون فقتله وبويج له سنة، قضاته الواقدى ومحمد بن عبد الرحمان المخزومي ثم بشر بن الوليد ثم يحيى بن أكنم وتوفي سنة بطرسوس. وبويج لأبي إسحاق محمد بن الرشيد المعتصم، قاضية أحمد بن أبي دواد ومات سنة. ثم بويج لأبنة أبي جعفر هرون، قاضيه أحمد بن أبي دواد توفي سنة. فبويج لأخيه أبي الفضل جعفر المتوكل، قاضيه جعفر بن عبد الواحد الهاشمي وتوفي سنة. فبويج لأبنة المنتصر أبي جعفر محمد، قاضيه جعفر بن عبد الواحد توفي سنة. ثم بويج لأبنة أبي العباس أحمد المستعين، قاضيه جعفر بن محمد ابن عمار، ثم خلع نفسه بعد ثلاث سنين وثمانية أشهر. وبويج للمعتز بن المتوكل، قاضيه الحسن بن محمد بن أبي الشوارب. ثم بويج للمعتد أبي العباس أحمد بن المتوكل سنة، قاضيه ابن أبي الشوارب ومات سنة. ثم بويج لأبنة أبي العباس أحمد بن أبي أحمد المعتضد، قاضيه إسماعيل بن إسحاق ويوسف بن يعقوب وابن أبي الشوارب توفي سنة. ثم بويج ابنه أبو محمد علي المكتفي، قاضيه يوسف بن يعقوب وابن محمد توفي سنة. ثم بويج ابنه أبو الفضل جعفر المقنن بالله، قاضيه محمد بن يوسف بن يعقوب ثم ابنه يوسف ثم يعقوب أبو عمرو قتل سنة. ثم جلس القاهر سنة وستة أشهر ثم الراضي سبع سنين وعشرة أيام ثم المنقي ثلاث سنين واحد عشر شهرا. ثم المستكفي سنة، قاضيه أبو عبد الله ابن أبي موسى الضرير ثم كحل سنة. واجلسوا المطيع أبا القاسم الفضل، وكل هؤلاء أبناء المعتضد، فبقي له الأمر إلى سنة. ثم خلع نفسه وأجلس ابنه عبد الكريم أبا بكر الطائع، قاضيه أبو محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف. وأول من أستولى من الديلم أبو الحسن ابن بويه ثم ابنه بختيار ثم عضد الدولة ثم ابنه بلكارزار ثم ابنه الأكبر أبو الفوارس. وأما الخراج فاعلم أن جربان هذا الإقليم سنة وثلاثون ألف ألف جريب، على جريب الحنطة أربعة دراهم، وعلى جريب الشعير درهمان، وعلى جريب النخل ثمانية دراهم، هذا ما قدره عمر وختم على خمسمائة ألف من الجوالي، فيبلغ جباية السواد مائة ألف ألف وثمانية وعشرين ألف ألف درهم. ثم جبا عمر بن عبد العزيز مائة ألف ألف وأربعة وعشرين ألف ألف درهم. وجبا

الحجاج ثمانية عشر ألف ألف ليس فيها مائة ألف ألف. وأما البصرة والكوفة فعشرية. وقرأت في كتاب بخزانة عضد الدولة أن إثمان غوال السواد ستة وثمانون ألف ألف وسبعمائة ألف وثمانون ألف درهم، ومن أبواب المال بالسواد أربعة آلاف ألف وثمانية آلاف درهم، وخراج دجلة ثمانية آلاف ألف وخمسمائة ألف درهم. والعراق يفصل بالطساسيج وهي ستون، لكورة حلوان خمسة ولشاذقباد ثمانية ولبرماسيان ثلاثة ولبهقباد لأعلى ستة وللأوسط أربعة ولاردشير بابكان خمسة ولشاذسابور أربعة ولشاذبهمن أربعة ولاستان العال أربعة ولبهقباد الأسفل خمسة ولشاذهرمز سبعة وللنهروانات خمسة. وأما الضرائب فتقيلة كثيرة محدثة في النهر والبر، وفي البصرة تفتش صعب وشوكات منكرو وكذلك بالبطائح تقوم الأمتعة وتفتش. وأما القرامطة فلهم ديوان على باب البصرة وللديلم ديوان آخر حتى إنه يؤخذ على الغنمة الواحدة أربعة دراهم ولا يفتح إلا ساعة من النهار. وإذا رجع الحاج مكسوا أحمال الأدم والجمال الأعرابية، وكذلك بالكوفة وبغداد، ويؤخذ من الحاج للمحمل ستون ومن الكنيسة أو حمل البز مائة ومن العمارية خمسون، ومائة بالبصرة والكوفة. ومساحة العراق طولاً من البحر إلى السن مائة فرسخ وخمسة وعشرون، وعرضه من العذيب إلى عقبة حلوان ثمانون، فإذا كسرت كان عشرة آلاف فرسخ. وأما المسافات فتأخذ من بغداد إلى نهر الملك مرحلة ثم إلى القصر مرحلة ثم إلى حمام ابن عمر مرحلة ثم إلى الكوفة مرحلة ثم إلى القادسية مرحلة. وتأخذ من بغداد إلى المداين مرحلة ثم إلى السيب مرحلة ثم إلى دير العاقول مرحلة ثم إلى جرجرايا مرحلة ثم إلى النعمانية مرحلة ثم إلى جبل مرحلة ثم إلى نهر سابس مرحلة ثم إلى مطارة بريدين ثم إلى الحارله مثلها ثم إلى الإسحاقية مرحلة ثم إلى المحرقة بريدين ثم إلى الحدادية مثلها ثم إلى ترمانة مرحلة ثم إلى واسط مرحلة. وإن شئت فخذ من الحدادية إلى الزبيدية مرحلة ثم إلى واسط بريدين. ومن المحرقة إلى الجامدة بريدين ومن الحدادية إلى الصليق بريدين. وتأخذ من البصرة إلى الأبله بريدين ثم إلى بيان مرحلة ثم إلى عبادان مرحلة. وتأخذ من بغداد إلى السيلحين بريدين ثم إلى الأنبار مرحلة ثم إلى الرب مرحلة ثم إلى هيت مرحلتين. وتأخذ من بغداد إلى البردان بريدين ثم إلى عكبرا مرحلة ثم إلى باحشا نصف مرحلة ثم إلى القادسية مرحلة ثم إلى الكرخ مرحلة ثم إلى جبلتا مرحلة ثم إلى السودقانية مثلها ثم إلى بارما مثلها ثم إلى السن مثلها. وتأخذ من بغداد إلى النهروان بريدين ثم إلى دير بازما مثلها ثم إلى الدسكرة مرحلة ثم إلى جلولا مرحلة ثم إلى خانقين مرحلة. وتأخذ من هيت إلى النأوسة مرحلة ثم إلى عانة مرحلة ثم إلى الوسة مرحلة ثم إلى الفحيمة مرحلة ثم إلى الحديثة مرحلة ثم إلى النيهة مرحلة. وتأخذ من حلوان إلى ماذرواستان بريدين ثم إلى المرج مرحلة ثم إلى قصر يزيد بريدين ثم إلى الزبيدية مرحلة ثم إلى قصر عمرو مرحلة ثم إلى قرماسين نصف مرحلة. وتأخذ من حلوان إلى قصر شيرين مرحلة ثم إلى خانقين مرحلة. وتأخذ من الأبله إلى الخزية مرحلة في الماء ومن الأبله إلى نهر دبا مرحلة ثم إلى قم العضدي مرحلة وعسكر أبي جعفر بازاء الأبله يعبر إليه. وسميص واسط لأن منها إلى بغداد أو إلى الكوفة أو إلى البصرة أو إلى حلوان أو إلى الأهواز خمسين فرسخاً، وليست وسط العراق إنما وسطه دير العاقول، والطريق من الكوفة به ثم ابنه بختيار ثم عضد الدولة ثم ابنه بلكارزار ثم ابنه الأكبر أبو الفوارس. وأما الخراج فاعلم أن جربان هذا الإقليم ستة وثلاثون ألف ألف جريب، على جريب الحنطة أربعة دراهم، وعلى جريب الشعير درهمان، وعلى جريب النخل ثمانية دراهم، هذا ما قدره عمر وختم على خمسمائة ألف من الجوالي، فبلغ جباية السواد مائة ألف ألف وثمانية وعشرين ألف ألف درهم. ثم جبا عمر بن عبد العزيز مائة ألف ألف وأربعة وعشرين ألف ألف درهم. وجبا الحجاج ثمانية عشر ألف ألف ليس فيها مائة ألف ألف. وأما البصرة والكوفة فعشرية. وقرأت في كتاب بخزانة عضد الدولة أن إثمان غوال السواد ستة وثمانون ألف ألف وسبعمائة ألف وثمانون ألف درهم، ومن أبواب المال بالسواد أربعة آلاف ألف وثمانية آلاف درهم، وخراج دجلة ثمانية آلاف ألف وخمسمائة ألف درهم. والعراق يفصل بالطساسيج وهي ستون، لكورة حلوان خمسة ولشاذقباد ثمانية ولبرماسيان ثلاثة ولبهقباد لأعلى ستة وللأوسط أربعة ولاردشير بابكان خمسة ولشاذسابور أربعة ولشاذبهمن أربعة ولاستان العال أربعة ولبهقباد الأسفل خمسة ولشاذهرمز سبعة وللنهروانات خمسة. وأما الضرائب فتقيلة كثيرة محدثة في النهر والبر، وفي البصرة تفتش صعب وشوكات منكرو وكذلك بالبطائح تقوم الأمتعة وتفتش. وأما القرامطة فلهم ديوان على باب البصرة وللديلم ديوان آخر حتى إنه يؤخذ على الغنمة الواحدة أربعة دراهم ولا يفتح إلا ساعة من النهار. وإذا رجع الحاج مكسوا أحمال الأدم والجمال الأعرابية، وكذلك بالكوفة وبغداد، ويؤخذ من الحاج للمحمل ستون ومن الكنيسة أو حمل البز مائة ومن العمارية خمسون، ومائة بالبصرة والكوفة. ومساحة العراق طولاً من البحر إلى السن مائة فرسخ وخمسة وعشرون، وعرضه من العذيب إلى عقبة حلوان ثمانون، فإذا كسرت كان عشرة آلاف فرسخ. وأما المسافات فتأخذ من بغداد إلى نهر الملك مرحلة ثم إلى القصر مرحلة ثم إلى حمام ابن عمر مرحلة ثم إلى الكوفة مرحلة ثم إلى القادسية مرحلة. وتأخذ من بغداد إلى المداين مرحلة ثم إلى السيب مرحلة ثم إلى دير العاقول مرحلة ثم إلى جرجرايا مرحلة ثم إلى النعمانية مرحلة ثم إلى جبل مرحلة ثم إلى نهر سابس مرحلة ثم إلى مطارة بريدين ثم إلى الحارله مثلها ثم إلى الإسحاقية مرحلة ثم إلى المحرقة بريدين ثم إلى الحدادية مثلها ثم إلى ترمانة مرحلة ثم إلى واسط مرحلة. وإن شئت فخذ من الحدادية إلى الزبيدية مرحلة ثم إلى واسط بريدين. ومن المحرقة إلى الجامدة بريدين ومن الحدادية إلى الصليق بريدين. وتأخذ من البصرة إلى الأبله بريدين ثم إلى بيان مرحلة ثم إلى عبادان مرحلة. وتأخذ من بغداد إلى السيلحين بريدين ثم إلى الأنبار مرحلة ثم إلى الرب مرحلة ثم إلى هيت

مرحلتين. وتأخذ من بغداد إلى اليردان بريدين ثم إلى عكبرا مرحلة ثم إلى باحمشا نصف مرحلة ثم إلى القادسية مرحلة ثم إلى الكرخ مرحلة ثم إلى جبلتا مرحلة ثم إلى السودقانية مثلها ثم إلى بارما مثلها ثم إلى السن مثلها. وتأخذ من بغداد إلى النهروان بريدين ثم إلى دير بازما مثلها ثم إلى الدسكرة مرحلة ثم إلى جلولا مرحلة ثم إلى خانقين مرحلة. وتأخذ من هيت إلى الناووسة مرحلة ثم إلى عانة مرحلة ثم إلى أوسة مرحلة ثم إلى الفحيمة مرحلة ثم إلى الحديثة مرحلة ثم إلى النهاية مرحلة. وتأخذ من حلوان إلى مازرواستان بريدين ثم إلى المرحج مرحلة ثم إلى قصر يزيد بريدين ثم إلى الزبيدية مرحلة ثم إلى قصر عمرو مرحلة ثم إلى قرماسين نصف مرحلة. وتأخذ من حلوان إلى قصر شيرين مرحلة ثم إلى خانقين مرحلة. وتأخذ من الأبله إلى الخزية مرحلة في الماء ومن الأبله إلى نهر دبا مرحلة ثم إلى فم العضدي مرحلة وعسكر أبي جعفر بازاء الأبله يعبر إليه. وسميص واسط لأن منها إلى بغداد أو إلى الكوفة أو إلى البصرة أو إلى حلوان أو إلى الأهواز خمسين خمسين فرسخا، وليست وسط العراق إنما وسطه دير العاقول، والطريق من الكوفة.

إقليم آقور

هذا أيضا إقليم نفيس، ثم له فضل لأن به مشاهد الأنبياء ومنازل الأولياء، به استقرت سفينة نوح على الجودي وبه سكن أهلها، وبنوا مدينة ثمانين وبه تاب الله على قوم يونس وأخرج منه العين، ومنه دخل الظلمات ذو القرنين، وبه كانت عجائب جرجيس مع دادياته، وفيه أنبت الله تعالى ليونس اليقطينة، ومنه خرج نهر الملة المبارك المذكور دجلة، أليس به مسجد يونس بتل توبة يقولون سبع زورات له يعدلن حجة مع مشاهد كثيرة وفضائل جمّة، ثم هو ثغر من ثغور المسلمين ومقل من معاقلم لأن آمد اليوم دار جهادهم والموصل من أجل انضادهم. وجزيرة ابن عمر أحد منازلهم، ومع ذلك هو واسطة بين العراق والشام ومنازل العرب في الإسلام. ومعن الخيل العتاق، ومنه ميرة أكثر العراق. رخيص الاسعار جيد الثمار ومعن الأخيار. أخبرنا الحاكم أبو نصر منصور بن محمد الحربي محتسب بخارا، قال: حدثنا الهيثم بن كليب، قال: حدثنا أبو يعلى الحسن بن اسماعيل وأبوسليمان محمد بن منصور الفقيه، قالوا: حدثنا اسماعيل هو ابن أبي أويس، قال: حدثني كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أجبل من جبال الجنة وأربعة أنهار من أنهار الجنة وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة، قيل ما الأجل، قال: أحد يحبنا ونحبه، ومجنة جبل من جبال الجنة، والطور جبل من جبال الجنة. والأنهار النيل والفرات وسيحان وجيحان. والملاحم بدر وأحد والخندق وحنين. والفرات يتقوس على هذا الإقليم وله هذا الفضل، ودجلة ينبع منه ولها الذكر. وبه النعم والمشاهد والثغور والمساجد، إلا أنه بيت الذعار والطريق فيه صعبة، وقد خربت الروم ثغوره. وهذا مثاله وشكله. وقد قسمنا هذا الإقليم على بطون العرب لتعرف ديارهم وتميزها وجعلناه ثلاث كور على عدة بطونهم، أولها من قبل العراق ديار ربيعة ثم ديار مضر ثم ديار بكر وبه أربع نواح. وأما ديار ربيعة فقصبته الموصل ومن مدنها: الحديثة، معلثاي، الحسنية، تلغفر، سنجار، الجبال، بلد، أذرمة، برقعيد، نصيبين، دارا، كفتوتوا، رأس العين، ثمانين، وأما ناحيتها فجزيرة ابن عمر ومدنها: فيشابور، باعيناتا، المغيثة، الزوزان. وأما ديار مضر فقصبته الرقة ومن مدنها: المحترقة، الرفافة، خانوقة، الحريش، تل محري، باجروان، حصن مسلمة، ترعوز، حران، الرها. والناحية سروج، كفرزباب، كفرسيرين. وأما ديار بكر فقصبته آمد ومن مدنها: ميفارقين، تل فافان، حصن كيفا، الفار، حاذية، وغيرهن. ومدن الفراتية أكبرهن رحبة ابن طوق، قرقيسيا، عانة، الدالية، الحديثة. ومدن الخابور قصبته عرايان ومن مدنها: الحصين، الشمسينية، ميكسين، سكير العباس، الخيشة، السكينية، التنانير.

الموصل: هو مصر هذا الإقليم بلد جليل حسن البناء طيب الهواء صحيح الماء، كبير الاسم قديم الرسم، حسن الأسواق والفنادق، كثير الملوك والمشايخ لا يخلو من أسناد عال وفقهه مذكور. منها ميرة بغداد وإليه قوافل الرحاب، وله منازة خصائص وثمار حسنة وحمامات سرية ودور بهية ولحوم جيدة وأمور جامعة، غير أن البساتين بعيدة وريح الجنوب مؤذية وماء النهر بعيد المستقى. والبلد شبه طيلسان مثل البصرة ليس بالكبير، في ثلثه شبه حصن يسمى المربعة على نهر زبيدة ويعرف بسوق الأربعاء داخله فضاء واسع به يجتمع الأكرة والحواصيد، على كل ركن فندق وبين الجامع والشط رمية سهم على نشرة يصعد إليه بدرج من نحو الشط ودرجه من قبل الأسواق أقل، كله أزاجات من حجارة باناط، ووجه المغطى بلا أبواب وأكثر الأسواق مغطاة، والأبار مالحة وشربهم من دجلة ومن نهر زبيدة. من دروبه درب دير الأعلى باصلوت درب الجصاصين درب بني ميده درب الجصاصية درب رحي أمير المؤمنين درب الدباغين درب جميل. والبلد على الشط، وقصر الخليفة على نصف فرسخ من الجانب الآخر عند نونوى القديمة.

وكان اسم الموصل خولان فلما وصل العرب بها عمارتهم ومصروها سميت الموصل. ونونوى: بقرب الموصل وهي مدينة يونس بن متى، عليها حصن قد أقلبه الريح، وهي الآن مزارع على جانب منها نهر الخوصر. مر جهينة: على دجلة من نحو

الموصل ومن نحو العراق، كثيره أبراج الحمام، والحصن من جص وحجر، والجامع وسط البلد. الحديثة: على دجلة أيضا عند جرف يصعد إليها بدرج والجامع قرب الشط طيلسان بنيانهم طين والجامع وهي شرقية. معلثايا: من نحو آمد صغيرة كثيرة البساتين على نهر بنيانهم طين والجامع على تل. الحسنية: على نهر يقبل من أرمية وهو الذي عليه قنطرة سنجة، والجامع وسط البلد والنهر على جانب. ثمانين: مدينة على نهر غزير يقبل من أرمينية تحت الجودي، وحدثنا أبو سعيد بن حمدان، قال: حدثنا أبو حامد الجلودي، قال: حدثنا أبو هانئ، قال: قرأ أبي علي عبد المنعم بن ادريس عن أبيه عن وهب بن منبه، قال: لما خرج نوح من السفينة بنى قرية وسماها ثمانين وكانت أول قرية بعد الطوفان بناها نوح بعددهم لكل رجل ممن معه بيتا، فهي أول مدينة بنيت بالجزيرة، جزيرة ابن عمر: بلد كبير، يدور عليه الماء من ثلاثة جوانب ودجلة بينها وبين الجبل، وهي طيبة نزيهة بناؤهم حجارة شرقي دجلة وحلة في الشتاء. باعينا: نزهة. طيبة، وهي خمس وعشرون محلة يتخللها البساتين والمياه، ليس مثلها بالعراق مع رفق ورخص. بلد: غزير الدخلة كثيرة القصور حسنة البنيان من جص وحجر، فرجة الأشواق والجامع وسط البلد. أذمة: صغيرة في البرية، شربهم من آبار وبنيانهم قباب، وبرقعيد كذلك إلا إنها أكبر. نصيبين: هي أنزه وأصغر وأرحب من الموصل، كثيرة الفواكه بها حمامات حسنة وقصور منيفة، ولهم يسار ولباقة، سوقها من الباب إلى الباب، عليها حصن من حجر وكلس، والجامع وسط البلد، ونعوذ بالله من عقابها. دارا: صغيرة طيبة، لهم قناة تعم البلد وتجري فوق السطوح وتقر في الجامع ثم تنحدر إلى واد، بنيانهم حجارة سود وكلس. سنجار: في مفازة بها نخل كثير، كثيرة الأساكفة، الجامع فيهم، شربهم من ضهر عذبي وعيون كثيرة، رأس العين: في سهلة أسفلها متخرق بالماء يتفجر عيوننا، ولهم بحيرة صغيرة رأس الماء نحو من قامتين، زلال يطرح الدرهم فلا يخفي في أسفله، بنيانهم حجارة وجص، ولهم بساتين ومزارع، ويقع إليها ثلاثمائة وستون عينا عذبة تمد إلى الرقة.

آمد: بلد حصين حسن عجيب البناء على عمل إنطاكية، بفصيل شبه كرسي له أبواب وعليه شرف، بينه وبين الحصن فضاء، وهي أصغر من إنطاكية بحجارة سود صلبة وكذلك أساسات الدور، وفيها عيون غربي دجلة رحبة طيبة، ثغر للمسلمين وحصن حصين، الجامع وسط البلد، لها خمسة أبواب باب الماء وباب الجبل وباب الروم وباب التل وباب أنس، صغير يحتاج إليه وقت الحرب، وبعض الحصن على الجبل ولا أعرف للمسلمين اليوم بلدا أحسن ولا ثغرا أجل منها. ميفارقين: بلد طيب حصين له شرف وفصيل بحجارة وخذق، قليلة العلم والبساتين، شربهم من عيون ونهر وحلة في الشتاء بليدة هي كنيف الإقليم. الجبال: حصينة بها قلعة وربض، فيه الجامع على طرف، شربهم من قنى عذبية، وبنائهم من حجر وطين وسورهم غير منيع. تل فافان: من ناحية الجبل بين دجلة ورزق، حولها بساتين والأسعار بها رخيصة، وأسواقها مغطاة، بناؤهم طين. حصن كيفا: كثيرة الخير، وبها قلعة حصينة وكنائس كثيرة، شربهم من دجلة. الفار وحاذية دونهن. فهذا ما عرفنا من مدن هذه الكورة، وفي بدليس كلام واختلاف نذكره في إقليم الرحاب.

الرقة قصبة ديار مضر على الفرات بحصن عريض يسير على متنه فارسان، غيركبيرة، ولها بابان، غير أنها طيبة نزهة قديمة الخطة حسنة الأسواق كثيرة القرى والبساتين والخيرات ومعدن الصابون الجيد والزيتون، ولها جامع عجيب، وحمامات طيبة، قد ظلت أسواقها وبربقت قصورها وانتشر في الإقليمين ذكرها، فالشام على تخمها والفرات إلى جنبها والعلم كثير بها، إلا أن الأعراب بها محيطة والطرق إليها صعبة. والرقة المحترقة قريبة منها قد خفت وخربت الرافقة هي ربض الرقة، الجامع في الصاغة وجامع الرقة في البزازين فيه شجرتا عناب وشجرة توت، وبالقرب مسجد معلق على عمود. حران: مدينة نزيهة وعليها حصن من حجارة على عمل إيليا في حسن البناء بها قناة لا يعلم من أين تقبل، والجامع منظر، وسقي مزارعهم من آبار وهي جيدة الأقطان، وبصحة موازينهم تضرب الأمثال. الرها: على عمل الطيب محصنة، والجامع على طرف شعث، وبها كنيسة عجيبة بازاج ملبسة بالفاسفاساء هي أحد عجائب الدنيا. وأما ناحية الخابور فقصبته عرابان وهي تل رفيع، حولها بساتين والأسعار بها رخيصة ولهم مزارع كثيرة، وسائر المدن رحبة. وناحية الفرات أجلها الرحبة: مدينة كبيرة من نحو البادية طيلسان، ولها حصن وربض. وبقية المدن من جانب البادية عامرات.

جمل شؤون هذا الإقليم

أما الهواء والرسوم فمقاربة للشام مشابهة للعراق، وبه مواضع حارة، وبه نخيل مثل سنجار ومدن الفرات، وكورة آمد باردة لقربها من الجبال واصح بلدانة هواء الموصل. وأكثر بنيانهم الحجارة ولا أعرف به ماء رديا ولا واديا وبيبا ولا طعاما لا تجده مريا. وليس به مجوس ومعدن الصابئين بالرها وحران في جميع المملكة. وليس فيه بحيرة ولا يتصل ببحر ولا للمذكرين به صيت ولا للرزق به سوق.

ومذاهبهم سنة وجماعة إلا عانة فإنها كثيرة المعتزلة ولا ترى في الرأي غير مذهب أبي حنيفة والشافعي وفيه حنابلة وجلية للشيعه، لم تقسم الأهواء قلوبهم ولا يتعاطى الكلام فقهاؤهم يختارون قراءة عبد الله بن عامر. واتفق حرب البجاة مع الحبوش وقت كوني بزبيد، فاستخلفني القاضي اصلي بهم العشائين، فقال لي يوما القوم لك شاكرون وأنا لك لائم، قلت: على ماذا أيد الله القاضي، قال: أنت رجل تتفقه لأهل الكوفة فلم لا تقرأ بحروفهم وما الذي أمالك إلى قراءة ابن عامر، قلت: خلال أربع، قال: وماهن، قدت: أما الأولى فإن ابن مجاهد روى عن ابن عامر ثلاث روايات إحداهن أنه قرأ على عثمان بن عفان، والثانية أنه سمع القرآن من عثمان وهو صبي، والثالثة أنه قرأ على من قرأ على عثمان وليس هذا لغيره من أئمة القراء، بل بين كل واحد وبين علي وعبد الله وأبي وابن عباس رجلا أو ثلاثة، فمن بينه وبين عثمان الذي قد اجمع المسلمون على مصحفه واتفقوا على جمعه وتداولوه رجل أحق بأن يقرأ له ممن بينه وبين من لا يستعمل جمعه ولا وقع الإتفاق على مصحفه رجلا وثلاثة وايضا رأيت المصاحف القديمة بالشام ومصر والحجاز المنسوبة إلى عثمان فإذا هي لا تخالف حروف ابن عامر في شيء. والخلة الثانية رأيت قراءة ابن عامر قياسية، إذا استعمل التاء أو التثنية في موضع أجراه في جميع النظائر، وغيره يقول في سورة كذا بالتاء وفي سورة كذا بالياء وفي موضع سدا وموضع آخر سدا وخراجا وخرجا وكرها وكرها وأمثال هذا كثير، وكنت رجلا قد اردت التفقه فرايتها علي أهون وإلى طريقة الفقه أقرب. والخلة الثالثة رأيت بقية القراء قد اختلفت عنهم الروايات من ثلاث إلى ثلاثين، وابن عامر لم يرو عنه إلا يحيى حسب وإنما وقع الإختلاف عن يحيى لأن ابن ذكوان وهشام بن عمار قرءا على يحيى، فعلمت أنه كان متقنا على يقين من قراءته. والرابعة إني رجل شامي وقد فارقتهم في المذهب فلم أحب أن أفارقهم في المقرأ بعد ما صح الرجحان عندي. فقال القاضي لله درك يابا عبد الله ما أحسن ما أتيت به، ولقد جلست هذه القراءة عندي بعد ما كنت فيها من الزاهدين. فان قال خصم أوليس قد ناقض ابن عامر في غير موضع اجبناه لو لم يناقض لزهنا في قراءته ووطننا به الطنون، لأن القراءات لا تؤخذ بالقياس فلما ناقضنا علمنا أنه متبع وناقل إلا أن نقله وافق القياس. فان قال أوليس قد طعن فيه السلف ولحنوه في حروف اجبناه أن أحدا من أئمة القراء لم يسلم من الطعن، الا ترى أنهم قد طعنوا على عاصم وحزمة في ضعف وعلى أبي عمرو في نساها وفي هذين وقد احتج الكبراء للجميع وصوبوا مذاهبهم، ولا يطعن في الأئمة إلا جاهل. فإن قال ابن عامر مجهول وقراءته غير مشهورة جبناه لو كان ابن عامر بالحجاز أو بالعراق ما جهل ولا شذت قراءته، لكنه لما كان بمصر متطرفا قل الواردون عليه والناقلون عنه، الا ترى أن الأوزاعي كان من أئمة الفقه وقد بطل مذهبه لهذا المعنى، فلو كانا على سابلة الحاج لنقل مذهبيهما أهل الشرق والغرب. فان قال الست ممن لقي مشايخ العلم والورع وأكثرهم ينهون عن التجريد ويختارون قراءة العامة اجبناه بلى، لكني لما سافرت وشاهدت أئمة المقرئين أحببت التلاوة عليهم وأخذ الفوائد منهم، فكنت إذا قرأت بالجائز هونوا امري وأحالوني على تلاميذهم فإذا جردت أقبلوا علي. والمياه واسعة أكثرها من دجلة والفرات والخابور وهو نهر من عيون تجتمع وتصب إلى الفرات، وأما أصل دجلة العراق فإنها تخرج من تحت كهف الظلمات ماء أخضر ثم تلقاها عدة أنهار الى الزاب، وأول مبدأها لا تدبير أكثر من رحا واحدة أول ما يختلط بها نهر الذيب ثم الرسم ثم المسوليات ثم تير الكاروخة ثم سربط ثم عين تل فافان ثم نهر الرزب ثم الزاب ثم أنت في العراق، ويقال الفرات مبارك ودجلة ملعونة. وبه تجارات ترتفع من الموصل الحبوب والعسل النمسود والفحم والشحوم والجبن والمن والسماق وحب الرمان والقيز والحديد والأسطال والسكاكين والنشاب والطريخ الفائق والسلاسل. ومن سنجار فرك اللوز وحب رمان والقصب والسماق. ومن نصيبين شاه بلوط وهو شيء أكبر من البندق وأطيب ليس بمدور والفواكه المقددة والموازين والدوايات والكوازين. ومن الرقة الصابون والزيت والأقلام. ومن حران القبيط وعسل النحل في أدنن والقطن والموازين. ومن الجزيرة الجوز واللوز والسمن والخيل الجياد. ومن الحسنية الجبن والقبيج والجوايق والشواريز والفواكه المقددة والزبيب. ومن معلثايا الألبان والفحم والأعنان والفواكه الرطبة والشاهدانق والقنب والنمسود. ومن بلد اللبأ في القدر في الزواريق القدر بخمس دوانيق امناء. ومن الرحبة السفرجل الفائق الرائق. ومن آمد ثياب الصوف والكتان الرومية على عمل الصقلي وخصائص هذا الإقليم الخيل والسيور وقبيط حران وقطنها وموازينها. وأما مكابيلهم فلهم المد والمكوك والقفيز والكاره، فالمكوك خمسة عشر رطلا، والمد ربعه، والكار مائتان وأربعون رطلا، والقفيز ربعها، والمكوك ربع القفيز، وأرطالهم بغدادية، وفرقهم بغدادية ستة وثلاثون رطلا.وز والسمن والخيل الجياد. ومن الحسنية الجبن والقبيج والجوايق والشواريز والفواكه المقددة والزبيب. ومن معلثايا الألبان والفحم والأعنان والفواكه الرطبة والشاهدانق والقنب والنمسود. ومن بلد اللبأ في القدر في الزواريق القدر بخمس دوانيق امناء. ومن الرحبة السفرجل الفائق الرائق. ومن آمد ثياب الصوف والكتان الرومية على عمل الصقلي وخصائص هذا الإقليم الخيل والسيور وقبيط حران وقطنها وموازينها. وأما مكابيلهم فلهم المد والمكوك والقفيز والكاره، فالمكوك خمسة عشر رطلا، والمد ربعه، والكار مائتان وأربعون رطلا، والقفيز ربعها، والمكوك ربع القفيز، وأرطالهم بغدادية، وفرقهم بغدادية ستة وثلاثون رطلا.

ولغتهم لغة حسنة أصح من لغة الشام لأنهم عرب، أحسنها الموصلية وهم أحسن وجوها وهي أصح هواء من سائر الإقليم وقد جمعت أكثر القبائل أكثرهم حارثيون.

ولهم مشاهد ثم بسواد الموصل مسجد يونس وآثاره عند نونوى القديمة موضع يسمى تل توبة، على رأسه مسجد ودور للمجاورين بنته جميلة ابنة ناصر الدولة، وأوقفت عليه أوقافا جلييلة، يزعمون أن سبع زورات يعدلن حجة، يقصد ليالي الجمع، وهو الموضع الذي خرج إليه قوم يونس لما ايقنوا بالعذاب، وعلى نصف فرسخ منه عين يونس، وبظاهر بلد عين يزعمون أن يونس خرج منها يستشفى بمائها من البرص، وثم له مسجد وموضع شجرة البيطين. على فرسخ من ميفارقين دير توما فيه جسد قائم يزعمون أنه من الحواريين يابس. رباط ذي القرنين على طريق الرحاب حصين عامر تحته كهف الظلمات التي دخلها ذو القرنين، وحرص مسلمة بن عبد الملك في دخولها واستعد المشاعل والشموع فانطفأت ورجع. ومن العجائب بنصميين عين ينبع منها كلس أبيض يستعملونه كما يستعمل في الحمامات والدور. بأرض الموصل دير الكلب يحمل إليه من عضة كلب عقور فيقيم عند رهبانه خمسين يوما فيبأ بأذن الله تعالى. وبهذا الرستاق عين من شرب منها مات بعد ثلاثة أيام. على بريد من الموصل قرية باعشيقابها نبت من قلعه وبه بواشير أو خنازير سقطت عنه، فإن بعث من به هاتان العلتان رجلا بدرهم ومسله إلى قوم ثم يتوارثونها فحملها أحدهم إلى ذلك النبت فقلعه على اسم صاحب العلة بريء، ولو كان بالشاش، ويستنفع الرجل بالدرهم. وكان يقال عجائب الدنيا ثلاث: منارة الاسكندرية، وقنطرة سنجة، وكنيسة الرها. فلما بني المسجد الأقصى جعل بدل الكنيسة، فلما هدمته الزلزلة جعل موضعه جامع دمشق، وهذه القنطرة على خمسة فراسخ من جبل الجودي، كبيرة شاهقة متصلة بالجبل على حجر مخوخ مركبة إذا زاد عليها الماء اهتزت. ويجب أن نذكر أسباب القسطنطينية لأن للمسلمين بها دارا يجتمعون فيها ويظهرون الإسلام بها، وقد كثر الأختلاف والكذب فيها وأمر البلد ومساحته وبنائه، فرأيت أن أصور ذلك للعيون وأوضحه للقلوب وأذكر الطرق إليها لحاجة المسلمين إلى ذلك وقصدهم في شراء الأساري والرسالات والغزو والتجارات. أعلم أن مسلمة بن عبد الملك لما غزا بلد الروم ودخل هذا المصر، شرط على كلب الروم بناء دار بازاء قصره في الميدان ينزلها الوجوه والأشراف إذا أسروا ليكونوا تحت كنفه، وتعاهده فأجابته إلى ذلك وبنى دار البلاط، والبلاط خلف الميدان يصنع به الدباج الملكي. فالقسطنطينية تكون في العظم مثل البصرة أو أصغر، بناؤهم حجر وهي محصنة كسائر البلدان منيعة بحصن واحد لا غير. والبحر من جانب على حافته الميدان ودار البلاط ودار الملك على صف، والميدان بين الدارين، أبوابها متقابلة في وسط الميدان دكة بدرج، ولا يسكن دار البلاط من المسلمين إلا وجيه في إجراء وتعاهد وتنزه. وسائر الأساري من عامة المسلمين يستعبدون ويستعملون في الصنائع، فالحازم. الذي إذا سئل عن صنعته لم يقر بها وربما اتجر الأساري بينهم وأنفقوا، ولا يكرهون أحدا على أكل لحم الخنزير ولا يتقبون أنفا ولا يشقون لسانا. ومن دار الكلب إلى دار البلاط حبل ممدود فيه صورة فرس من نحاس، ولهم أوقات يجتمعون فيها للعب، واسم الملك وينطوا واسم الوزير براسيانا فإذا أرادوا أن يتفألوا في لعبهم صاروا حزبين، وأرسلوا الخيل حول الدكة فإن سبقت خيل حزب الكلب قالوا ستكون الغلبة للروم، فصاحوا وينطوا وينطوا، وأن غلبت خيل حزب الوزير قالوا ستكون الغلبة للمسلمين، فصاحوا براسيانا براسيانا، وذهبوا إلى المسلمين فيخلعون عليهم ويصلونهم لكون الغلبة لهم. وللبلد أسواق حسنة والأسعار به رخيصة والفواكه كثيرة. وبمدن التبن مسلمون وكذلك بمعدن النحاس وبأطرابزند أيضا مسلمون. وأقصد الطرق إلى القسطنطينية من هذا الإقليم لاجل ذاك وصفناها فيه، وكان ثغر هذا الإقليم مطيبة وبلدانها وقد خربها العدو. وأما المسافات فتأخذ من الموصل إلى مرجهينة أو إلى بلد أو إلى المخلبية أو إلى مزارعي مرحلة مرحلة ثم من مرجهينة إلى الحديثة مرحلة ثم إلى البقيعة مرحلة ثم إلى السن مرحلة، تأخذ من بلد إلى برقعيد مرحلة ثم إلى أذمة مرحلة ثم إلى المونسة مرحلة ثم إلى نصيبين مرحلة ثم إلى دارا مرحلة. وتأخذ من المخلبية إلى الشحاحية مرحلة ثم إلى تل أعفر مرحلة ثم إلى سنجار مرحلة. وتأخذ من مزارعي إلما معلثايا مرحلة ثم إلى الحسينية مرحلة ثم إلى ثمانين مرحلة ثم إلى جزيرة ابن عمر مرحلة ثم إلى تل فافان مرحلة. ومن الموصل إلى شهرزور فرسخا. وتأخذ من آمد إلى ميفارقين مرحلة ثم إلى أرزن مرحلة ثم إلى مسجد أويس مرحلة ثم إلى المعدن مرحلة ثم إلى بدليس مرحلة. وتأخذ من آمد إلى شمشاط مرحلة ثم إلى تل حوم مرحلة ثم إلى جرنان مرحلة ثم إلى بامقرا مرحلة ثم إلى جلاب مرحلة ثم إلى الرها بريدان ثم إلى حران مثلها ثم إلى باجروان مرحلة ثم إلى الرقة نصف مرحلة. وتأخذ من الرحبة إلى قرقيسيا مرحلة ثم إلى الدالية أو إلى بيرا مرحلة ومن قرقيسيا إلى فدين مرحلة ثم إلى السكير مرحلة. وتأخذ من آمد إلى تل حور مرحلة ثم إلى ملطين مرحلة ثم إلى طبوس مرحلة ثم إلى شمشاط مرحلة ثم إلى الفعونية مرحلة ثم إلى حصن زياد مرحلة ثم إلى ملطين مرحلة ثم إلى عرقة مرحلة ثم إلى الصفصاف مرحلة ثم إلى الرمانة مرحلة ثم إلى سمنندو مرحلتين ثم إلى مرج قيسارية مرحلة ثم إلى أنقرة مراحل ثقالا ثم إلى جسر شاغر في بلد ابن الملاين مراحل ثم إلى النقمودية مرحلة ثم إلى ملعب الملك مرحلة ثم إلى حارفة مرحلة ثم إلى القسطنطينية مرحلة. وان شئت تأخذ من ميفارقين إلى موش مراحل ثم قنبر مرحلة ثم إلى سن نحاس مرحلة وهي صليب طريق قاليقلا وطريق ملازكرد وطريق موش وطريق الخالديات مرحلتان ثم إلى سموقموش مثلها ثم إلى قلوونية العوفي مرحلتين ثم إلى نفسارية مراحل ثم إلى عقبة

الشهداء مرحلة ثم إلى الأفلاغونية مرحلة ثم إلى السونشة مرحلة ثم إلى دوملصة مرحلة ثم إلى بلد ابن لسوانيطي مرحلة ثم إلى دوسنية ثم إلى باحورية مرحلة ثم إلى قطابولي فيها جيش للمسلمين مرحلة ثم إلى بلد ابن الملاين مرحلتين فيه ضيافة للمسلمين ثم إلى البحيرة الحلوة مرحلة ثم إلى حصن صاعس مرحلة. إلى تل فافان مرحلة. ومن الموصل إلى شهرزور فرسخا. وتأخذ من آمد إلى ميفارقين مرحلة ثم إلى أرزن مرحلة ثم إلى مسجد أويس مرحلة ثم إلى المعدن مرحلة ثم إلى بدليس مرحلة. وتأخذ من آمد إلى شمشاط مرحلة ثم إلى تل حوم مرحلة ثم إلى جرنان مرحلة ثم إلى بامقرا مرحلة ثم إلى جلاب مرحلة ثم إلى الرها بريدين ثم إلى حران مثلها ثم إلى باجروان مرحلة ثم إلى الرقة نصف مرحلة. وتأخذ من الرحبة إلى قرقيسيا مرحلة ثم إلى الدالية أو إلى بيرا مرحلة ومن قرقيسيا إلى فدين مرحلة ثم إلى السكير مرحلة. وتأخذ من آمد إلى تل حور مرحلة ثم إلى ملطين مرحلة ثم إلى طبوس مرحلة ثم إلى شمشاط مرحلة ثم إلى الفعونية مرحلة ثم إلى حصن زياد مرحلة ثم إلى ملطين مرحلة ثم إلى عرفة مرحلة ثم إلى الصفصاف مرحلة ثم إلى الرمانة مرحلة ثم إلى سمندو مرحلتين ثم إلى مرج قيسارية مرحلة ثم إلى أنقرة مراحل ثقالا ثم إلى جسر شاغر في بلد ابن الملاين مراحل ثم إلى النقمودية مرحلة ثم إلى ملعب الملك مرحلة ثم إلى حارفة مرحلة ثم إلى القسطنطينية مرحلة. وان شئت تأخذ من ميفارقين إلى موش مراحل ثم قتب مرحلة ثم إلى سن نحاس مرحلة وهي صليب طريق قاليقلا وطريق ملازكرد وطريق موش وطريق الخالديات مرحلتان ثم إلى سموقموش مثلها ثم إلى قلوونية العوفي مرحلتين ثم إلى نفشارية مراحل ثم إلى عقبة الشهداء مرحلة ثم إلى الأفلاغونية مرحلة ثم إلى السونشة مرحلة ثم إلى دوملصة مرحلة ثم إلى بلد ابن لسوانيطي مرحلة ثم إلى دوسنية ثم إلى باحورية مرحلة ثم إلى قطابولي فيها جيش للمسلمين مرحلة ثم إلى بلد ابن الملاين مرحلتين فيه ضيافة للمسلمين ثم إلى البحيرة الحلوة مرحلة ثم إلى حصن صاعس مرحلة.

إقليم الشام

إقليم الشام جليل الشأن ديار النبيين، ومركز الصالحين. ومعدن البدلاء، ومطلب الفضلاء. به القبلة الأولى، وموضع الحشر والمسرى. والأرض المقدسة والرباطات الفاضلة والثغور الجلييلة والجبال الشريفة ومهاجر ابراهيم وقبره وديار أيوب وبئرته ومحراب داود وبابه وعجائب سليمان ومدنه وتربة إسحاق وأمه ومولد المسيح ومهده وقرية طالوت ونهره ومقتل جالوت وحصنه وجب ارميا وحبسه ومسجد اوريا وبيته وقبة محمد وبابه وصخرة موسى وربوة عيسى ومحراب زكريا ومعرك يحيى ومشاهد الأنبياء وقرى أيوب ومنازل يعقوب. والمسجد الأقصى، وجبل زيتا. ومدينة عكا، ومشهد صديقا. وقبر موسى ومضجع ابراهيم ومقبرته ومدينة عسقلان، وعين سلوان. وموضع لقمان، ووادي كنعان. ومدائن لوط وموضع الجنان، ومساجد عمر ووقف عثمان. والباب الذي ذكره الرجلان، والمجلس الذي حضره الخصمان. والسور الذي بين العذاب والغفران، والمكان القريب ومشهد بيسان، وباب حطة ذو القدر والشان. وباب الصور وموضع اليقين وقبر مريم وراحيل ومجمع البحرين، ومفرق الدارين. وباب السكينة وقبة السلسلة ومنزل الكعبة مع مشاهد لا تحصى، وفضائل لا تحفى. وفواكه ورخاء وأشجار ومياه. وآخرة ودنيا، به يرق القلب وينبسط للعبادة الأعضاء، ثم به دمشق جنة الدنيا، وصغر البصرة الصغرى. والرملة البهية وخيزها الحوارى، وإيليا الفاضلة بلا لأوى. وحمص المعروفة بالرخص وطيب الهواء، وجبل بصرى وكرومه فلا تنسى، وطيرية الجلييلة بالدخل والقرى. ثم البحر يمد على غربية فالحمولات فيه إليه أبدا وبحر الصين متصل بطرفه الأقصى، له سهل وجبل وأغوار وأشياء. والبادية على تخومة كالزقاق منه إلى تيماء، وبه معادن الرخام وعقاقير كل دواء ويسار وتجار ولباقة وفقهاء، وكتاب وصناع وأطباء. إلا أنهم على خوف من الروم وفي جلاء، والأطراف قد خربت وأمر الثغور قد انقضى. وليسوا كالأعاجم في العلم والدين والنهي، بعض قد ارتد وبعض للجزية في أداء، يقدمون طاعة المخلوق على طاعة رب السماء. عامتهم جهال أو غوغاء، لا نهضة في جهاد ولا حمية على الأعداء.

ويقال إنما سميت الشام لأنها شامة الكعبة، وقيل بل من تشاءم الناس إليها، وقيل بل لشامات بها حمر وبيض وسود. وأهل العراق يسمون كل ما كان وراء الفرات شاما ولهذا أرسل محمد بن الحسن القول في دواوينه وليس وراء الفرات من الشام غير كورة قنشرين حسب، والباقي بادية العرب والشام من ورائها، وإنما أراد محمد التقريب والمتعارف بين الناس كما يقال لخراسان المشرق وإنما هو من ورائها، وإنما الشام كلما قابل اليمن وكان الحجاز بينهما. فإن قال قائل ما تنكر أن يكون طرف البادية إلى حدود العراق من الشام ليصح ما قاله أهل العراق، قيل قد قسمنا الأقاليم ورسنا الحدود فلا ينبغي لنا أن ندخل في إقليم من غيره. فإن قال قائل فمن أين لك أنه ليس منه في القديم، قيل له لم يختلف فقهاء الشريعة وأهل هذا العلم أن هذه الأرض المتنازع فيها أنها من جزيرة العرب ولو جعلها أحد من الشام لا مجازا لكان لنا أن نقول له حدود الشام التي رسمناها مجمع عليها وما زدتم مختلف فيه وعلى من ادعى الزيادة الدليل. وقد أعرضنا عن ذكر طرسوس وأعمالها لأنها بيد الروم، وأما الكهف فإن المدينة هي طرسوس وبها قبر دقيانوس وبرستاقها تل عليه مسجد قالوا هو على الكهف. وحدثنا الفقيه أبو عبد

الله محمد بن عمر البخاري، قال: حدثنا أبو طالب اليماني، قال: حدثنا الحسن بن يحيى، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا محمد بن سهل الخراساني، قال: قرأت على هشام بن محمد حدثنا مجاهد بن يزيد، قال: خرجت مع خالد البريدي في أيام وجه إلى الطاغية سنة وليس معنا ثالث من المسلمين، فقدمنا القسطنطينية ثم خرجنا منصرفين إلى عموارية، ثم أتينا اللاذقية المحترقة في أربع ليال، ثم انتهينا إلى الهوية وهي جوف جبل، فذكر لنا أن بها أمواتا لا يدري ما هم وعليهم حراس فدخلونا سرابا طوله نحو من خمسين ذراعا في عرض ذراعين بالسرج، وإذا وسط السرب باب من حديد ممكن لعيالهم إذا جاءهم العرب، وإذا خربة عظيمة وسطها نقرة من ماء عرضها نحو من خمسة عشر ذراعا يرى منها السماء وإذا كهف ذلك المكان إلى جوف ذلك الجبل، فانطلق بنا إلى كهف مما يلي الجوف من الهوية طوله نحو من عشرين ذراعا وإذا فيه ثلاثة عشر رجلا رقودا على أفتيتهم، على كل رجل منهم جبة لا أدري من صوف أو وبر إلا إنها غبراء، وكساء أغبر يتقعقع كما يتقعقع الرق وقد غطى بكسائه وجهه وسائر جسده، وإذا هي نوات أهداب، وعلى بعضهم خفاف إلى أنصاف سوقهم وبعض بنعال وبعض بشمشكات، والجميع جدد فكشفت عن وجه أحدهم فإذا شعر رأسه ولحيته لم يتغير وإذا بشرة وجهه منيرة ودم وجهه ظاهر كأنما رقدوا تلك الساعة وإذا أعضاؤهم كألين ما يكون من أعضاء الرجل الحي وكلهم شباب، غير أن بعضهم قد وخطه الشيب، وإذا بأحدهم قد ضربت عنقه فسألتهم عن ذلك فقالوا غلبت علينا العرب وملكت الهوية، فأخبرناهم خبرهم فلم يصدقونا فضرب أحدهم عنق هذا، وزعم أهل الهوية أنه إذا كان رأس كل سنة في يوم عيد لهم يجتمعون فيه يقيمونهم رجلا رجلا، فيتركونهم قياما ويمسحونهم وينفضون غبار ثيابهم ويسون أكسبتهم عليهم فلا يسقطون ولا يتخرجون ويضعونهم وأنهم يقلمون أظفارهم في السنة ثلاث مرات ثم تنبت، فسألناهم عن أسبابهم وأمرهم فزعموا أنهم لا علم لهم بشيء من أمرهم غير أنا نسميهم الأنبياء. قال مجاهد وخالد فيظن أنهم أصحاب الكهف والله أعلم. وهذا شكل الإقليم ومثاله في الصفحة المنقلبة. وقد قسمنا هذا الإقليم ست كور، أولها من قبل أقور قنسرين ثم حمص ثم دمشق ثم الأردن ثم فلسطين ثم الشراة. فأما قنسرين فقصبته حلب ومن مدنها: أنطاكية، بالس، السويدية، سميساط، منبج، بياس، التينات، قنسرين، مرعش، إسكندرونة، لجون، ريفية، جوسية، حماة، شيزر، وادي بطنان، معرة النعمان، معرة قنسرين. وأما حمص فاسم القصبية أيضا ومن مدنها: سلمية، تدمر، الخناصر، كفرطاب، اللاذقية، جبلة، أنطرسوس، بلنيس، حصن الخوابي. وأما دمشق فاسم القصبية أيضا ومدنها: بانيس، صيدا، بيروت، أطرابلس، عرقة، وناحية البقاع مدينتها: بعلبك، ولها كامد، عرجموش، الزيداني، ولدمشق ست رساتيق: الغوطة، حوران، البثنية، الجولان، البقاع، الحولة. وأما الأردن فقصبته طبرية ومن مدنها: قدس، صور، عكا، اللجون، كابل، بيسان، أذرعاء. وأما فلسطين فقصبته الرملة ومدنها: بيت المقدس، بيت جبريل، غزة، ميماس، عسقلان، يافه، أرسوف، قيسارية، نابلس، أريحا، عمان. وأما الشراة فجعلنا قصبته صغر ومدنها: ماب، معان، تبوك، أذرح، ويلة، مدين. وفي هذا الإقليم قرى أجل وأكبر من أكثر مدن الجزيرة مثل داريا، وبيت لهيا، وكفرسلام، وكفرسابا، غير أنها على رسوم القرى معدودة فيها وقد قلنا أن عملنا موضوع على التعارف. وأما حلب فبلد نفيس خفيف حزين، وفي أهلها ظرف ولهم يسار وعقول، مبني بالحجارة عامر في وسط البلد قلعة حصينة واسعة فيها ماء وخزائن السلطان، والجامع في البلد، شربهم من نهر قويق يدخل إلمط البلد إلى دار سيف الدولة في شباك حديد، والقصبية ليست بكبيرة إلا أن بها مستقر السلطان، لها سبعة أبواب باب حمص باب الرقة باب قنسرين باب اليهود باب العراق باب دار البطيخ باب إنطاكية وباب الأربعين مسدود. بالس: رأس الحد من قبل الرقة عامرة. قنسرين: مدينة قد خف أهلها، حدثنا الشيخ العدل أبو سعيد أحمد بن محمد بنيسابور قال: حدثنا أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة قال: حدثنا أبو عمار بن حريث المرزوي قال: حدثنا الفضل أبو موسى عن عيسى بن عبيد عن غيلان بن عبد الله العامري عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله عز وجل أوحى إلى أي هؤلاء الثلاث نزلت فهي دار هجرتك المدينة أو البحرين أو قنسرين. فإن قال قائل لم جعلت قصبه الكورة حلب وههنا مدينة على اسمها قيل له قد قلنا أن مثل القصبات كالقواد، والمدن كالجند، ولا يجوز أن نجعل حلب على جلالتها وحلول السلطان بها وجمع الدواوين إليها وإنطاكية ونفاستها وبالس وعمارته جنادا لمدينة خربة صغيرة. فإن قال هلا استعملت هذا القياس في شيراز فاضفت إليها اصطرخ ومدنها، قيل لما وجدنا بشيراز مدنا أحدقت بها وتباعدت اصطرخ عنها استحسنا ما فعلناه، ثم والأستحسان في علمنا هذا ربما غلب القياس كما قلنا في مسائل المكاتب، ألا ترى أن التأجيل بالنيروز والمهرجان باطل في سائر الأحكام جائز في الكتابة استحسانا. حمص: ليس بالشام بلد أكبر منها، وفيها قلعة متعالية عن البلد ترى من خارج، أكثر شربهم من ماء المطر ولهم أيضا نهر، ولما فتحها المسلمون عمدوا إلى الكنيسة فجعلوا نصفها جامعا عنده بالسوق قبة على رأسها شبه من رجل نحاس واقف على سمكة تديرها الأرياح الأربع، وفيه أقاويل لا تصح، والبلد شديد الأختلال متداع إلى الخراب والقوم حمقى. وسائر المدن مختلة والأسعار بها رخيصة وما كان منها على الساحل حصينة، وكذلك تدمر وهي على مثل كرسي من مدن سليمان بن داود، والقصبية قريبة من البادية رحبة طيبة بيت جبريل، غزة، ميماس، عسقلان، يافه، أرسوف، قيسارية، نابلس، أريحا، عمان. وأما الشراة فجعلنا قصبته صغر ومدنها: ماب، معان، تبوك، أذرح، ويلة، مدين. وفي هذا الإقليم قرى أجل وأكبر من أكثر مدن الجزيرة مثل داريا، وبيت لهيا، وكفرسلام، وكفرسابا، غير أنها على رسوم القرى معدودة فيها وقد قلنا أن عملنا موضوع على التعارف. وأما حلب فبلد نفيس

خفيف حزين، وفي أهلها ظرف ولهم يسار وعقول، مبني بالحجارة عامر في وسط البلاد قلعة حصينة واسعة فيها ماء وخزائن السلطان، والجامع في البلد، شربهم من نهر قويق يدخل إلمط البلد إلى دار سيف الدولة في شباك حديد، والقصبية ليست بكبيرة إلا أن بها مستقر السلطان، لها سبعة أبواب باب حمص باب الرقة باب قنسرين باب اليهود باب العراق باب دار البطيخ باب إنطاكية وباب الأربعين مسدود. بالس: رأس الحد من قبل الرقة عامرة. قنسرين: مدينة قد خف أهلها، حدثنا الشيخ العدل أبو سعيد أحمد بن محمد بنيسابور قال: حدثنا أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة قال: حدثنا أبو عمار بن حريث المرزوي قال: حدثنا الفضل أبو موسى عن عيسى بن عبيد عن غيلان بن عبد الله العامري عن أبي زرعة عن عمرو ابن جرير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله عز وجل أوحى إلى أي هؤلاء الثلاث نزلت فهي دار هجرتك المدينة أو البحرين أو قنسرين. فإن قال قائل لم جعلت قصب الكورة حلب وهنأ مدينة على اسمها قيل له قد قلنا أن مثل القصبات كالقواد، والمدن كالجن، ولا يجوز أن نجعل حلب على جلالتها وحلول السلطان بها وجمع الدواوين إليها وإنطاكية ونفاستها وبالس وعمارها جنأا لمدينة خربة صغيرة. فإن قال هلا استعملت هذا القياس في شيراز فاضفت إليها اصطرخ ومدنها، قيل لما وجدنا بشيراز مدنا أهدقت بها وتباعدت اصطرخ عنها استحسنا ما فعلناه، ثم والأستحسان في علمنا هذا ربما غلب القياس كما قلنا في مسائل المكاتب، ألا ترى أن التأجيل بالنيروز والمهرجان باطل في سائر الأحكام جائز في الكتابة استحسانا. حمص: ليس بالشام بلد أكبر منها، وفيها قلعة متعالية عن البلد ترى من خارج، أكثر شربهم من ماء المطر ولهم أيضا نهر، ولما فتحها المسلمون عمدوا إلى الكنيسة فجعلوا نصفها جامعا عنده بالسوق قبة على رأسها شبه من رجل نحاس واقف على سمكة تديرها الأرياح الأربع، وفيه أقاويل لا تصح، والبلد شديد الأختلال متداع إلى الخراب والقوم حمقى. وسائر المدن مختلة والأسعار بها رخيصة وما كان منها على الساحل حصينة، وكذلك تدمر وهي على مثل كرسي من مدن سليمان بن داود، والقصبية قريبة من البادية رحبة طيبة.

دمشق: هي مصر الشام ودار الملك أيام بني أمية وثم قصورهم وآثارهم، بنيانهم خشب وطين وعليها حصن أحدث وأنا به من طين، أكثر أسواقها مغطاة ولهم سوق على طول البلد مكشوف حسن، وهو بلد قد خرقتة الأنهار، وأهدقت به الأشجار. وكثرت به الثمار، مع رخص أسعار. وتلج وأضداد لا ترى أحسن من حماماتها ولا أعجب من فواراتها ولا أحزم من أهلها، الذي عرفت من دروبها باب الجابية باب الصغير باب الكبير باب الشرقي باب توما باب النهر باب المحامليين، وهي طيبة جدا غير أن في هوائها يبوسة، وأهلها غاغة، وثمارها تفهة، ولحومها عاسية، ومنازلها ضيقة، وأزقتها غامة، وأخجازها ردية، والمعابش بها ضيقة تكون نحو نصف فرسخ في مثله في مستوى، والجامع أحسن شيء للمسلمين اليوم، ولا يعلم لهم مال مجتمع أكثر منه، قد رفعت قواعده بالحجارة الموجهة كبارا مؤلفة وجعل عليها شرف بهية، وجعلت أساطينها أعمدة سودا ملسا على ثلاثة صفوف واسعة جدا، وفي الوسط ازاء المحراب قبة كبيرة، وأدير على الصحن أروقة متعالية بفراخ فوقها، ثم بلط جميعه بالرخام الأبيض وحيطانه إلى قامتين بالرخام المجزع ثم إلى السقف بالفسافساء الملونة في المذهبة صور أشجار وأمصار وكتابات على غاية الحسن والدقة ولطافة الصنعة، وقل شجرة أو بلد مذكور إلا وقد مثل على تلك الحيطان، وطلبت رؤوس الأعمدة بالذهب، وقناطر الأروقة كلها مرصعة بالفيسفساء، وأعمده الصحن كلها رخام أبيض، وحيطانه بما يدور والقناطر وفراخها بالفيسفساء نقوش وطروح، والسطوح كلها ملبسة بشقاق الرصاص، والشرافيات من الوجهين بالفيسفساء، وعلى الميمنة في الصحن بيت مال على ثمانية عمد مرصع حيطانه بالفيسفساء، وفي المحراب وحوله فصوص عقبيية وفيروزجية كأكبر ما يكون من الفصوص، وعلى الميسرة محراب آخر دون هذا للسلطان، وقد كان تشعث وسطه فسمعت إنه أنفق عليه خمسمائة دينار حتى عاد إلى ما كان، وعلى رأس القبة ترنجة فوقها رمانة كلاهما ذهب، ومن أعجب شيء فيه تأليف الرخام المجزع كل شامة إلى أختها، ولو أن رجلا من أهل الحكمة أختلف إليه سنة لأفاد منه كل يوم صيغة وعقدة أخرى، ويقال أن الوليد جمع لبنائه حذاق فارس والهند والمغرب والروم، وأنفق عليه خراج الشام سبع سنين مع ثمانين عشرة سفينة ذهب وفضة أقلعت من قبرص سوى ما أهدى إليه ملك الروم من الآلات والفسافساء، ويدخل إليه العامة من أربعة أبواب: باب البريد عن اليمين كبير له فرخان عن يمين وشمال على كل واحد من الباب الأعظم والفرخين مصراعان مصفحة بالصفير المذهب وعلى لباب والفرخين ثلاثة أروقة كل باب منهما يفتح إلى رواق طويل قد عقدت قناطره على أعمدة رخام، لبست حيطانه على ما ذكرنا، وجمع السقوف مزوقة أحسن تزويق، وفي هذه الأروقة موضع الوراقين ومجلس خليفة القاضي، وهذا الباب بين المغطى والصحن يقابله عن اليسار باب جيرون على ما ذكرنا، غير أن الأروقة معقودة بالعرض يصعد إليه في درج يجلس فيه المنجمون وأضرابهم، وباب الساعات في زاوية المغطى الشرقية مصراعان سواذج عليه أروقة يجلس فيه الشروطيون وأشباهم، والباب الرابع باب الفراديس مصراعان قبال المحراب في أروقة بين زيادتين عن يمين وشمال عليه منارة محدثة مرصعة على ما ذكرنا، وعلى كل من هذه الأبواب ميضأة مرخمة ببيوت ينبع فيها الماء وفوارات خارجة في قصاع عظيمة من رخام. ومن الخضراء وهي دار السلطان أبواب إلى المقصورة مصفحة مطلية، وقلت يوما لعمي يا عم لم يحسن الوليد حيث أنفق أموال المسلمين على جامع دمشق ولو أصرف ذلك في عمارة الطرق والمصانع ورم الحصون لكان

أصوب وأفضل، قال: لا تفعل يا بني أن الوليد وفق وكشف له عن أمر جليل وذلك أنه رأى الشام بلد النصارى، ورأى لهم فيها بيعة حسنة قد أفتن زخارفها وانتشر ذكرها، كالقمامة وبيعة لد والرها. فاتخذ للمسلمين مسجدا أشغلم به عنهن وجعله أحد عجائب الدنيا، ألا ترى أن عبد الملك لما رأى عظم قبة القمامة وهيأتها خشي أن تعظم في قلوب المسلمين، فنصب على الصخرة قبة على ما ترى. ووجدت في كتاب بخزائن عضد الدولة عروسا الدنيا دمشق والري. وقال يحيى بن أكثم ليس بالأرض أنزه من ثلاث بقاع سمرقند، وغوطة دمشق، ونهر الأبلّة. ودمشق بناها دمشق بن قاني بن مالك بن ارفخشذ بن سام قبل مولد ابراهيم بخمس سنين وقال الأصمعي لا بل اشتق اسمها من دمشقوا أي أسرعوها. ويقال أن عمر بن عبد العزيز أراد أن ينقص الجامع ويجعله في مصالح المسلمين حتى ناظروه في ذلك. وقرأت في بعض الكتب إنما أنفق عليه ثمانية عشر حمل بغل ذهب. وقد قال بعض من يهجوهم: من دمشقوا أي أسرعوها. ويقال أن عمر بن عبد العزيز أراد أن ينقص الجامع ويجعله في مصالح المسلمين حتى ناظروه في ذلك. وقرأت في بعض الكتب إنما أنفق عليه ثمانية عشر حمل بغل ذهب. وقد قال بعض من يهجوهم:

يا ايها السائل عن اديابنا ... لما رأى هيئة أحبارهم

وحسن سمت لهم ظاهرا ... إعلانهم ليس كاسرارهم

ما إن لهم فخر سوى مسجد ... به تعدوا فوق أطوارهم

لوجاءهم جار لهم قابسا ... ما قبسوه الدهر من نارهم

أسد على الجيران أعدائهم ... أمانة تخطر في دارهم

وكذب في هذا البيت لأن الأعداء ابدا يخافونهم.

ومدينة بانياس: على طرف الحولة وحد الجبل أرخى وأرفق من دمشق وإليها انتقل أكثر أهل الثغور لما اخذت طرسوس، وزادوا فيها وهي كل يوم في زيادة، لهم نهر شديد البرودة يخرج من تحت جبل الثلج وينبع وسط المدينة، وهي خزانة دمشق رفقة بأهلها بين رساتيق جليّة غير أن ماءها ردى. وصيدا وبيروت. مدينتان على الساحل حصينتان. وكذلك طرابلس إلا أنها أجل. بعلبك: مدينة قديمة فيها مزارع وعجائب معدن الأعناب، وسائر مدن طيبة رحاب. وبحوران والبتنية ضياح أيوب ودياره مدينتها نوى معدن القموح والحبوب. الحولة: معدن الأقطان والأزهار وهي أغوار و أنهار. الغوطة: تكون مرحلة في مثلها يعجز عن وصفها.

طبرية: قسبة الأردن وبلد وادي كنعان موضوعة بين الجبل والبحيرة، فهي ضيقة كربة في الصيف مؤذية، طولها نحو من فرسخ بلا عرض، وسوقها من الدرب إلى الدرب، والمقابر على الجبل، بها ثماني حمامات بلا وقيد، ومياض عدة حارة الماء، والجامع في السوق كبير حسن قد فرش أرضه بالحصى على أساطين حجارة موصولة. ويقال أهل طبرية شهرين يرقصون وشهرين يقيمون وشهرين يثاقفون وشهرين عراة وشهرين يزمرون وشهرين يخوضون يعني يرقصون من كثرة الراغيث ويلوكون النبق ويطردون الزنابير عن اللحم والفواكه بالمذاب، وعراة من شدة الحر، ويمصون قصب السكر ويخوضون الوحل. وأسفل البحيرة جسر عظيم عليه طريق دمشق وشربهم منها. عليها بما يدور قرى ونخيل والسفن فيها تذهب وتجيء، وماء الحمامات والدواميس إليها لا يستطيبها الغرباء، كثيرة الأسماك خفيفة الماء، والجبل مطل على البلاد شاهق. قدس: مدينة صغيرة على سفح جبل كثيرة الخير، رستاقها جبل عاملة، بها ثلاث عيون شربهم منها وحمامهم واحد تحت البلد، والجامع في السوق فيه نخلة، وهو بلد حار، ولهم بحيرة على فرسخ تصب إلى بحيرة طبرية، قد عمد إلى النهر فسجر ببناء عجيب حتى يتبحر، إلى جنبها غابة حلفاء رفقهم منها، أكثرهم ينسجون الحصر ويفتلون الحبال، وفي البحيرة أنواع من السمك منه البني حمل من واسط، كثيرة النمة. جبل عاملة: ذو قرى نفيسة وأعناب وأثمار وزيتون وعيون المطر يسقي زروعهم، يطل على البحر ويتصل بجبل لبنان. أذرعات: مدينة قريبة من البادية، رستاقها جبل جرش يقابل جبل عاملة كثير القرى وجلت طبرية بهذين الجبلين. بيسان: على النهر كثيرة النخيل وأرزاز فلسطين والأردن منها، غزيرة المياه رحبة، إلا أن ماءها ثقيل. اللجون: مدينة على رأس حد فلسطين في الجبال، بها ماء جار رحبة نزيهة. كابل: مدينة ساحلية، بها مزارع الأقباص وبها لطبخ السكر الفائق. الفراندية: قرية كبيرة بها منبر، معدن الأعناب والكروم، بها ماء غزير وموضع نزيه. عكا: مدينة حصينة

على البحر، كبيرة الجامع فيه غابة زيتون تقوم بسرجه وزيادة، ولم تكن على هذه الحصانة حتى زارها ابن طيلون، وقد كان رأى صور ومنعتها واستدارة الحائط على مينائها، فأحب أن يتخذ لعا مثل ذلك الميناء، فجمع صناع الكورة وعرض عليهم ذلك فقيل لا يهتدي أحد إلى البناء في الماء في هذا الزمان، ثم ذكر له جدنا أبو بكر البناء، وقيل أن كان عند أحد علم هذا فعنده، فكتب إلى صاحبه على بيت المقدس حتى أنهضه إليه، فلما صار إليه وذكر له ذلك قال هذا أمر هين، علي بفلق الجميز الغليظة، فصفها على وجه الماء بقدر الحصن البري وخطب بعضها ببعض وجعل لها بابا من الغرب عظيما، ثم بنى عليها بالحجارة والشيد وجعل كلما بنى خمس دوامس ربطها بأعمدة غلاظ ليشند البناء، وجعلت الفلق كلما ثقلت نزلت حتى إذا علم أنها قد جلست على الرمل تركها حولا كاملا حتى أخذت قرارها، ثم عاد فبنى من حيث ترك، كلما بلغ البناء إلى الحائط القديم داخله فيه وخطبه به، ثم جعل على الباب قنطرة فالمرآكب في كل ليلة تدخل المينا وتجر السلسلة مثل صور قال فدفع إليه ألف دينار سوى الخلع وغيرها من المركوب واسمه عليه مكتوب، وقد كان العدو قبل ذلك يغير على المراكب. الجش: قرية وهي قريبة من القصبه، موضوعة بين أربعة من الرساتيق قريبة من البحر. صور: مدينة حصينة على البحر، بل فيه يدخل إليها من باب واحد على جسر واحد قد أحاط البحر بها، ونصفها الداخل حيطان ثلاثة بلا أرض تدخل فيه المراكب كل ليلة ثم تجر السلسلة التي ذكرها محمد بن الحسن في كتاب الأكره، ولهم ماء يدخل في قناة معلقة، وهي مدينة جليظة نفيسة بها صنائع ولهم خصائص، وبين عكا وصور شبه خليج ولذلك يقال عكا حذاء صور، إلا أنك تدور، يعني حول الماء.

الرملة: قصبه فلسطين، بهية حسنة البناء خفيفة الماء مرية واسعة الفواكه، جامعة الأضداد بين رساتيق جليظة ومدن سرية ومشاهد فاضلة وقرى نفيسة، والتجارة بها مفيدة والمعاش حسنة، ليس في الإسلام أبهى من جامعها، ولا أحسن وأطيب من حواريتها، ولا أبرك من كورتها، ولا ألد من فواكهها، موضوعة بين رساتيق زكية ومدن محيطية ورباطات فاضلة، ذات فنادق رشيقة وحمامات أنيقة وأطعمة نظيفة وأدامات كثيرة ومنازل فسيحة ومساجد حسنة وشوراع واسعة وأمور جامعة، قد خطت في السهل وقربت من الجبل والبحر وجمعت التين والنخل وانبتت الزروع على البعل وحوت الخيرات والفضل، غير أنها في الشتاء جزيرة من الوحل وفي الصيف ذريرة من الرمل لا ماء يجري ولا خضر ولا طين جيد ولا ثلج، كثيرة البراغيث، عميقة الآبار مالحة، وماء المطر في جباب مقلعة، فالفقير عطشان والغريب حيران، وفي الحمام ديوان ويدور في الدولاب خدام، وهي ميل راجح في ميل بنيانهم حجارة منحوتة حسنة وطوب، الذي أعرف من دروبها درب بئر العسكر درب مسجد عنبه درب بيت المقدس درب بيلعة درب لد درب يافا درب مصر درب داجون، يتصل بها مدينة تسمى داجون فيها جامع، وجامع القصبه في الأسواق أبهى وأرشق من جامع دمشق يسمى الأبيض ليس في الإسلام أكبر من محرابه ولا بعد منبر بيت المقدس أحسن من منبره وله منارة بهية بناه هشام بن عبد الملك، وسمعت عمي يقول لما أراد بناءه قيل له أن للنصارى أعمدة رخام مدفونة تحت الرمل أستعدوها لكنيسة بالعة فقال لهم هشام بن عبد الملك أما أن تظهروها وأما أن نهدم كنيسة لد فنبنى هذا الجامع على أعمدتها، فظهروها وهي غليظة طويلة حسنة وأرض المغطى مفروشة بالرخام والصحن بالحجارة المؤلفة وأبواب المغطى من الشربين والتتوب مداخلة محفورة حسنة جدا.

بيت المقدس: ليس في مدائن الكور أكبر منها وقصبات كثيرة أصغر منها، كاصطخر وقاين والفرما، لا شديدة البرد وليس بها حر وقل ما يقع بها ثلج، وسألني القاضي أبو القاسم ابن قاضي الحرمين عن الهواء بها فقلت: سحسج لا حر ولا برد شديد، قال: هذا صفة الجنة. بنيانهم حجر لا ترى أحسن منه ولا أتقن من بنائنا ولا أعف من أهلها ولا أطييب من العيش بها ولا أنظف من أسواقها ولا أكبر من مسجدها ولا أكثر من مشاهدنا. عندها خطير، وليس لمعنتها نظير. وفيها كل حائق وطبيب، وإليها قلب كل لبيب، ولا تخلو كل يوم من غريب. وكنت يوما في مجلس القاضي المختار أبي يحيى بن بهرام بالبصرة فجرى ذكر مصر إلى أن سئلت أي بلد أجل، قلت: بلدنا، قيل: فأيتها أطيب، قلت: بلدنا، قيل: فأيتها أفضل، قلت: بلدنا، قيل: فأيتها أحسن، قلت: بلدنا، قيل: فأيتها أكثر خيرات، قلت: بلدنا، قيل: فأيتها أكبر، قلت: بلدنا. فتعجب أهل المجلس من ذلك، وقيل: أنت رجل محصل وقد أديت ما لا يقبل منك وما مثلك إلا كصاحب الناقة مع الحجاج، قلت: أما قولي أجل فلانها بلدة جمعت الدنيا والآخرة فمن كان من أبناء الدنيا وأراد الآخرة وجد سوقها ومن كان من أبناء الآخرة فدعته نفسه إلى نعمة الدنيا وجدها. وأما طيب الهواء فإنه لا سم لبردها ولا أذى لحرها. وأما الحسن فلا ترى أحسن من بنيانها ولا أنظف منها ولا أنزه من مسجدها. وأما كثرة الخيرات فقد جمع الله تعالى فيها فواكه الأغوار والسهل والجبال والأشياء المتضادة كالأنرج واللوز والرطب والجوز والتين والموز. وأما الفضل فلانها عرصة القيامة ومنها المحشر وإليها المنشر، وإنما فضلت مكة والمدينة بالكعبة والنبي صلى الله عليه وسلم ويوم القيامة تزفان إليها فتحوي الفضل كله. وأما الكبر فالخلايق كلهم يحشرون إليها فأرض أوسع منها فاستحسنوا ذلك وأقروا به. إلا أن له عيوباً عدة يقال أن في التوربية مكتوب بيت المقدس طشتت ذهب مليء عقارب، ثم لا ترى أقدّر من حماماتها، ولا أثقل مؤنة، قليلة العلماء كثيرة النصارى، وفيهم جفاء على الرحبة والفنادق، ضرائب ثقالة على ما يباع، فيها رجالة على الأبواب فلا يمكن أحداً أن يبيع شيئاً مما يرتفق به الناس إلا بها مع قلة يسار،

وليس للمظلوم أنصار، والمستور مهموم والغني محسود، والفقير مهجور والأديب غير مشهور، لا مجلس نظر ولا تدريس، قد غلب عليها النصراري واليهود وخلا المسجد من الجماعات والمجالس. وهي أصغر من مكة وأكبر من المدينة، عليها حصن بعضه على جبل وعلى بقيته خندق، ولها ثمانية أبواب حديد، باب صهيون باب التيه باب البلاط باب جب ارميا باب سلوان باب أريحا باب العمود باب محراب داود. والماء بها واسع ويقال ليس ببيت المقدس أمكن من الماء والأذان، قل دار ليس بها صهريج وأكثر، وبها ثلاث برك عظيمة بركة بني اسرائيل بركة سليمان بركة عياض عليها حماماتهم، لها دواع من الأزقة وفي المسجد عشرون جبا متبحرة، وقل حارة إلا وفيها حب مسبل غير أن مياهها من الأزقة، وقد عمد إلى واد فجعل بركتان يجتمع إليهما السيول في الشتاء وشق منهما قناة إلى البلد تدخل وقت الربيع فتملأ صهاريج الجامع وغيرها. وأما المسجد الأقصى فهو على قرنة البلد الشرقي نحو القبلة، أساسه من عمل داود، طول الحجر عشرة أذرع وأقل منقوشة موجهة مؤلفة صلبة، وقد بنى عليه عبد الملك بحجارة صغار حسان وشرفوه وكان أحسن من جامع دمشق، لكن جاءت زلزلة في دولة بني العباس فطرحت المغطى إلا ما حول المحراب، فلما بلغ الخليفة خبره قيل له: لا يفي برده إلى ما كان بيت مال المسلمين. فكتب إلى امراء الأطراف وسائر القواد أن يبني كل واحد منهم رواقا، فبنوه أوثق وأغلظ صناعة مما كان، وبقيت تلك القطعة شامة فيه وهي إلى حد أعمدة الرخام وما كان من الأساطين المشيدة فهو محدث، وللمغطى ستة وعشرون بابا، باب يقابل المحراب يسمى باب النحاس الأعظم مصفح بالصفير المذهب لا يفتح مصراعه إلا رجل شديد الباع قوي الذراع، عن يمينه سبعة أبواب كبار في وسطها باب مصفح مذهب، وعلى اليسار مثلهن، ومن نحو الشرق أحد عشر بابا سواذج وعلى الخمسة عشر رواق على أعمدة رخام أحدثه عبدالله بن طاهر، وعلى الصحن من الميمنة أروقة على أعمدة رخام وأساطين، وعلى المؤخر أروقة أزاج من الحجارة، وعلى وسط المغطى جمل عظيم خلف قبة حسنة، والسقوف كلها إلا المؤخر ملبسة بشفاق الرصاص، والمؤخر مرصوص بالفيسفساء الكبار، والصحن كله مبلط وسطه دكة مثل مسجد يثرب يصعد إليها من الأربع جوانب في مراق واسعة، وفي الدكة أربع قباب: قبة السلسلة قبة المعراج قبة النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الثلاث لطاف ملبسة بالرصاص على أعمدة رخام بلا حيطان، وفي الوسط قبة الصخرة على بيت مئمن بأربعة أبواب كل باب يقابل مرقاة: باب القبلي باب اسرافيل باب الصور باب النساء يفتح إلى الغرب جميعها مذهبة، في وجه كل واحد باب ظريف من خشب التنوب مداخل حسن أمرت بهن أم المقتدر بالله، وعلى كل باب صفة مرخمة بالتنوبية تطبق على الصفرية من خارج، وعلى أبواب الصفاف أبواب أيضا سواذج، داخل البيت ثلاثة أروقة دائرة على أعمدة معجونة أجل من الرخام وأحسن لا نظير لها قد عقدت عليها أروقة لاطية، داخلها رواق آخر مستدير على الصخرة لا مئمن على أعمدة معجونة بقناطر مدورة، فوق هذه منطقة متعالية في الهواء فيها طبقان كبار، والقبة من فوق المنطقة طولها عن القاعدة الكبرى مع السفود في الهواء مائة ذراع، ترى من البعد، فوقها سفود حسن طول قامة وبسطة، والقبة على عظمها ملبسة بالصفير المذهب، وأرض البيت وحيطانه مع المنطقة من داخل وخارج على ما ذكرنا من جامع دمشق، والقبة ثلاث سافات: الأولى من ألواح مزوقة والثانية من أعمدة الحديد قد شبكت لثلاثمليها الرياح ثم الثالثة من خشب عليها الصفائح وفي وسطها طريق إلى عند السفود يصعدا الصناع لتفقدوا ورمها، فإذا بزغت عليها الشمس أشرفت القبة وتلألأت المنطقة ورأيت شيئا عجيبا، وعلى الجملة لم أر في الاسلام ولا سمعت أن في الشرك مثل هذه القبة. ويدخل إلى المسجد من ثلاثة عشر موضعا بعشرين بابا: باب حطه، بابي النبي صلى الله عليه وسلم، أبواب محراب مريم، بابي الرحمة، باب بركة بني إسرائيل، أبواب الأسباط، أبواب الهاشميين، باب الوليد، باب إبراهيم، باب أم خالد، باب داود. وفيه من المشاهد محراب مريم وزكريا ويعقوب والخضر ومقام النبي وجبرئيل وموضع النمل والنور والكعبة والصرائط متفرقة فيه، وليس على الميسرة أروقة والمغطى لا يتصل بالحائط الشرقي، ومن أجل هذا يقال لا يتم فيه صف أبدا وإنما ترك هذا البعض لسببين: أحدهما قول عمر اتخذوا في غربي هذا المسجد مصلى للمسلمين فتركت هذه القطعة لئلا يخالف، والثاني أنهم لو مدوا المغطى إلى الزاوية لم تقع الصخرة حذاء المحراب فكرهوا ذلك والله أعلم. وطول المسجد ألف ذراع بذراع الملك الأشباني وعرضه سبعمائة، وفي سقوفه من الخشب أربعة آلاف خشبة وسبعمائة عمود رخام، وعلى السطح خمسة وأربعون ألف شقفة رصاص، وحجم الصخرة ثلاثة وثلاثون ذراعا في سبعة وعشرين، والمغارة التي تحتها تسع وتسعين نفسا. وكانت وظيفته في كل شهر مائة قسط زيت، وفي كل سنة ثمان مائة ألف ذراع حصر، وخدامه ممالك له أقامهم عبد الملك من خمس الأسارى ولذلك يسمون الأخماس لا يخدمه غيرهم، ولهم نوب يحفظونها. ه من الخشب أربعة آلاف خشبة وسبعمائة عمود رخام، وعلى السطح خمسة وأربعون ألف شقفة رصاص، وحجم الصخرة ثلاثة وثلاثون ذراعا في سبعة وعشرين، والمغارة التي تحتها تسع وتسعين نفسا. وكانت وظيفته في كل شهر مائة قسط زيت، وفي كل سنة ثمان مائة ألف ذراع حصر، وخدامه ممالك له أقامهم عبد الملك من خمس الأسارى ولذلك يسمون الأخماس لا يخدمه غيرهم، ولهم نوب يحفظونها.

سلوان: محلة في ربض المدينة تحتها عين عذيبية تسقي جنانا عظيمة، أوقفها عثمان بن عفان على ضعفاء البلد، تحتها بنرايوب ويزعمون أن ماء زمزم يزور ماء هذه العين ليلة عرفة. وادي جهنم: على قرنة المسجد إلى آخره قبل الشمرق، فيه

بساتين وكروم وكنائس ومغائر وصوامع ومقابر وعجائب ومزارع، وسطه كنيسة على قبر مريم، ويشرف عليه مقابر فيها شداد بن أوس الخزرجي وعبادة بن الصامت. جبل زيتا: مطل على المسجد شرقي هذا الوادي، على رأسه مسجد لعمر نزله أيام فتح البلد، وكنيسة على الموضع الذي سعد منه عيسى عم، وموضع يسمونه الساهرة، وحدثونا عن ابن عباس أن الساهرة هي أرض القيامة بيضاء لم يسفك عليها دم. بيت لحم: قرية على طرف فرسخ من نحو حبري، بها ولد عيسى، وثم كانت النخلة وليس يرطب النخيل بهذا الرستاق، ولكن جعلت لها آية وبها كنيسة ليس بالكوره مثلها. حبري: هي قرية إبراهيم الخليل عم، فيها حصن منيع يزعمون أنه من بناء الجن من حجارة عظيمة منقوشة وسطه قبة من الحجارة اسلامية على قبر إبراهيم، وقبر إسحاق قدام في المغطى، وقبر يعقوب في المؤخر حذاء كل نبي امرأته، وقد جعل الحيرمسجدا وبني حوله دور للزوار وأختلطت به العمارة، ولهم قناة ضعيفة وهذه القرية إلى نحو نصف مرحلة من كل جانب قرى وكروم وأعناب وتفتح، يسمى جبل نضرة لا يرى مثله ولا أحسن من فواكه عامتها تحمل إلى مصر وتنتشر، وفي هذه القرية ضيافة دائمة وطباخ وخباز وخدام مرتبون يقدمون العدى بالزيت لكل من حضر من لفقراء ويدفع إلى الأغنياء إذا اخذوا، ويظن أكثر الناس أنه من قرى إبراهيم وإنما هو وقف تميم الداري وغيره، والأفضل عندي التورع عنه. وعلى فرسخ من حبري جبل صغير مشرف على بحيرة صغر، وموضع قريات لوط، ثم مسجد بناه أبو بكر الصباحي فيه موضع مرقد إبراهيم عم قد غاص في القف نحو ذراع، يقال أن إبراهيم لما رأى قريات لوط في الهواء رقد ثم وقال أشهد أن هذا هو الحق اليقين. وحد القدس ما حول إيليا إلى أربعين ميلا يدخل في ذلك: القصة ومدنها. اثنا عشر ميلا في البحر، وصغر ومآب، وخمسة أميال من البادية، ومن قبل القبلة إلى ما وراء الكسيفة وما يحاذيها، ومن قبل الشمال تخوم نابلس، وهذه الأرض مباركة كما قال الله تعالى، مشجرة الجبال زريعة السهول من غير. سقي ولا أنهار وكما قالى الرجلان لموسى ابن عمران وجدنا بلدا يفيض لبنا وعسلا.

بيت جبريل: مدينة سهلية جبلية، رستاقها الداروم فيه مقاطع الرخام وميرة القصة وخزانة الكورة، بلد الغوال والرخاء ذات ضياع جبلية، إلا أنها قد خفت وهي كثيرة المخنثين. غزة: كبيرة على جادة مصر وطرف البادية وقرب البحر، بها جامع حسن وفيها أثر عمر بن الخطاب ومولد الشافعي وقبر هاشم بن عبد مناف. ميماس: على البحر حصينة صغيرة تنسب إلى غزة. عسقلان: على البحر جبلية كثيرة المحارس والفواكه ومعدن الجميز، جامعها في البزازين قد فرش بالرخام، بهية فاضلة طيبة حصينة قزها فائق وخيرها دافق والعيش بها رافق، أسواق حسنة ومحارس نفيسة إلا أن ميناءها ردي وماءها عذبي ودلمها مؤذ. يافة: على البحر صغيرة إلا أنها خزانة فلسطين وفرضة الرملة، عليها حصن منيع بأبواب محددة وباب البحر كله حديد، والجامع مشرف على البحر نزه، ومينأؤها جيد. أرسوف: أصغر من يافة حصينه عامرة، بها منبر حسن بني للرملة ثم كان صغيرا فحمل إلى أرسوف. قيسارية: ليس على بحر الروم بلد أجل ولا أكثر خيرات منها، تفور نعما وتندفق خيرات طيبة، الساحة حسنة الفواكه، عليها حصن منيع وربض عامر قد أدير عليه الحصن، شربهم من أبلا وصهاريج، ولها جامع حسن. نابلس: في الجبال كثيرة الزيتون يسمونها دمشق الصغرى، وهي في واد قد ضغطها جبلان، سوقها من الباب إلى الباب وآخر إلى نصف البلد، والجامع وسطها، مبلطة نظيفة لها نهر جار، بناؤهم حجاره ولهم دواميس عجيبه. أريحاء: هي مدينة الجبارين، وبها الباب الذي ذكره الله لبني إسرائيل، وهي معدن النيل والنخيل، رستاقها الغور وزروعهم تسقى من العيون، شديدة الحر، معدن الحيات والعقارب، أهلها سمر وسودان، كثيرة البراغيث، غير أن ماءها أخف ماء في الإسلام، كثيرة الموز والارطاب والريحان. عمان: على سيف البادية ذات قرى ومزارع، رستاقها البلقاء، معدن الحبوب والأغنام، بها عدة أنهار وارحية يديرها الماء، ولها جامع ظريف بطرف السوق مفسس الصحن وقد قلنا إنه شبه مكة، وقصر جالوت على جبل يطل عليها، وبها قبر أوربا عليه مسجد وملعب سليمان، رخيصة الأسعار كثيرة الفواكه غير أن أهلها جهال وإليها الطرق الصعبة.

الرقيم: قرية على فرسخ من عمان على تخوم البادية، فيها مغارة لها بابان صغير وكبير يزعمون أن من دخل الكبير ولم يمكنه الدخول من الصغير فهو ممدر، وفي المغارة ثلاثة قبور وهي التي حدثنا أبو الفضل محمد بن منصور قال: حدثنا أبو بكر بن سعيد، قال: حدثنا الفضل بن حماد، قال: حدثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، قال: أخبرني نافع عن عبد الله ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: بينما نفر ثلاثة يتماشون إذ أخذهم المطر، فمالوا إلى غار في الجبل، فأنحطت إلى فم غارهم صخرة من الجبل فاطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالا عملتموها لله عز وجل صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها، فقال أحدهم: اللهم كان لي والدان شيخان كبيران ولي صبية صغار كنت أرى عليهم، فإذا رحمت عليهم فحلبت بدأت بالدي اسقيتهما قبل ولدي، وأنه نابني السخريوما فلم أت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب فجننت بالحلاب ففمت عند رؤوسها أكره أن أوظفهما من نومهما وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية ينضاعون فلم نزل كذلك حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء، ففرج الله تعالى فرجة رأوا منها السماء، وقال الآخر: اللهم أنه كانت لي ابنة عم أحببها كأشد ما يحب الرجال، فحلبت إليها نفسها فأبنت حتى

أتيها بمائة دينار، فسعيت حتى جمعت مائة دينار فجيئتها بها، فلما وقعت بين رجلها، قالت يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فممت عنها فإن كنت تعلم إني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجا. ففرج الله لهم فرجة. وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرت أجيرا بعرف من ارز، فلما قضى عمله قال: أعطني حقي، فعرضت عليه حقه فتركه ورغب عنه فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا وراعيها، فجاءني وقال اتق الله ولا تظلمني وأعطني حقي فقلت إذهب إلى تلك البقر وراعيها، فخذها، فقال اتق الله ولا تهزأ بي، فقلت إني لا اهزأ بك خذ تلك البقر وراعيها، فأخذها وانطلق بها، فإن كنت تعلم إني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج ما بقي. ففرج الله عنهم.

ولهذه الكورة قرى جلييلة ذات منابر أعمر وأجل من أكثر مدن الجزيرة، وهي مذكورة غير أنه لما لم يكن لها قوة المدن في الأئين ولا ضعف القرى في المعمول وتردد أمرها بين الرتبين وجب أن نستظهر بذكرها ونبين مواضعها. منها لد: وهي على ميل من الرملة، بها جامع يجمع به خلق كثير من أهل القصبه وما حوله من القرى وبها كنيسة عجيبة على بابها يقتل عيسى الدجال. كفرسابا: كبيرة بجامع على جادة دمشق. عاقر: قرية كبيرة بها جامع كبير، لهم رغبة في الخير، وليس مثل خبزهم على جادة مكة. بينا: بها جامع نفيس، معدن التين الدمشقي الفائق. عمواس: ذكروا أنها كانت القصبه في القديم. وإنما تقدموا إلى السهل والبحر من أجل الأبار لأن هذه على حد الجبل. كفرسلام: من قرى قيسارية كبيرة أهلة، بها جامع على الجادة.

ولهذه القصبه رباطات على البحر يقع بها النفير، وتقع إليها شلندييات الروم وشوانبيهم معهم أساري المسلمين للبيع كل ثلاثة بمائة دينار، وفي كل رباط قوم يعرفون لسانهم ويذهبون إليهم في الرسائل ويحمل إليهم أصناف الأطعمة، وقد ضج بالنفير لما تراءت مراكبهم، فإن كان ليل أوقدت منارة ذلك الرباط وإن كان نهار دخوا، ومن كل رباط إلى القصبه عدة منابر شاهقة قد رتب فيها أقوام، فتوقد المنارة التي للرباط ثم التي تليها ثم الأخرى، فلا يكون ساعة إلا وقد أنفر بالقصبه وضرب الطبل على المنارة ونودي إلى ذلك الرباط وخرج الناس بالسلاح والقوة، واجتمع أحداث الرساتيق ثم يكون الفداء، فرجل يشتري رجلا وآخر يطرح درهما أو خاتما حتى يشتري ما معهم. ورباطات هذه الكورة التي يقع بهن الفداء: غزة، ميماس، عسقلان، ماحوز أزود، ماحوز بينا، يافه، أرسوف.

ضغر: أهل الكورتين بسمونها صقر، وكتب مقدسي إلى أهله من سقر السفلى إلى الفردوس الأعلى، وذلك أنه بلد قاتل للغرباء ردي الماء ومن أبطأ عليه ملك الموت فليرحل إليها، ولا أعرف في الإسلام لها نظيرا في هذا الباب، وقد رأيت بلدانا وبية ولكن ليس كهذه، أهلها سودان غلاظ وماؤها حميم وكأنها جحيم، إلا إنها البصرة الصغرى والمتجر المريح، وهي على البحيرة المقلوبة وبقية مدائن لوط، وإنما نجت لأن أهلها لم يكونوا يعملون الفاحشة، والجبال منها قريبة. مآب: في الجبل، كثيرة القرى واللوز والأعناب، قريبة من البادية ومؤتة من قراها، وثم قبر جعفر الطيار، وعبدالله بن رواحة. أدرج: مدينة متطرفة حجازية شامية، وعندهم بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده وهو مكتوب في أديم. ويلة: مدينة على طرف شعبة بحر الصين عامرة جلييلة ذات نخيل وأسماك، فرضة فلسطين وخزانة الحجاز، والعام بسمونها أيلة، وأيلة قد خربت على قرب منها وهي التي قال الله تعالى " وسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر " مدين: على تخوم الحجاز في الحقيقة، لأن جزيرة العرب كلما دار عليه البحر ومدين في هذه الخطة، وثم الحجر الذي رفعه موسى عم حين سقى غنم شعيب، والماء بها غزير، وأرطالهم ورسومهم شامية. وفي ويلة تنازع بين الشاميين والحجازيين والمصريين كما في عبادان واضافتها إلى الشام أصوب. لأن رسومهم وأرطالهم شامية وهي فرضة فلسطين ومنها يقع جلائهم. تبوك: مدينة صغيرة بها مسجد النبي صلى الله عليه وسلم.

جمال شؤون هذا الإقليم

هو إقليم متوسط الهواء إلا وسطه من الشراة إلى الحولة، فإنه بلد الحر والنيل والموز والنخيل، وقال لي يوما غسان الحكيم ونحن باربعاء ترى هذا الوادي قلت بلى، قال: هو يمد إلى الحجاز ثم يخرج إلى اليمامة ثم إلى عمان وهجر ثم إلى البصرة ثم إلى بغداد ثم يصعد إلى ميسرة الموصل إلى الرقة وهو وادي الحر والنخيل. وأشد هذا الإقليم بردا بعلبك وما حولها، ومن أمثالهم قيل للبرد أين نطلبك قال بالبلقاء، قال فإن لم نجدك قال بعلبك بيتي. وهو إقليم مبارك بلد الرخص والفواكه والصالحين وكلما علا منه نحو الروم كان أكثر أنهارا وثمارا وأبرد هواء، وما سفلى منه فإنه أفضل وأطيب وألذ ثمارا وأكثر نخيلا. وليس فيه نهريساقر فيه إنما يعبر، قليل العلماء كثير الذمة والمجذمين، ولا خطر فيه للمذكرين، والسامرة فيه من فلسطين إلى طبرية ولا تجد فيه مجوسيا ولا صابنا.

مذاهبهم مستقيمة أهل جماعة وسنة وأهل طبرية ونصف نابلس وقدس وأكثر عمان شيعية، ولا ماء فيه لمعتزلي إنما هم في خفية، وبييت المقدس خلق من الكرامية لهم خوانق ومجالس، ولا ترى به مالكية ولا داوديا وللأوزاعية مجلس بجامع دمشق والعمل كان فيه على مذهب أصحاب الحديث، والفقهاء شفعوية وأقل قسبة أو بلد ليس فيه حنفي وربما كانت القضاة منهم، فإن قيل لم يقل والعمل فيه على مذهب الشافعي والصدور ثم شفعوية، قيل له هذا كلام من لا تمييز له لأن مذهب الشافعي الجهر بالبسملة والقنوت في الفجر، ولا تقنت إلا في النصف الأخير من شهر رمضان في الوتر وغير ذلك ما لم يكن يستعمله أهل الشام وينكرونه، ألا ترى أن ملكهم لما أمر بالجهر بالبسملة بطبرية كيف تظلموا منه إلى كافور الأخشيدي واستبشعوا ما فعله، واليوم أكثر العمل على مذاهب الفاطمي ونحن نذكرها مع رسومهم في إقليم المغرب إن شاء الله تعالى.

والغالب فيه من القراءات حروف أبي عمرو، إلا بدمشق فإنه لا يؤم في الجامع إلا من يقرأ لابن عامر وهي شائعة فيهم مختارة عندهم، وقد فشت قراءة الكسائي في الإقليم ويستعملون السبع ويجتهدون في ضبطها.

والتجارات به مفيدة، يرتفع من فلسطين الزيت والقطين والزبيب والخرنوب والملاحم والصابون والقوط. ومن بيت المقدس الجبن والقطن وزبيب العينوني والدوري غاية، والتفاح وقضم قريش الذي لا نظير له والمرابا وقدور القناديل والإبر. ومن أريحاء نيل غاية. ومن صغر وبيسان النبل والتومر. ومن عمان الحبوب والخرفان والعسل. ومن طبرية شقاق المطارح والكاغد وبز. ومز قدس ثياب المنيرة والبلعيسية والحبال. ومن صور السكر والخرز والزجاج المخروط والمعمولات. ومن مآب قلوب اللوز. ومن بيسان الرز. ومن دمشق المعصور والبلعيسي وديباج ودهن بنفسج دون والصفريات والكاغد والجوز والقطين والزبيب. ومن حلب القطن والثياب والأشنان والمغرة. ومن بعلبك الملاين. ولا نظير لقطين وزيت الأنفاق وحواري وميازر الرملة، ولا لمعنة وقضم قريش وعينوني ودوري وترياق وترذوغ وسبح بيت المقدس. وأعلم إنه قد اجتمع بكورة فلسطين ستة وثلاثون شيئا ولا تجتمع في غيرها. فالسبعة الأولى لا توجد إلا بها، والسبعة الثانية غريبة في غيرها، والاثنا عشر لا تجتمع إلا بها. وقد يجتمع أكثرها في غيرها مثل قضم قريش والمعنة والعينوني والدوري وانجاص الكافوري وتين السباعي والدمشقي والقلقاس والجميز والخرنوب والعكوب والعناب وقصب السكر والتفاح الشامي والرطب والزيتون والأترج والنيل والراسن والنارنج واللقاح والنبق والجوز واللوز والهلبيون والموز والسماق والكرنب والكمأة والترمس والطري والتلج ولبن الجواميس والشهد وعنب العاصمي والتين التمري. وأما القبيط فقد يرى مثله غير أن له طعما آخر، وقد ترى الخس غير أنه في جملة البقل إلا بالأهواز فإنه غاية ويفرد عن البقل أيضا بالبصرة.

وأما المكاييل فلأهل الرملة القفيز والوبية والمكوك والكيلجة، فالكيلجة نحو صاع ونصف، والمكوك ثلاث كيلج، والوبية مكوكان، والقفيز أربع وبيات، ويفرد أهل ايليا بالمدى وهو ثلثا القفيز، وبالقب وهو ربع المدى، ولا يستعمل المكوك إلا في كيل السلطان، ومدى عمان ست كيلج وقفيزهم نصف كيلجة وبه يبيعون الزبيب والقطين، وقفيز صور مدى ايليا وكيلجتهم صاع، وغرارة دمشق قفيز ونصف بالفلسطيني.

والأرطال من حمص إلى الجفار ستمائة، غير أنه يتفاوت فاملأه رطل عكا، وأزله الدمشقي، وأوقيتهم من خمسين إلى بضع وأربعين. وكل رطل اثنا عشر أوقية، ورطل قنشرين ثلثا هذا.

والسنج متقاربة: الدرهم ستون حبة، وحبثهم شعيرة واحدة، والدانق عشر حبات، والدينار أربعة وعشرون قيراطا، والقيراط ثلاث شعيرات ونصف. ورسومهم إنهم يقدون القناديل في مساجدهم على الدوام يعلقونها بالسلاسل مثل مكة، وفي كل قسبة بيت مال بالجامع معلق على أعمدة، وبين المغطى والصحن أبواب إلا اريحاء، ولا ترى الحصى إلا في صحن جامع طبرية، والمنابر مربعة، وأوساط سقوف المغطى مجملة، وعلى أبواب الجوامع وفي الأسواق مطاهر، ويجلسون بين كل سلامين من التراويح وبعض يوترون بوحدة وكان وترهم في القديم ثلاثا، وفي أيامي أمر أبو إسحاق المرزوي حتى قطعوه بايليا وإذا قام إلى كل ترويجة نادى منادى الصلاة رحمكم الله، ويصلون بايليا ست ترويجات، والمذكرون به قصاص، ولأصحاب أبي حنيفة بالمسجد الأقصى مجلس ذكر يقرأون في دفتر، وكذلك الكرامية في خوانقهم، وكان الحراس يهللون بعد صلاة الجمعة ويجلس الفقهاء بين الصلاتين وبين العشائين، والقراء مجالس في الجوامع. ومن أعياد النصارى التي يتعارفها المسلمون ويقدرن بها الفصول: الفصح وقت النيروز، والعنصرة وقت الحر، والميلاد وقت البرد، وعيد بربرارة وقت الأمطار. ومن أمثال الناس إذا جاء عيد بربرارة فليخذ البناء زماره، يعني فليجلس في البيت والقلندس، ومن أمثالهم إذا جاء القلندس فتدفيء واحتبس. وعيد الصليب وقت قطاف العنب، وعيد لد وقت الزرع. وشهورهم رومية: تشرين الأول والثاني كانون الأول والثاني شباط آذار نيسان أيار حزيران تموز آبيلول. وأقل ما ترى به فقيها له بدعة أو مسلما له كتابة إلا بطبرية فإنها ما

زالت تخرج الكتاب وإنما الكتبة به، وبمصر نصارى لأنهم اتكلوا على لسانهم فلم يتكلموا الأدب كالأعاجم، وكنت إذا حضرت مجلس قاضي القضاة ببغداد اخجل من كثرة ما يلحن، ولا يرون ذلك عيبا وأكثر الجهابذة والصباغين والسيارفة والدباغين بهذا الاقليم يهود، وأكثر الاطباء والكتبة نصارى. وأعلم أن خمسا في خمسة مواضع من الإسلام حسن: رمضان بمكة وليلة الختمة بالمسجد الأقصى والعيدين باصفلية ويوم عرفة بشيراز ويوم الجمعة ببغداد وأيضا ليلة النصف من شعبان بابلية ويوم عشوراء بمكة حسن. ولهم تجمل يلبسون الأردية كل عالم وجاهل ولا يتخففون في الصيف إنما هي نعال الطاق، وقبورهم مسنمة ويمشون خلف الجنائز ويسلون الميت ويخرجون إلى المقابر لختم القرآن ثلاثة أيام إذا مات ميت، ويكشفون المماظر ولا يقورون الطيالة، ولا جلة اليزازين بالرملة حمر مصرية بسروج، ولا يركب به الخيل إلا أمير أو رئيس، ولا يتدرع إلا أهل القرى والكتبة، ولباس القريانيين برستاق ايليا ونابلس كساء واحد حسب بلا سراويل ولهم الأفرنه، وللقريانيين الطوابين تنور في الأرض صغير قد فرش بالحصى فيوقد الزبل حوله وفوقه فإذا أحمر طرحت الأرفة على الحصى، وبه طباخون للعدس والبيسار ويقلون الفول المنبوت بالزيت ويصلقونه ويبيع مع الزيتون، ويملحون الترمس ويكثرون أكله، ويصنعون من الخرنوب ناطفا يسمونه القبيط، ويسمون ما يتخذون من السكر ناطفا، ويصنعون زلابية في الشتاء من العجين غير مشبكة، وعلى أكثر هذه الرسوم أهل مصر وعلى أقلها أهل العراق وأقور.

وبه معادن حديد في جبال بيروت، وبحلب مغرة جيدة، وبعمان دونها، وبه جبال حمر يسمى ترابها السمقة وهو تراب رخو، وجبال بيض تسمى الحوارة فيه أدنى صلابة ببيض به السقوف ويطين به السطوح وبفلسطين مقاطع حجارة بيض، ومعادن للرخام ببيت جبريل، وبالأغوار معادن كبريت وغيره. ويرتفع من البحيرة المقلوبة ملح منثور، وخير العسل ما رعى السعتر بابلية وجبل عاملة، وأجود المري ما عمل باربعاء. وقد ذكرنا أكثر المشاهد في عنوان الاقليم وأن ذكرنا مواضعها طال الكتاب غير أن أكثرها بابلية ثم بسائر فلسطين ثم بالاردن.

ومياه هذا الاقليم جيدة إلا ماء بانياس فإنه يطلق، وماء صور يحصر، وماء بيسان ثقيل، ونعوذ بالله من صغر، وماء بيت الرام ردي ولا ترى أخف من ماء اربحاء، وماء الرملة مري، وماء نابلس خشن، وفي ماء دمشق وابلية أدنى خشونة، وفي الهواء أدنى ييوس.

وفيه عدة من الأنهار تغلب في بحر الروم إلا بردى فإنه يشق أسفل قصبه دمشق فيسقي الكورة، وقد شق منه شعب يتدور في أعلى القصبه ثم ينقسم قسمين بعض يتبحر نحو البادية وبعض ينحدر فيلقي نهر الاردن، ونهر الاردن ينحدر من خلف بانياس فيتبحر بازاء قدس ثم ينحدر إلى طبرية ويشق البحيرة ثم ينحدر في الأغوار إلى البحيرة المقلوبة، وهي مالحة جدا وحشة مقلوبة منتنة فيها جبال وليس فيها أمواج كثيرة. وبحر الروم يمد على طرفه الغربي، وبحر الصين يمس طرفه الجنوبي، وبازاء صور تقع جزيرة قبرص، يقال إنها اثنا عشر يوما كلها مدن عامرة، وللمسلمين فيها رفق وسعة لكثرة ما يحمل منها من الخيرات والثياب والآلات وهي لمن غلب. المسافة إليها في البحر اقلاع يوم وليلة ثم إلى بلد الروم مثل ذلك.

ومن العجائب بابلية مغارة بظاهر البلد عظيمة، سمعت بعض العلماء قرأت في بعض الكتب أنها تنفذ إلى قوم موسى، وما صح لي ذلك وإنما مماطع للحجارة وفيها طرق يدخل فيها بالمشاعل. بين فلسطين والحجاز الحجارة التي رمى بها قوم لوط على طريق الحجاج مخططة صغار وكبار. بطبرية عين تغلى تعم أكثر حمامات البلد وقد شق إلى كل حمام منها نهر فيخاره يحمي البيوت فلا يحتاج إلى وقيد، وفي البيت الأول ماء بارد يمزج مقدار ما يتطهرون به ومطاهرهم من ذلك الماء، وفي هذه الكورة ماء مسخن يسمى الحمة حار من اغتسل فيه ثلاثة أيام ثم اغتسل في ماء آخر بارد وبه جرب أو قروح أو ناسور أو أي علة تكون برأ بإذن الله، وسمعت الطبرانيين يذكرون إنه كان عليها بما يدور بيوت، كل بيت لعة، فكل من به تلك العلة واغتسل فيه برأ إلى وقت أرسطاطاليس، ثم سأل ملك ذلك الزمان هدم هذه البيوت لئلا يستغنوا عن الاطباء، وصحت لي هذه الحكاية لأن كل من دخله من أصحاب العلل وجب أن يخوض الماء كله ليوافق موضع شفائه. وبحيرة صغر اعجوبة يقرب فيها نهر الاردن ونهر الشراة فلا يحيل فيها، ويقال إنها لا تغرق سريعا ومن احتقن بمائها أشفى من علل كثيرة ولها موسم في شهر آب يذهب إليها الاحداث وأصحاب العلل. وفي جبال الشراة أيضا حمة. ينزل على فلسطين في كل ليلة الندى في الصيف إذا هبت الجنوب حتى يجري منه مزاريب المسجد الأقصى. أبو رياح حمص طلسم جعل للعقارب ومن أخذ طينا وطبعه عليه نفع من لدغ العقارب بإذن الله تعالى فالعمل للطبع لا للطين. مدن سليمان عم بعلبك وتدمر من العجائب، وقبة الصخرة وجامع دمشق وميناء صور وعكا من العجائب.

ووضع هذا الإقليم ظريف، هو أربعة صفوف فالصف الأول يلي بحر الروم وهو السهل رمال منعقدة ممتزجة، يقع فيه من البلدان الرملة وجميع مدن السواحل. والصف الثاني الجبل مشجر ذو قرى وعيون ومزارع، يقع فيه من البلدان بيت جبريل وإيليا ونابلس واللجون وكابل وقدس والبقاع وانطاكية. والصف الثالث الأغوار ذات قرى وأنهار ونخيل ومزارع ونيل، يقع فيه من البلدان ويلة وتبوك وصغر وأريحاء وبيسان وطبرية وبانياس. والصف الرابع سيف البادية وهي جبال عالية باردة معتدلة مع البادية ذات قرى وعيون وأشجار، يقع فيه من البلدان مأب وعلان واذرعات ودمشق وحمص وتدمر وحلب. وتقع الجبال الفاضلة مثل جبل زيتا وصديقا ولبنان واللكام في الصف الثاني. وسرة الأرض المقدسة في الجبال المطلة على الساحل. وكنت يوما في مجلس أبي محمد الميكالي رئيس نيسابور وقد حضر الفقهاء للمناظرة، فسئل أبو الهيثم عن دليل جواز التيمم بالنورة، فاحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فعم الأرضين كلها. فقال السائل إنما عني السهل لا الجبل، ثم كثر الكلام والجلبة واعجبوا بقولهم. فقلت لأبي ذر بن حمدان وكان أشغبهم ما تنكر على قائل لو قال العلة ما ذكرها هذا الفقيه الفاضل لأن الله تعالى قال ادخلوا الأرض المقدسة وهي جبال، فجعل يخرذل في كلامه ويورد ما لا ينقض ما ذكرناه، ثم قال الفقيه سهل بن الصعلوكي إنما قال ادخلوا الأرض ولم يقل اصعدوا الجبل ووقف الكلام.

فإن قال قائل لم لم يقل أن الباب باريحاء والله أمرهم بدخوله، وأريحاء بالغور لا بالجبال، فصح ما قاله الامام ابن الامام. قيل لهلنا في هذا جوابان: أحدهما فقهي وهو أن الأرض المقدسة جبال لا محالة وأريحاء في سهولها ومن اتباعها، فظاهر الآية مصروف إلى حقيقة القدس وهي إيليا وإنما هي في الجبال لا إلى التبع من السهول والأغوار. فإن قال بل الآية مصروفة إلى مدينة الجبارين وهي أريحاء التي أمروا بدخولها فتقيد الآية أمرين دخول الأرض المقدسة والمدينة المذكورة، وفانتهت على ما ذهبت إليه مقصورة على الأرض حسب وكلمنا حملنا القرآن على كثرة الفوائد كان أحسن. قيل أن الله عز اسمه قد أوضح ما ذهبنا إليه بقوله: " وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ". فدخلت سهول فلسطين وجبالها تحت هذه الآية، وصار قولهم: " إن فيها قوما جبارين " يعني في نواحيها. والجواب الآخر اقليمي وذلك إنهم أمروا بدخول القدس والجبارون باريحاء وهي في غور بين الجبال والبحيرة، ولا يجوز أن تقول أنهم أمروا بركوب البحر فلم يبق إلا دخولها من نحو الجبال، وكذلك فعلوا لأنهم دخلوها من تحت البلقاء وعبروا الأردن إلى أريحاء. مع أنه يلزم صاحب هذه المقالة شيئا ما أن يقول إنهم لم يؤمروا بدخول جبال القدس وأما أن يقول أن جبال إيليا والبقاء ليست من الأرض المقدسة، ومن زعم شيئا من هذين فترك الكلام معه أصوب. وقد كان الفقيه أبو ذر لما ضيقت عليه هذه المسألة قال لي إنك لم تدخل بيت المقدس ولو دخلتها لعلمت إنها سهل بلا جبل، حتى قال له الرئيس أبو محمد هو منها. وسمعت خالي عبدالله بن الشوا يقول: أراد بعض السلاطين أن يتغلب على دير شمويل وهي قرية على فرسخ من إيليا فقال لصاحبها صف لي قريتك، قال: هي أيديك الله قريبة من السماء، بعيدة من الوطاء. قليلة الأبروط، كثيرة البلوط. تحتاج إلى الكد، ولا تزكى بالرد.

يغالب غر، ولوز مر. إزرع قبا وخذ قبا، إلا أن الذي نذرت كان أنبل جبا فقال اذهب لا حاجة لنا في قريتك.

وأما الجبال الشريفة فجبل زيتا يطل على بيت المقدس وقد ذكرناه، وجبل صديقا بين صور وقدس وبانياس وصيدا، ثم قبر صديقا عنده مسجد له موسم يوم النصف من شعبان يجتمع إليه خلق كثير من هذه المدن ويحضره خليفة السلطان واتفق وقت كوني بهذه الناحية يوم الجمعة في النصف من شعبان، فأتاني القاضي أبو القاسم بن العباس حتى خطبت بهم فبعثتم في الخطبة على عمارة ذلك المسجد، ففعلوا وبنوا به منبرا. وسمعتهم يزعمون أن الكلب يعدو خلف الوحش فإذا بلغ ذلك الحد وقف وما يشبه هذه من الحكايات. وأما جبل لبنان فهو متصل بهذا الجبل كثير الأشجار والثمار المباحة، وفيه عيون ضعيفة، يتعبد عندها أقوام قد بنوا لأنفسهم بيوتا من القش، يأكلون من تلك المباحات، ويرتفعون بما يحملون منها إلى المدن من القصب الفارسي والمرسين وغير ذلك وقد قلوا به. وجبل الجولان يقابله من نحو دمشق على ما ذكرناه، وبه لقيت أبا إسحاق البلوطي في أربعين رجلا لباسهم الصوف ولهم مسجد يجتمعون فيه، ورأيت فقيها عالما على مذهب سفيان الثوري، ورأيت تقوتهم بالبلوط ثمرة على مقدار التمر مر يفلق ويحلى ثم يطحن، وثم شعير بري يخلط به. وأما جبل لكاه فإنه أعمر جبال الشام وأكبرها وأكثرها ثمارا، هو اليوم بيد الأرمن، وطرسوس من ورائه، وانطاكية دونه.

والولايات لصاحب مصر وقد كان سيف الدولة غلب على أعلاه. والضرائب فيه هينة إلا ما يكون على الفنادق فإنه منكر على ما ذكرنا من بيت المقدس. وحماياته ثقيلة، على قنسرين والعواصم ثلاثمائة ألف وستون ألف دينار، وعلى الأردن مائة ألف وسبعون ألف دينار، وعلى فلسطين مائتا ألف وتسعة وخمسون ألف دينار، وعلى دمشق أربعمائة ألف ونيف. وقرأت في كتاب ابن خردادبة خراج قنسرين أربعمائة ألف دينار، وخراج حمص ثلاثمائة ألف وأربعون ألفا، وخراج الأردن ثلاثمائة ألف وخمسون ألفا، وخراج فلسطين خمسمائة ألف دينار.

وأما المسافات فتأخذ من حلب إلى بالس يومين، ومن حب إلى قنسرين يوما وكذلك إلى الأثارب، ومن حلب إلى منبج يومين، ومن حب إلى أنطاكية خمسة أيام، ومن أنطاكية إلى اللاذقية ثلاثة أيام، ومن منبج إلى الفرات مرحلة. وتأخذ من حمص إلى جوسية مرحلة ثم إلى يعاثة مرحلة ثم إلى بعلبك نصف مرحلة ثم إلى الزبداني مرحلة ثم إلى دمشق مرحلة. وتأخذ من حمص إلى شمسين مرحلة ثم إلى قارا مرحلة ثم إلى النبك مرحلة ثم إلى القطيفة مرحلة ثم إلى دمشق مرحلة. وتأخذ من حمص إلى سلمية مرحلة ثم إلى القسطل مرحلتين ثم إلى الزراعة مثلها ثم إلى الرصافة مثلها ثم إلى الرقة نصف مرحلة. ثم تأخذ من حمص إلى حماة مرحلة ثم إلى شيزر مرحلة ثم إلى كفرطاب مرحلة ثم إلى قنسرين مرحلة ثم إلى حلب مرحلة. وتأخذ من دمشق إلى طرابلس أو إلى بيروت أو إلى صيدا أو إلى بانياس أو إلى الحوران أو البثنية يومين يومين، وتأخذ من دمشق إلى أقصى الغوطة أو إلى بيت سرا مرحلة مرحلة. وتأخذ من دمشق إلى الكسوة بريدين ثم إلى جاسم مرحلة ثم إلى فيق مثلها ثم إلى طبرية بريدا. وتأخذ من بانياس إلى قدس أو إلى جب يوسف بريدين بريدين. وتأخذ من بيروت إلى صيدا أو إلى طرابلس مرحلة مرحلة. وتأخذ من طبرية إلى اللجون أو إلى جب يوسف أو إلى بيسان أو إلى عقبة أفيق أو إلى الجش أو إلى كفركيلا مرحلة مرحلة. وتأخذ من اللجون إلى قلنسوة مرحلة ثم إلى الرملة مرحلة وإن شئت فخذ من اللجون إلى كفرسابا بالبريد مرحلة ثم إلى الرملة مرحلة. وتأخذ من بيسان إلى تعاسير بريدين ثم إلى نابلس مثلها ثم إلى بيت المقدس مرحلة. وتأخذ من جب يوسف إلى قرية العيون مرحلتين ثم إلى القرعون مرحلة ثم إلى عين الجبر مرحلة ثم إلى بعلبك مرحلة وهذا يسمى طريق المدارج. وتأخذ من الجش إلى صور مرحلة ومن صور إلى صيدا مرحلة ومن صور إلى قدس أو إلى مجدل سلم بريدين، ومن مجدل سلم إلى بانياس بريدين. وتأخذ من طبرية إلى عكا مرحلتين، ومن جبل لبنان إلى نابلس أو إلى قدس أو إلى صيدا أو إلى صور نحو مرحلة مرحلة. وتأخذ من الرملة إلى بيت المقدس أو إلى بيت جبريل أو إلى عسقلان أو إلى السكرية مرحلة مرحلة. وتأخذ من الرملة إلى نابلس أو إلى كفرسلام أو إلى مسجد إبراهيم أو إلى أريحاء مرحلة مرحلة. وتأخذ من الرملة إلى يافه أو إلى الماحوز أو إلى أرسوف أو إلى أزود أو إلى رفح مرحلة مرحلة. وتأخذ من بيت المقدس إلى بيت جبريل أو إلى مسجد إبراهيم أو إلى نهر الأردن مرحلة مرحلة. وتأخذ من بيت المقدس إلى نابلس مرحلة، وتأخذ من بيت المقدس إلى أريحاء بريدين. وتأخذ من غزة إلى بيت جبريل أو إلى أزود أو إلى رفح مرحلة مرحلة. وتأخذ من مسجد إبراهيم إلى قاووس مرحلة ثم إلى صغر مرحلة. وتأخذ من نهر الأردن إلى عمان مرحلة. وتأخذ من نابلس إلى أريحاء مرحلة، وتأخذ من أريحاء إلى بيت الرام بريدين ثم إلى عمان مرحلة. وتأخذ من صغر إلى مآب مرحلة. وتأخذ من عمان إلى مآب أو إلى الزرقاء مرحلة مرحلة، وتأخذ من الزرقاء إلى أذرعاء مرحلة، ومن أذرعاء إلى دمشق مرحلتين. وتأخذ من قيسارية إلى كفرسلام أو إلى كفرسابا أو إلى أرسوف أو إلى الكنيسة مرحلة مرحلة. ومن يافه إلى عسقلان مرحلة.

أقليم مصر

هذا هو الاقليم الذي افتخر به فرعون على الورى، وقام على يد يوسف بأهل الدنيا. فيه آثار الأنبياء، والتهيه وطور سيناء. ومشاهد يوسف وعجائب موسى، وإليه هاجرت مريم بعيسى. وقد كرر الله في القرآن ذكره، وأظهر للخلق فضله. أحد جناحي الدنيا، ومفاخره فلا تحصى. مصره قبة الإسلام ونهره أجل الأنهار وبخيراتة تعمر الحجاز وبأهله يهيج موسم الحاج وبره يعم الشرق والغرب قد وضعه الله بين البحرين، وأعلى ذكره في الخافقين. حسبك أن الشام على جلالتها رستاقه، والحجاز مع أهلها عياله. وقيل أنه هو الربوه، ونهره يجري عسلا في الجنة. قد عاد فيه حضرة أمير المؤمنين، ونسخ بغداد إلى يوم الدين، وصار مصره أكبر مفاخر المسلمين. غير أن جذبه سبع سنين متوالية، والأعنان والأتیان به غالية. ورسوم القبط به عالية، وفي كل حين تحل بهم الداهية. عمره مصر بن حام بن نوح عم، وهذا شكله ومثاله.

وقد جعلنا إقليم مصر على سبع كور، ست منها عامرة ولها أيضا أعمال واسعة ذات ضياع جليلة ولم تكثر مدائن مصر لأن أكثر أهل السواد قبط، ولا مدينة في قياس علمنا هذا إلا بمنبر. فأولها من نحو الشام الجفار ثم الحوف ثم الريف ثم إسكندرية ثم مقدونية ثم الصعيد والسابعة الواحات. فأما الجفار فقصبته الفرما ومدنها: البقارة الورداء العريش. وأما الحوف فقصبتها بلبيس ومن مدنها: مشنول جرجير فاقوس غيفا دبغو تونة بريم القلزم. وأما الريف فقصبته العباسية ومن مدنها: شبرو، دمنهور، سنهور، بنهاالعسل، شطنوف، مليج، محلة سدر، محلة كرمين، المحلة الكبيرة، سندفا، دميرة، بورة، دقهلة، محلة زيد، محلة حفص، محلة زياد، سنهور الصغرى، برلس. وأما إسكندرية فهي القصبية أيضا ومن مدنها: الرشيد، مريوط، ذات الحمام، برلس. وأما مقدونية فقصبته الفسطاط وهو المصر ومن مدنها: العزيزية، الجيزة، عين شمس. وأما الصعيد فقصبته أسوان ومن مدنها: حلوان، قوص، إخميم، بلينا، علاقي، اجمع، بوصير، الفيوم، أشمونين، سمسطا، تندة، طحا، بهنسة، قيس. وبازاء الحوف جزيرتان في بحيرتين فيهما تنيس ودمياط.

الفرما: على ساحل بحر الروم وهي قصبة الجفار على فرسخ من البحر، عامرة أهلة عليها حصن ولها أسواق حسنة، وهي في سبخة وماؤها مالحة وحولها مصايد السلوى، معدن الاسماك الجيدة، وبها اعداد عدة وخيرات كثيرة، وهي مجمع الطرق المذكورة سرية غير أن ماءها مالحة وطيرها مزمن. وهذه الكورة كلها رمال ذهبية، والمدن التي ذكرناها وسطها، وفيها طرق ونخيل وأبار وعلى كل بريد حانوت، إلا أن الريح ربما لعبت بالرمال فغطت الطريق والسير فيها صعب. بلبيس: قصبة الحوف، كبيرة كثيرة القرى والمزارع عامرة، بنيانهم من طين. المشتول: كثيرة الطواحين ومنها يحمل أكثر ميرة الحجاز من الدقيق والكلعك، واحصيت في وقت من السنة فإذا هو يبلغ ثلاثة آلاف حمل جمل في كل أسبوع، كلها حبوب ودقيق. القلزم: بلد قديم على طرف بحر الصين يابس عابس لآماء ولاكلأ ولازرع ولاضرع ولاحطب ولاشجر ولاعنب ولاثمر، يحمل إليهم الماء في المراكب، ومن موضع على بريد يسمى سويس على الجمال، ماء آجن ردي، ومن أمثالهم ميرة أهل القلزم من بلبيس، وشربهم من سويس، يأكلون لحم التيس، ويقدون سقف البيت، هي أحد كنف كة الدنيا مياه حماماتهم زعاق وحشة ملولة، والمسافة إليها صعبة، غير أن مساجدها حسنة وبها قصور جليلة ومتاجر مفيدة، هي خزانة مصر وفرضة الحجاز ومعونة الحاج، واشترينا يوما بدرهم حطبا فاحتجنا له بدرهم حطبا. وهذه الكورة غير طيبة ولا أرى في ذكر بقية مدانها فائدة.

العباسية: هي قصبة الريف، عامرة طيبة قديمة، شربهم من النيل موضع الريف والخصب، بنيانهم افرج من بنبان مصر، بها اعداد تحمل إليها وجامع حسن من الأجر، رفة سرية. المحلة الكبيرة: ذات جانبيين اسم الجانب الآخر سندفا، بكل جانب جامع، وجامع المحلة وسطها وجامع تلك على الشط لطيف، وهذه أعمار وبها سوق زيت حسن، والناس يذهبون ويجيئون في الزوارق، شبهتها بواسط دميرة: أيضا على الشط طويلة عامرة بها بطيخ نادر. الإسكندرية: قصبة نفيسة على بحر الروم، عليها حصن منيع، وهو بلد شريف كثير الصالحين والمتعبدين، شربهم من النيل يدخل عليهم أيام زيادته في قناة فيملاً صهاريجهم، وهي شامية الهواء والرسوم، كثيرة الأمطار، جامعة للاعداد، جليلة الرستاق، جيدة الفواكه والأعشاب طيبة نظيفة، بناؤهم من الحجارة البحرية، معدن الرخام وبها جامعان، وعلى جبابهم أبواب تغلق بالليل كيلا يصعد منها اللصوص. وسائر المدن عامرات طيبات وفي نواحيها خرنوب وزيتون ولوز ومزارع على البعل، وثم يصب النيل في بحر الروم وهي مدينة ذي القرنين ولها قصبة عجيبة.

الفسطاط: هو مصرفي كل قول لأنه قد جمع الدواوين، وحوى أمير المؤمنين. وفصل بين المغرب وديار العرب واتسع بقعته وكثر ناسه وتنتصر اقليمه وأشتهر اسمه وجل قدره فهو مصر مصر وناسخ بغداد ومفخر الإسلام ومتجر الأنام، وأجل من مدينة السلام. خزانة المغرب ومطرح المشرق وعامر الموسم ليس في الأمصار أهل منه، كثير الاجلة والمشايخ، عجيب المتاجر والخصائص حسن الأسواق والمعاش، إلى حماماته المنتهى، ولقياسيره لباقة وبهاء. ليس في الإسلام أكبر مجالس من جامع، ولا أحسن تجملا من أهله، ولا أكثر مراكب من ساحله. أهل من نيسابور وأجل من البصرة وأكبر من دمشق، به أطعمة لطيفة، وأدامات نظيفة، وحلاوات رخيصة، كثير الموز والرطب، غزير البقول والحطب. خفيف الماء، صحيح الهواء. معدن العلماء، طيب الشتاء. أهل سلامة وعافية، ومعروف كثير وصدقة. نغمتهم بالقرآن حسنة، ورغبتهم في الخير بينة. وحسن عبادتهم في الأفاق معروفة قد استراحوا من أذى الأمطار، وأمنوا من غاعة الأشرار. ينتقدون الخطيب والإمام ولا يقدمون إلا طيبا وإن بدلوا الأموال قاضيهم ابدا خطير، والمحاسب كالأمر، ولا ينفكون أبدا من نظر السلطان والوزير. ولولا عيوب له كثير، ما كان له في العالم من نظير. وهو نحو ثلثي فرسخ طبقات بعضها فوق بعض وكانت جانبيين الفسطاط والجزيرة ثم شق بعض الخلفاء من ولد العباس خليجا على قطعة منها فسميت تلك القطعة الجزيرة لأنها بين العمود والخليج وسمي خليج أمير المؤمنين، منه شربهم، ودورهم أربع طبقات وخمس كالمناير يدخل إليهم الضياء من الوسط، وسمعت أنه يسكن الدار الواحدة نحو مائتي نفس، وأنه لما صار إليها الحسن بن أحمد القرمطي خرج الناس إليه فرأهم مثل الجراد فهاله ذلك وقال ما هذا قيل هؤلاء نظارة مصر ومن لم يخرج أكثر. وكنت يوما أمشي على الساحل وأتعجب من كثرة المراكب الراسية والسائرة، فقال لي رجل منهم من أين أنت، قلت: من بيت المقدس، قال: بلد كبير أعلمك يا سيدي اعزك الله أن على هذا الساحل وما قد ألق منه إلى البلدان والقرى من المراكب ما لو ذهبت إلى بلدك لحملت أهلها وآلاتها وحجارتها وخشبها حتى يقال كان ههنا مدينة. وسمعتهم يذكرون أنه يصلي قدام الامام يوم الجمعة نحو عشرة آلاف رجل، فلم أصدق حتى خرجت مع المتسرة إلى سوق الطير فرأيت الأمر قريبا مما قالوا. وأبطأت يوما عن السعي إلى الجمعة، فالفيت الصوف في الأسواق على أكثر من ألف ذراع من الجامع، ورأيت القياسير والمساجد والدكاكين حوله مملوءة من كل جانب من المصلين، وهذا الجامع يسمى السفلاني من عمل عمرو بن العاص وفيه منبره، حسن البناء في حيطانه شيء من الفسيفس على أعمدة رخام أكبر من جامع في دمشق والإزدحام فيه أكثر من الجوامع الست، قد التفت عليه الأسواق إلا أن بينها وبينه من نحو القبلة دار الشط وخزائن وميضأة، وهو أعمار موضع بمصر، وزقاق القناديل عن يساره، وما يدريك ما زقاق القناديل، والجامع

الفوقاني من بناء بني طبلون أكبر وأبهى من السفلاني على أساطين واسعة مصهجة وسقوفه عالية، في وسطه قبة على عمل قبة زمزم فيها سقاية، مشرف على فم الخليج وغيره وله زيادات وخلفه دار حسنة ومنارته من حجر صغيرة درجها من خارج، والحد بين أسفل وفوق مسجد عبدالله قد بنى على مساحة الكعبة. ويطول الوصف بنعت أسواقه وجلالته، غير أنه أجل أمصار المسلمين وأكبر مفاخرهم وأهل بلدانهم، ومع هذه الكثرة اشتربت به الخبز الحواري ولا يخزون غيره ثلاثين رطلا بدرهم، والبيض ثمانية بدانق، والموز والرطب رخيص، يجيء أبدا إليه ثمرات الشام والمغرب، وتسير الرفاق إليه من العراق والمشرق، ويقطع إليه مراكب الجزيرة والروم، تجارته عجيبة ومعايشه مفيدة وأمواله كثيرة، لا ترى أحلى من مائه ولا أوطأ من أهله ولا أحسن من بهره ولا أبرك من نهريه إلا أنه ضيق المنازل كثير البراغيث عفن كرب البيوت قليل الفواكه مياه كدرة وآبار وضرة ودور قذرة وبق منتن وجرب مزمن ولحوم غزيرة وكلاب كثيرة ويمين فظيعة ورسوم وحشة. أبدا على خوف من القحط وانقطاع النهر وأشرف على الجلاء وتربص بالبلاء. لا يتورع مشايخهم عن شرب الخمر، ولا نساؤهم عن الفجور. للمرأة زوجان، وترى الشيخ سكران. وفي المذهب حزبان، مع سمرة وقبح لسان. والجزيرة خفيفة لأهل، الجامع والمقياس على طرفها عند الجسر مما يلي مصر. وفيها بساتين ونخيل ومنتزه أمير المؤمنين عند الخليج بموضع يسمى المختارة. يلي مصر. وفيها بساتين ونخيل ومنتزه أمير المؤمنين عند الخليج بموضع يسمى المختارة.

الجزيرة: مدينة خلف العمود كانت الطريق إليها من الجزيرة. علي جسر، إلى أن قطعه الفاطمي، بهاجامع وهي أكبر من الجزيرة، والجادة منها إلى المغرب، ويلقي الخليج العمود تحت الجزيرة عند المختارة. القاهرة: مدينة بناها جوهر الفاطمي لما فتح مصر وقهر من فيها. كبيرة حسنة بها جامع بهي وقصر السلطان وسطها، محصنة بأبواب محددة، على جادة الشام، ولا يمكن أحدا دخول الفسطاط إلا منها لأنهما بين الجبل والنهر، ومصلى العيد من ورائها والمقابر بين مصر والجبل. العزيزية: قد اختلت وخربت عامتها، وكانت مصر في القديم وبها كان ينزل فرعون، وثم قصره ومسجد يعقوب ويوسف. عين شمس: مدينة على جادة الشام، كثيرة المزارع بها مسد النيل أيام زيادته، جامعهم في السوق. المحلة: مدينة على نهر الإسكندرية، بها جامع لطيف وليس بها كثير أسواق، غير أنها عامرة نزيهة الشط حسنة النهر، يقابلها صندفا به جامع، عامرة شبهتها بواسط، إلا أنه ليس بينهما جسر يعبرون في المراكب. حلوان: مدينة من نحو الصعيد ذات مغاير ومقاطع وعجائب، بها حمام من فوقه حمام آخر. وسائر المدن على عمود النيل وخليجييه.

أسوان: قسبة الصعيد على النيل، عامرة كبيرة بها منارة طويلة ولها نخيل وكروم كثيرة وخيرات وتجارات وهي من الأمهات. إخميم: مدينة كثيرة النخيل على بعض شعب النيل، ذات كروم ومزارع، منها كان ذو النون الزاهد، وهذه الكورة أعلى أرض مصر وفيها يخرج النيل. الفيوم: جليل به مزارع الأرز الفائق والكتان الدون، ولها قرى سرية تسمى الجوهريات. العلاقي: مدينة في آخر الكورة على طريق عيذاب. وأما الواحات فإنها كانت كورة جليظة ذات أشجار ومزارع وإلى اليوم يوجد فيها صنوف الثمار وأغنام ونعم، قد توحشت متصلة بأرض السودان تمس طرف إقليم المغرب وبعض يجعلونها منه. تنيس: بين بحر الروم والنيل، بحيرة فيها جزيرة صغيرة قد بنيت كلها مدينة وأي مدينة هي بغداد الصغرى، وجبل الذهب ومتجر الشرق والغرب، أسواق ظريفة وأسماك رخيصة وبلد مقصودة ونعم ظاهرة وساحل نزيه وجامع نفيس وقصور شاهقة ومدينة مفيدة رقيقة، إلا أنها في جزيرة ضيقة والبحر عليها كحلقة ملولة قذرة، والماء في صهاريج مغلقة، أكثر أهلها قبط، والبلاذات تطرح إلى الطرق، وبها يعمل الثياب والأردية الملونة، وثم موضع قد نضد فيه موتى الكفار بعض على بعض، ومقابر المسلمين وسط البلد. دمياط: تسير في هذه البحيرة يوما وليلة، ربما لقيك ماء حلو وأزقة ضيقة، إلى مدينة أخرى، وهي أطيب وأرحب وأوسع وأفسح وأحزب وأكثر فواكه وأحسن بناء وأوسع ماء وأحذق صناعا وأرفع بزأ وأنظف عملا وأجود حمامات وأوثق جدارات وأقل اذايات من تنيس، عليها حصن من الحجارة كثيرة الأبواب، وفيها رباطات كثيرة حزبة ولهم موسم كل سنة يقصدها المرابطون من كل جانب، وبحر الروم منها على صيحة، دور القبط على ساحله، وثم يفيض النيل في البحر. شطا: قرية بين المدينتين على البحيرة يسكنها القبط وإليها ينسب هذا البز. طحا: قرية بالصعيد يعمل بها ثياب الصوف الرفيعة، ومنها كان الفقيه الإمام أبو جعفر الأزدي. ويصنع ببهنسة الستور والأنماط، والكتان الرفيع مزارعه ببوصير.

جمل شؤون هذا الإقليم

هذا إقليم إذا أقبل فلا تسأل عن خصبه ورخصه وإذا أجدب فعنود بالله من قحطه، يمد سبع سنين حتى يأكلون الكلاب ويقع فيهم الوباء المبرح، أشد حرا من سواحل الشام ويبرد في طوبه بردا شديدا، به نخيل كثيرة وعامة ذمته نصارى يقال لهم القبط ويهود قليل، كثير المجذمين وبيت الجرب لأنه عفن وأكثر أدمهم السمك.

وعلى مذاهب أهل الشام غير أن أكثر فقهاءهم مالكيون، ألا ترى أنهم يصلون قدام الإمام ويربون الكلاب، وأعلى القصبة وأهل صندفا شيعية، وسائر المذاهب بالفسطاط موجودة ظاهرة، وثم محلة الكرامية وجبله للمعتزلة والحنبلية والفتيا، اليوم على مذاهب الفاطمي التي نذكرها في إقليم المغرب.

والقراءات السبع فيه مستعملة غير أن قراءة ابن عامر أقلها، ولما قرأت بها على أبي الطيب بن غلبون قال: دع هذه القراءة فإنها عتمقة، قلت: قيل لنا عليكم بالعتيق، قال: فعليك بها، وقرأت عليه لأبي عمرو فكان يأمرني بتفخيم الراء من مريم والتورية، والغالب عليهم والمختار عندهم قراءة نافع، وسمعت شيخا في الجامع السفلاي يقول ما قدم في هذا المحراب أمام قط إلا وهو يتفقه لمالك ويقرأ لنافع غير هذا يعني ابن الخياط، قلت: ولم ذلك، قال: لم نجد أطيّب منه وكان شفيعيا لم أبو عمريا لم أر في الاسلام أحسن نعمة منه. لغتهم عربية غير أنها ركيكة رخوة، وذمتهم يتحدثون بالقبطية.

وهو بلد التجارات يرتفع منه أديم جيد صبور على الماء ثخين لين، والبطان الحمر والهملختات والمثلث هذا من مصر، ومن الصعيد الأرز والصوف والتمور والخل والزبيب، ومن تنيس لا دمياط الثياب الملونة، ومن دمياط القصب، ومن الفيوم الأرز وكتان دون، ومن بوصير قريديس الكتان الرفيع، ومن الفرما الحيتان ومن مدنّها القفاف والحبال من الليف في غاية الجودة ولهم القباطي والأزر والخيش والعباداني والحصر والحبوب والجلبان ودهن الفجل والزنبق وغير ذلك.

الخصائص ولا نظير لأقلامهم وزاجهم ورخامهم وخلهم وصوفهم وخيشهم وبزهم وكتانهم وجلودهم وحذوهم وهملختاتهم وليفهم ووزهم وموزهم وشمعهم وقدهم ودقهم وصيغهم وريشهم وغزلهم واشنانهم وهريستهم ونيديتهم وحمصهم وترمسهم وقرطهم وقلقاسهم وحصرهم وحمزهم وبقرهم وحزمهم ومزارعهم ونهرهم وتعبدهم وحسن نغمتهم وعمارة جامعهم وحالومهم وحيسهم وحيثانهم ومعايشهم وتجاراتهم وصدقاتهم كل ذلك في غاية الجودة. وقد أجمع بها من خصائص فلسطيني القلقاس وهو شيء على قدر الفحل المدور عليه قشر وفيه حدة يقلى بالزيت ويطرح في السكبا، والموز وهو على مقدار الخيار عليه مزود رقيق يقشر عنه ثم يؤكل له حلاوة وعفوصة، والجميز وهو أصغر من التين له ذنب طويل، والترمس وهو على قدر الظفر يابس مر يحلى ويملح، والنبق وهو على قدر الزعرور فيه نواة كبيرة حلو وهو ثمرة شجرة السدر، ويزيدون عليهم بالنيدة وهي السمونا غير إنه عجيب الصنعة يبسط على القصب حتى يجف وينعك، ودهن البلسان من نبت ثم.

والنقود القديمة المثقال والدرهم ولهم المزبقة خمسون دينار ويكثرّون التعامل بالراضي وقد غير الفاطمي النقود إلا هذين وأبطل القطع والمثاقيل.

والمكايل الويبة وهي خمسة عشر منا والأردب ست وبيات والتليس ثمان وهي بطالة.

والرسوم بجوامع هذا الإقليم إذا سلم الإمام كل يوم صلاة الغداة وضع بين يديه مصحفا يقرأ فيه جزءا ويجتمع الناس عليه كما يجتمع على المذكرين، ولهم أذان ينفردون به على طريق النياحة ثلث الليل الأخير وله قصة يأترونها، وبين العشائين جامعهم مغتص بحلق الفقهاء وائمة القراء وأهل الأدب والحكمة، ودخلتها مع جماعة من المقادسة فرما جلسنا نتحدث فنسمع النداء من الوجهين دوروا وجوهكم إلى المجلس فننظر فإذا نحن بين مجلسين، على هذا جميع المساجد، وعددت فيه مائة وعشرة مجالس، فإذا صلوا العشاء أقام البعض إلى ثلث، وأكثر سوقهم إذا رجعوا من الجامع، ولا ترى أجل من مجالس القراء به، وبه مجلس للمتلعبين ولهم إجراء ويضربون على جوامعهم شراعات وقت الخطبة مثل البصرة، ويخلو أسواقهم أيام الجمع. قل ما يلبسون ثوبا غسिला أو نعلا قد امتعطت، ولا يكثرّون أكل اللحم، ويكثرّون الإشارة في الصلاة والنخ والمخاط في المساجد ويجعلونه تحت الحصر، ويخيزون في الرساتيق، وقت البيادر ما يكفيهم إلى عام قابل ثم يبيسونه ويخيزونه، ولهم باذهنجات مثل أهل الشام، أهل تجمل وتردد وتملق يمينهم الكبرى ورأس الله والصغرى وحق علي، يجبون رؤوس السمك ويقال أنهم إذا رأوا شاميا قد اشترى سمكا اتبعوه فإذا رمى رؤوسها أخذوها، يكثرّون أكل الدالينس أقدر شيء حيوان بين زفتين صغيرتين يفلقان ويحسى مثل المخاط.

ومن عيوبهم ضعف قلوبهم وقلة ثمارهم، وأهل الشام أبدا يعييونهم ويسخرون منهم يقولون مطر أهل مصر الندى، وطيهرهم الحداء، وكلامهم يا سيدي رخو مثل النساء، اعزك الله ما لك كذا، أكلهم الدالينس ونقلهم الحمص وجبنهم الحالم وحلواهم النيدة وقطائهم الخنازير ويمينهم كفر.

وأما النيل فلم أذق ولا سمعت أن في جميع الدنيا ماء أحلى منه إلا نهر المنصورة، وزيادته من شهر بونه إلى شهر توت وقت عيد الصليب، ولهم سدان أحدهما بعين شمس ترعة تسد بالحلفاء والتراب قبل زيادته، فإذا أقبل الماء رده السد وعلا الماء على الجرف أعلى القصبه فيسقي تلك الضياع مثل بهتيت والمنيتين وشيرو ودمنهوور وهو سد خليج أمير المؤمنين، فإذا كان يوم عيد الصليب وقت انتهاء حلاوة العنب، خرج السلطان إلى عين شمس فأمر بفتح هذه الترعة، وقد سد أهل الجرف أفواه أنهارهم حتى لا يخوج الماء منها وجعلوا عليها الحراس فينحدر الماء إلى ضياع الريف كلها، والترعة الأخرى أسفل من هذه وأعظم غير أن السلطان لا يحضرها ويبين بفتحها نقصان في النيل وهي بسردوس. والمقياس بركة وسطها عمود طويل فيه علامات الأذرع والأصابع وعليه وكيل وأبواب محكمة، يرفع إلى السلطان في كل يوم مقدار ما زاد، ثم ينادي المنادي زاد الله اليوم في النيل المبارك كذا وكذا، وكانت زيادته عام الأول في هذا اليوم كذا وكذا وعلى الله التمام، ولا ينادي عليه إلا بعد أن يبلغ إثني عشر ذراعا إلا ما يرفع إلى السلطان حسب، والإثنا عشر ما يعم ضياع الريف، فإذا بلغ أربعة عشر سقى أسفل الإقليم، فإذا بلغ ستة عشر استبشر الناس وكانت سنة مقبلة، فإن جاورها كان خصب وسعة. فإذا نضب الماء أخذوا في الحرث والبذر وفي أيام زيادته تتحرر مصر حتى لا يمكن الذهاب من هذه الضيعة إلى الأخرى إلا في الزواريق في بعض المواضع. وقد كانت له سنة سوء في القديم على ما حدثنا أبو ياسر مسافر بن عبد الله الأنصاري، قال: حدثنا يوسف بن علي، قال: حدثنا المأمون، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: أخبرنا أبو صالح عن ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج، قال: لما افتتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص حين دخل بونه، فقالوا: أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجري ألا بها إذا كانت إثنا عشرة ليلة من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أوبوها، فارضيها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ثم القيناها فيه، فقال لهم عمرو: هذا ما لا يكون أبدا، أن الإسلام يهدم ما قبله، فأقاموا ذلك الشهر وشهرا آخر وشهرا آخر لا يجري فيه النيل بقليل ولا بكثير حتى هموا بالجلاء، فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك فكتب إليه إنك قد أصبت بالذي فعلت، وإن الإسلام ليهدم ما قبله، فبعث ببطاقة في داخل كتابه وكتب إلى عمرو أنني قد بعثت إليك بطاقة فألقها في النيل، فلما قدم الكتاب افتتحه ونظر فإذا في البطاقة من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد فإن كنت إنما تجري من قبلك فلا تجر وإن كان الله الواحد القهار الذي يجريك فنحن نسأله تعالى أن يجريك. فألقاها قبل الصليب وقد تهبأ أهلها للجلاء فاصبحوا يوم الصليب وقد اجراه الله ستة عشر ذراعا، وقطع الله تلك السنة السيئة عنهم إلى اليوم. ويكدر ماؤه أيام زيادته فيلقون فيه نوى المشمش المرضوض ليصفو ويبرد أيام البرد نحو شهرين، وكنت يوما في مجلس الحلبي بالجامع فأتى بكوز ماء فشرب منه ثم قال: قد استوينا معكم يا مقدسي في الماء، قلت: ولا سواء أيد الله الفقيه برد مائنا دائم وهذا عارض. ولهم مشارع على الشط يحملون منها الماء في الروايا ويصعدن كل طبقة بنصف دانق مزبقة. وإذا هبت ريح الشمال تراكضت أمواج البحر ودفعت ماء النيل من البحيرة، فإذا هبت الجنوب ردت ماء البحر عن البحيرة وغلب عليها النيل وملأ أهل تنيس صهاريجهم في تلك الأشهر الأربعة بالروايا والقرب وسمعت جماعة بالفارما يذكرون أن النيل ربما بلغ المناير، ويصل النيل أيضا إلى قصبه الاسكندرية ويدخلها في شباك حديد فيملون صهاريجهم ثم ينقطع. وفي النيل دابة تسمى التمساح على شبه الحرذون رأسه ثلث بدنه لا يعمل فيه السلاح إلا تحت ابطيه وفمه يختطف الانسان وأكثر ما يظهر بالصعيد وسردوس، ومن أمثالهم إحذر سردوس ولو كان الماء في قادوس، والقادوس كوز الدولاب. وكنت يوما في سفينة عند سردوس فحككت فقلت بأالأرض حككت قيل لا ولكن بظهر تمساح. ولم يكن النيل يبلغ الفيوم فشكوا ذلك إلى يوسف عم فبنى وسط النهر سدا عظيما وجعل في أسفله منافس في قتي زجاج، فرد السد الماء فارتفع حتى حاذى أرض الفيوم فسقاها فهي اليوم أكثر أرض مصر ماء، ألا ترى أن بها مزارع الأرز.

أولا ترى إلى ثقل خراجها وكثرة دخلها والماء حين زيادته ينهال من فوق السد فربما خلوا المراكب مع الجرية فانحدرت سالمة وربما عطفت فانقلبت فإذا استغنوا عن الماء فتحت المنافس وانحط الماء. وكلما قرب إلى النيل من الأبار حلوة وما بعد كريمة، وأطيب الحمامات ما كان على الشط، ولهم قنى تدخل البلد يستقي لها الماء بالدواليب، وعلى النيل أيضا دواليب كثيرة تسقي البساتين وقت نقصانه، وماء الفيوم حار لأنه يجري على مزارع الرز. ولا ترى إلى ثقل خراجها وكثرة دخلها والماء حين زيادته ينهال من فوق السد فربما خلوا المراكب مع الجرية فانحدرت سالمة وربما عطفت فانقلبت فإذا استغنوا عن الماء فتحت المنافس وانحط الماء. وكلما قرب إلى النيل من الأبار حلوة وما بعد كريمة، وأطيب الحمامات ما كان على الشط، ولهم قنى تدخل البلد يستقي لها الماء بالدواليب، وعلى النيل أيضا دواليب كثيرة تسقي البساتين وقت نقصانه، وماء الفيوم حار لأنه يجري على مزارع الرز.

وهم يقولون أن الجدي أول ما يولد يقول أخرجوا يا غرباء، وبالاسكندرية سمك مخطط يسمى الشرب، من أكل منه رأى منامات وحشة إلا أن يكون ممن يشرب الخمر فإنه لا يضره. وبالفارما طير السماني من أكل منه زمن وتعقدت مفاصله. من

واظب في الفسطاط على أكل السمك جرب جربا لا يفارقه سبع سنين. وبه جبل فيه معدن الذهب، ولهم معادن زاج الحبر لا ترى مثله، وطين يسمى الطفل، وفي المقطم مقاطع حجارة بيض حسنة تنشر كما ينشر الخشب.

وبه مشاهد قد قال بعض المفسرين أن الربوة ذات قرار ومعين هي مصر، وقد كان عيسى ومريم بها مدة. وطور سيناء قريب من بحر القلزم يخرج إليه من قرية تسمى الأمن، وهو الموضع الذي خرج فيه موسى وبنو إسرائيل. وثم إثننا عشرة عينا عذيبية، الطور منه على يومين فيه دير للنصارى ومزارع كثيرة، وثم زيتونة يزعمون أنها التي لها قال الله لا شرقية ولا غربية يحمل زيتها إلى الملوك. وبالفسطاط الموضع الذي بيع فيه يوسف عم، وبالمقطم مواضع يفضلونها وصوامع يقصدونها ليالي الجمع، وعلى صيحة من الفسطاط موضع يسمى القرافة فيه مسجد وسقايات حسنة وخلق من العباد وموضع خلوة وسوق لطلاب الآخرة وجامع حسن، ومقابرهم في غاية الحسن والعمارة ترى البلد غبراء والمقابر بيضا ممتدة على طول المصر، فيها قبر الشافعي بين المزني وأبي إسحاق المروزي، والموضع الذي دخل منه بنو إسرائيل البحر عند القلزم، ويقرب سردوس مسجد الخضر عم، وتيه بني إسرائيل فيه خلاف والصحيح أنه بين مصر والشام يكون نحو أربعين فرسخا رمال وسبخا وسماق وفيه نخيل وعيون له حد متصل بالجفار وآخر بطور سيناء وحد المفازة الريف من نحو القلزم وحد بالشام وفيه طريقهم إلى مكة.

وفيه عجائب منها الهرمان اللذان هما أحد عجائب الدنيا من حجارة شبه عماريتين ارتفاع كل واحدة أربعمئة ذراع بذراع الملك في عرض مثلها، قد ملئت بكتابة يونانية وفي داخلهما طريقان إلى أعلاهما وطريق تحت الأرض نبيه موضوعة في الرمال، وسمعت فيهما أنبياء مختلفة، فمنهم من قال هما طلسمان ومنهم من قال كانتا أهراء يوسف وقيل بل كانت هي قبورهم، وقرأت في كتاب ابن الفقيه انهما للرمال المحبوس، ويقال مكتوب عليهما أني بنيتهما فمن كان يدعي قوة في ملكه فليهدمهما فإن الهدم أيسر من البناء، فأراد بعض الملوك هدمهما فإذا خراج مصر لا يقوم بهدمهما فتركهما، وهما أملسان مثل العماريتين يريان من مسيرة يومين وثلاثة، لا يصعد فوقهما إلا كل شاطر، وحولهما أمثالهما عدة صغار وهذا يدل على أنها مقابر، ألا ترى إلى ملوك الديلم بالري كيف اتخذوا على قبورهم قبابا عالية وأحكموها جهدهم وعلوها طاقتم كيلا تندرس ومن دونهم أصغر منها، وثم صنم يزعمون أن الشيطان كان يدخله فيكلمه حتى كسر أنفه وشفته. وبعين شمس شبه منارتين طوليتين قطعة واحدة على رأسهما شبه حربة تسميان المسلتين، وثم أيضا على هذا العمل دونهما وسمعت فيهما أشياء لا يقبلها العقل، وقرأت في كتاب الطلسمات أنهما طلسمان للتماسيح، ويجوز هذا ألا ترى أن التماسيح في كورة الفسطاط لا تضر مع عظمتها وكثرتها. وفي الفسطاط عند قصر الشمع امرأه ممسوخة على رأسها سفلى من حجر يقال أنها كانت غسالة لآل فرعون وأنها أدت موسى فمسخت. على طريق الصعيد بيوت تسمى البرابي فيها تصاوير كثيرة وبها وبالهرمين عقود وطروح كثيرة. بحلوان مغاير عجيبه منكرة يتبه الإنسان فيها وذكروا أن فيها طريقا إلى القلزم أملس كأنما أجري عليهما الماء المالح. منارة الإسكندرية قد أرسى أساسها في شبه جزيرة صغيرة يدخل إليها في طريق ضيقة بالصخر محكمة، فالماء يسطع المنارة من جانب الغرب وكذلك حصن المدينة، إلا أن المنارة في جزيرة وفيها ثلاثمائة بيت يصعد إلى بعضها الفارس بفرسه وإلى كلها بدليل، وهي مشرفة على جميع مدن البحر، ويقال أنه كان فيها مرآة يرى فيها كل مركب أفلح من سواحل البحر كلها، وأنه ما زال عليها قيم ينظر فيها كل يوم وليلة فإذا تريا له مركب أعلم الأمير فانفذ الطيور إلى السواحل ليكونوا على عدة، فيعث كلب الروم من احتال وتلطف حتى جعل قيما ثم ذهب بها وقيل بل كسرهما وطرحهما في البحر. وفي كتاب الطلسمات أنها بنيت طلسمًا لئلا يغلب ماء البحر على أرض مصر، وأن كلب الروم احتال في هدم رأسها من أجل ذلك فلم يصل إليه. بالجفار طلسم للرمال حتى لا تغلب على المدن والقرى، ولا تكون الطلسمات إلا بمصر والشام ويقال هي من عمل الأنبياء ورأيت بفارس أيضا طلسمات.

وأسماء شهورهم القبطية أول الشتوية: توت وفيه النيروز، بابه، هتور، كيهك، طوبه، أمشير. والصفية: برمها، برمودة، بشنس، باونه، أ بيب، مسرى. وأما وضعه فإن بحر الروم على تخومه الشمالية وبحر الصين يمد على ثلثيه من قبل الشرق، وهذان الثلثان صفوف خمسة، صف بين البحر والجبل يابس والصف الثاني جبل المقطم والصف الثالث الصعيد يقع فيه النيل وما عليه من البلدان والصف الرابع جبل أيضا خلفه كورة الواحات. وطول مصر من بحر الروم إلى النوبة أقل من شهر وعرضه من الجنوبي ثمانى مراحل ومن الشمالي اثنتا عشرة وللدخلة فيه عند بحر القلزم أربع مراحل.

وأما الولايات فللفاطمي وهم في عدل وامن لأنه سلطان قوي غني والرعية في راحة، وثم سياسة ونفاذ امر وكل سامع مطيع من الأركان سرا وعلانية لا يخطب إلا لأمر المؤمنين حسب.

وأما الدخل فقرأت في كتاب الخراج لقدامة بن جعفر فإذا هو يذكر أن دخل مصر من العين ألفا الف وخمسمائة الف دينار. وقرأت في كتاب ابن الفقيه لونا آخر وقضية طويلة يذكر دخله أيام فرعون ثم أيام الحجاج وأيام ولد العباس ويسميه خراجا. وسألت بعض المصريين ببخارا عن الخراج فقال: ليس على مصر خراج ولكن يعمد الفلاح إلى الأرض فيأخذها من السلطان ويزرعها، فإذا حصد ودرس وجمع رشمت بالعرام وتركت، ثم يخرج الخازن وأمين السلطان فيقطعون كرى الأرض ويعطي ما بقي للفلاح. قال: وفيهم من يأخذ من السلطان تقوية فيزداد عليه في كرى الأرض بمقدار ما اقتطعه، قلت: فلا يكون لأحد ثم ملك وضيعة، قال: لا اللهم إلا أن يكون رجل قد اشترى مفن أقطعه السلطان في القديم ووهبها فاحتاج هو أو ذريته إلى ثمنها فباعها لعامة الناس، قلت: فهذا الذي يقال أن أرض مصر لا تملك لأن أهلها باعوها من يوسف عم، قال: هذا ألم تعلم أن الإسلام يهدم ما قبله أولم تعلم أن يوسف عم رد على الناس أملاكهم لما أخصبت مصر وأما هذا شيء صالحوا عليه المسلمين وقت فتوحها، قلت: فلم لم يصلحوا كما صالح أهل الشام وكلاهما فتحا عنوة، قال: الشام بلد يطر في كل سنة فلا يتعطل الزرع فيه إلا أنه ربما أخصب وربما أجذب، ومصر معولة على النيل ربما لا جري وربما بلغ أربعة عشر وستة عشر وربما زاد على ذلك والأمر في جريانة شديد التفاوت، فلو فرض عليه الخراج لزم أن يؤديه من أمكنه أن يزرع ومن لا يمكنه.

أما الضرائب فتقيلة بخاصة تنيس ودمياط وعلى ساحل النيل، وأما ثياب الشطوية فلا يمكن القبطي أن ينسج شيئا منها إلا بعد ما يختم عليها بختم السلطان، ولا أن تباع إلا على يد سماسرة قد عقدت عليهم، وصاحب السلطان يثبت ما يباع في جريدته ثم تحمل إلى من يطويها ثم إلى من يشدها بالفتش ثم إلى من يشدها في السفط وإلى من يحزمها، وكل واحد منهم له رسم يأخذه ثم على باب الفرضة يؤخذ أيضا شيء وكل واحد يكتب على السفط علامته ثم تفتش المراكب عند إقلاعها. ويؤخذ بتنيس على زق الزيت دينار ومثل هذا وأشباهه ثم على شط النيل بالفسطاط ضرائب ثقلا. رأيت بساحل تنيس ضرائبيا جالسا قيل قبالة هذا الموضع في كل يوم ألف دينار ومثله عدة على ساحل البحر بالصعيد وساحل الاسكندرية، وبالاسكندرية أيضا على، مراكب الغرب، وبالفرما على مراكب الشام، ويؤخذ بالقلزم من كل حمل درهم.

وأما المسافات فتأخذ من الفرما إلى البقارة مرحلة ثم إلى الوردية مرحلة ثم إلى العريش مرحلة ثم إلى رفح مرحلة. ويؤخذ في الصيف من الفرما إلى خرجير مرحلة ثم إلى فاقوس مرحلة، وفي الشتاء من الفرما إلى الرصد مرحلة ثم إلى فاقوس مرحلة. وتأخذ من الفرما في الماء إلى تنيس مرحلة ثم إلى دمياط مرحلة ثم إلى المحلة الكبيرة مرحلة ثم إلى الإسكندرية مرحلتين. وتأخذ من دمياط إلى سردوس في مرحلة ثم إلى الفسطاط مرحلة. وتأخذ من بلبيس إلى المنصف مرحلة ثم إلى القلزم مثلها. وتأخذ من الفرما إلى دير النصرى ذات الساحل مرحلة ثم إلى المخلصة مرحلة ثم إلى العريش مرحلة. ومن بلبيس إلى الفسطاط مرحلة. وتأخذ من الإسكندرية إلى الراقفة مرحلة ثم إلى كوم شريك مرحلة ثم إلى ترنوط مرحلة ثم إلى ذات السلاسل مرحلة ثم إلى الفسطاط مرحلة. وتأخذ من الإسكندرية إلى بومينه مرحلة ثم إلى سفا مرحلة ثم إلى ارمسا برابين ثم إلى ذات الحمام مرحلة. وتأخذ من الاسكندرية إلى الغاضرة مرحلة ثم إلى فاقوس مرحلة. وتأخذ من الفسطاط إلى بلبيس مرحلة ثم إلى المنصف مرحلة ثم إلى القلزم مرحلة. ومن القلزم إلى جدة في البحر من يوما إلى على قدر الريح وهي فرسخ. وتأخذ من الجب إلى البويب مرحلة ثم إلى منزل ابن بندقة مرحلة ثم إلى عجروود مرحلة ثم إلى المدينة مرحلة ثم إلى الكرسي مرحلة ثم إلى الحفر مرحلة ثم إلى ويلة مرحلة. من أسوان إلى عيذاب طريق آمنة لا انعتها.

إقليم المغرب

هذا إقليم بهي، كبير سري، كثير المدن والقرى، عجيب الخصائص والرخاء. به ثغور جليلة وحصون كثيرة ورياض نزهة وبه جزائر عدة مثل: الأندلس الفاضلة العجيبة وتاهرت الطيبة النزيهة وطنجة البلدة البعيدة، وسجلماسة المختارة الفريدة. واصقلية الجزيرة المفيدة. أهلها في جهاد دائم، ثم الغنى فيه سالم. به كالبصرة مدن عدة ولهم أيضا في الخير رغبة، وللسلطان عدل ونظر وحسبه. متصل بالبحر خير جار، وخير قوم لكل سائر ومار. قد غاب في الزيتون مدنه، وبالتين والكرمات أرضه. يجري خلالها الأنهار، ويملا غيطانها الأشجار. إلا أنه بعيد الأطراف كثير المفاوز صعب المسالك كثير المهالك. في زاوية الإسلام موضوع، وبعضه خلف البحر مقطوع. فلا فيه راغب، ولا له ذاهب. ولا عنه سائل، ولا يفضل قائل. لم يخرج عالما مذكورا، ولا زاهدا مشهورا. إلا القليل تقاء وإن كانوا مستورين، بخلاء وإن كانوا منعمين. وهذا شكله ومثاله.

وقد جعلنا المغرب مع الأندلس كهيكل وخراسان غير انا لم ندخل الأندلس فنكورها. فأول كورة من قبل مصر برقة ثم إفريقية تم تاهرت تم سجلماسة ثم فاس ثم السوس الأقصى ثم جزيرة إصقلية تقابل إفريقية والأندلس وراء البحر على أرض الروم وناحيتان لفاس طنجة والزاب.

فأما برقة فاسم القصبية أيضا ومن مدنها: ذات الحمام، رمادة، أطرابلس، أجدابية، صبرة، قابس، غافق.

وأما إفريقية فقصبيتها القيروان ومن مدنها: صبرة، أسفاقس، المهديّة، سوسة، تونس، بنزرت، طبرقة، مرسى الخرز، بونة، باجة، لريس، قرنة، مرنيسة، مس، بنجد، مرماجنة، سببية، قمودة، قفصة، قسطيلية، نفاوة، لافس، أؤذنة، فلانس، قبيشة، رصفة، بنونش، لجم، جزيرة أبي شريك، باغاي، سوق ابن خلف، دوفانة، المسيلة، أشير، سوق حمزة، جزيرة بني زغناية، متيجة، تنس، دار سوق إبراهيم، الغزة، قلعة برجمة، باغر، يلل، جبل زالاغ، أسفاقس، منستير، مرسى الحجامين، هياجة، باغر، غبيث، قرية الصقالية، لريس، مرسى الحجر، جمونس الصابون، طرس. قسطيلية، نفطة، بنطيوس تقيوس، مدينة القصور، مسكيانة، باغاي، دوفانة، عين العصافير، دار ملول، طبنة، مقرة، تيجس، مدينة المهريين، تامسنت، دكما، قصر الإفريقي، ركوى، القسطنطينية، ميلى، جيجل، تابریت، سطيف، إيكجا، مرسى الدجاج، أشير.

وأما تاهرت فهي اسم القصبية أيضا ومن مدنها: يممة، تاغليسية، قلعة ابن الهرب، هزارة الجعبة، غدير الدروع، لماية، منداس، سوق ابن حبلّة، طماطة، جبل تجان، وهران، شلف طير، الغزة، سوق إبراهيم، ورهباية، البطحة، الزيتونة، تمما، يعود الخضراء، واريفن، تنس، قصر الفلوس، بحرية، سوق كرى، منجصة، أوزكي، تبرين، سوق ابن مبلول، ربا، تاويلت أبي مغول، تامزيت، تاويلت أخرى، لغوا، فكان.

وأما سجلماسة فهي اسم القصبية أيضا ولها سم المدن: درعة، تادنقوست، أثر، ايل، ويلميس، حصن ابن صالح، النحاسين، حصن السودان، هلال أمصلى، دار الأمير، حصن برارة، الخيامات، تازروت.

أما فاس فإن أهلها ولدانهم علوق وهي اسم المصبية أيضا وتسمى الكورة السوس الأدنى ومن مدنها: البصرة، زلول الجاحد، سوق الكتامي، ورغة، سبوا، صنهاجة، هواره، تيزاء، مطمطة، كزناية، سلا، مدينة بني قرياس، مزحاحية، أزيلا، سبتا، بلد غمار، قلعة النسور، نكور، بلش، مرنيسة تابريدا، صاع، مكناسة، قلعة شميت، مدائن برجن، أوزكي، تيونوا، مكسين، امليل، املاه أبي الحسن، قسطينة، نفاوة، نقاوس، بسكرة، قبيشة، مدينة بني زحيق، لواتة عبدالله، لواتة بركية، أكار ابن شراك، مدينة جبل زالاغ. وناحيتها طنجة مدنها: ليلية، مدركة، متروكة، زقور، غزه، غميرة، الحاجر، تاجرأجر، البيضاء، الخضراء. والزاب مدينتها المسيلة ولها: مقرة، طبنة، بسكرة، بادس، تهوذا، طولقا، جميلا، بنطيوس، أدنة، أشير.

وأما السوس الأقصى فقصبيتها طرفانة ومن مدنها: أغمات، ويلا، وريكة، تندلي، ماسة، وغيرهن.

وأما إصقلية فقصبيتها بلرم ومن مدنها: الخالصة، اطرابنش، مازر، عين المغطا، قلعة البلوط، جرجنت، بثيرة، سرقوسة، لنتيني، قطانية، الباج، بطرنوا، طيرمين، ميقتش، مسينة، رمطة، دمنش، جاراس، قلعة القوارب، قلعة الصراط، قلعة أبي ثور، بطرلية، ثرمة، بورقاد، قرليون، قرينش، برطنيق، اخياس، بلجة، برطنة.

وأما الأندلس فنظيرها هيطل من جانب المشرق، غير إنا لا نقف على نواحيها فنكررها، ولم ندخلها فنقسمها، ويقال أنها ألف ميل، وقال ابن خرداذبة الأندلس أربعون مدينة يعني المشهور منها لأن أحدا لم يسبقنا إلى تفصيل الكور ووضع القصبات. فبعض المدن التي ذكر قصبات على قياس ما رتبنا. وسألت بعض العقلاء منهم على الرسائل المحيطة بقرطبة والمنسوبة إليها والمدن، فقال: إنا نسمى الرستاق اقليما فالاقليم المحيطة بقرطبة ثلاثة عشر مع مدنها فذكر: أرجونة، قسطلة، شوزر، مارتش، قنبانش، فج ابن لقبط، بلاط مروان، حصن بلكونة، الشنيدة، وادي عبد الله، قرسيس، المائدة، جيان، وعلى ما دل آخر الاسم هي ناحية مدنها: الجفر، بيغوا، مارتش، قانت، غرناة، منتيشة، بياسة. وسائر مدن الأندلس المذكورة: طرطوشة، بلنسية، مرسية، بجانة، مالقة، جزيرة جبل طارق، شذونة، إشبيلية، أخصنبية، مرية، شنترين، باجة، لبلّة، قرمونة، مورور، إستجة.

برقة: قصبية جلييلة عامرة نفيسة كثيرة الفواكه والخيرات والاعسال مع يسار.

وهي ثغر قد أحاط بها جبال عامرة ذات مزارع على نصف مرحلة من البحر في هوية، قد أحاط بها تربة حمراء شربهم من آبار وما يحوونه من أمطار في جباب، وهي على جادة مصر يحسنون إلى الغرباء أهل خير وصلاح وأقل انقلاب من غيرهم. أطرابلس: مدينة كبيرة على البحر مسورة بحجارة وجبل، لها باب البحر وباب مجوف وباب الغرب. شربهم من آبار وماء مطر. كثيرة الفواكه والانجاص والتفاح والألبان والعسل واسمها كبير. أجدابية: عامرة بنيانهم حجارة، على البحر وشربهم من الأمطار، وسرت كذلك ولهما بواد وشعاري. صبرة: في بادية وهي حصينة، بها نخيل وتين شربهم من ماء المطر. قابس: أصغر من طرابلس، لهم واد جرار وبنيانهم من الحجارة والأجر، كثيرة النخيل والأعشاب والتفاح، مسورة باديتهن برابر، ولها ثلاثة أبواب. غافق: ناحية واسعة كثيرة القرى وأسواق على أيام الجمعة، بحرية ومن الناس من ينسبها إلى إفريقية. ذات الحمام: مدينة عمرت من قريب، وسمعت عن يسأل أبا العباس ابن الراعي عنها، ويقول: عمارتها أحد إمارات ظهور الفاطمي على مصر.

القيروان: مصر الإقليم، بهي عظيم حسن الاخياز جيد اللحوم قد جمع اضداد الفواكه، والسهل والجبل والبحر والنعم، مع علم كثير ورخص عجيب، اللحم خمسة إمناء بدرهم والتين عشرة ولا تسأل عن الزبيب والتمر والأعشاب والزيت. هي فرصة المغربيين ومنجر البحرين، لا ترى أكثر من مدنها ولا أرفق من أهلها، ليس غيرحنفي ومالكي مع ألفة عجيبة لا شغب بينهم ولا عصبية، لا جرم إنهم على نور من ربهم قد أقبلوا على ما يعينهم وارتفع الغل من قلوبهم، فهي مفخر المغرب ومركز السلطان وأحد الأركان، أرفق من نيسابور وأكبر من دمشق وأجل من أصبهان. إلا أن ماءهم ضعيف، وأدبهم طفيف، ولا فيها ظريف. الماء مخزون في مواجين، والضرائب موضوعة على أصحاب الدكاكين. تعيشهم في صبرة وأسواق المصر معطلة، والعوام كالانعام المرسلّة. لا تراويح تصلي، ولا بقي للفرقيين بها ما. تكون أقل من ثلاثة أميال في مثلها بلا سور، وشربهم من مواجين وصهاريج يجتمع فيها ماء المطر، وقد أجرى لهم المعز قناة من الجبل تملأ المواجين بعد ما تدخل قصره بصبرة. بنيانهم مدر وأجر ومواجين الزيت بها كثيرة. الجامع بموضع يسمى السماط الكبير وسط الأسواق في سرة البلد، أكبر من جامع ابن طيلون، باعمدة من الرخام مفروش، وباره الرخام، ومزاريبه رصاص، له باب السماط باب الصرافين باب الرهاندنة باب الفضوليين باب المأذنة باب الصباغين باب الحواريين باب سوق الخميس باب الميضأة باب الخاصة في التمارين ولهم باب اللحامين وسوق الرماحين، ودروبها خمسة عشر: درب الربيع درب عبدالله درب تونس درب أصرم درب أسلم درب سوق الأحد درب نافع درب الحذاءيين. صبرة: بناها الفاطمي أول ما ملك الإقليم، واشتق اسمها من صبر عسكريه في الحرب، وهي مدورة مثل الكأس لا ترى مثلها، ودار السلطان وسطها على " عمل مدينة السلام والماء يجري وسطها، شديدة العمارة حسنة الأسواق، بها جامع السلطان، وعرض سورها اثنا عشر ذراعاً منفصلة عن العمارة بينها، وبين المصر عرض الطريق، وتجارها يغدون ويروحون إليها من المصر على حمير مصرية، والأبواب: باب الفتوح باب زويلة باب وادي القصارين كلها محددة، والحيطان أجر مكحل بالجبل. أسفاق وسوسة: مدينتان بحريتان مسورتان بالحيل والحجر، شربهم من آبار وجباب. المهديّة: على البحر مسورة بالحجر والجبل، شربهم من آبار وجباب ماء المطر، هي خزنة القيروان ومطرح اصفلية ومصر، عامرة أهلة ومن أحب أن ينظر إلى القسطنطينية فليُنظر إليها ولا يتعنّى إلى بلد الروم فإنها على عملها في جزيرة يدخل إليها من طريق واحد مثل الشراك. بنزرد: مسورة بناؤهم حجر والجامع وسط البلد، ثم واد يجري مالح يدخل من بحيرة إلى جنب البحر ثم يرجع إليه، ويعدي فيه الناس في القوارب. طبرقة: بحرية يطل عليها جبل وقد خرب حصنها، والناس في الربض، شربهم من آبار وبها واد مالح. مرسى الخرز: مدينة في جزيرة على البحر يدخل إليها من موضع واحد، ومنها يرتفع المرجان لا معدن له غيرها ولا يخرج إلا من بحرها. بونة: بحرية مسورة، بها معدن حديد، شربهم من آبار. باجة: بين القيروان والبحر، كثيرة الحبوب والخيرات، وسطها عين وبها ماء جار. لريس: تحت جبل بورغ، فيها مزارع الزعفران، مسورة بحجارة، شربهم من آبار، وحولها وحول باجة أسواق ومواعيد يطول ذكرها. قرنة: تسمى باسم نهر فيها حلو، مسورة بحجارة. مرنيسة: غير مسورة بناءهم مدر، شربهم من آبار، كثيرة القرى واسعة الرستاق. قمودة: رستاق جليل اسم المدينة، جمونس الصابون، بناؤهم مدر وشربهم من آبار، كثير التين والزيتون واللوز، وبه قرية عظيمة تسمى خور الكاف. مرماجنة. كبيرة من عمل رستاق تيسا، شربهم من آبار، كثيرة الفواكه. قلانس: اسم رستاقها مكنة أبي منصور، كثيرة التين والزيتون والخيرات. قببشة: رستاق مدينته طرناسه وبه بنو العباس كثير قد غلبوا عليه، حسن السفرجل كثير الزيتون والتين، شربهم من آبار. رصفة: رستاق اسم مدينته بنونش تكون مثل الرملة، شربهم من آبار، بها ثلاثمائة وستون معصرة للزيت، بناؤهم مدر. جزيرة أبي شريك. في البحر لها اثنا عشر رستاقاً اسم مدينتها منزل باشو، بلا سور، بناؤهم مدر، وشربهم من آبار منها سقي مزارعهم كشيراز وسرخس. باغاي: كبيرة مسورة تحت جبل يمال له أوراس يجري إليهم منه ماء، كثيرة البساتين. سوق حمزة: مدينة في البحر، بناؤهم من الطوب، وشربهم من نهر وأعين. جزيرة بني زغاية: على ساحل البحر مسورة يعبر منها إلى الأندلس، ولهم عيون. متبجة: في مرج لهم ماء جار عليه أرحية، وشعبة من النهر تدخل الدور، كثيرة البساتين. هياجة: على اسم رستاقها وهو واسع كثيرة القموح. القسطنطينية: مدينة جاهلية على يومين من المصر.

ولولا خوف الملل وطول الكتاب لوصفت بقية مدائن افريقية وأكثر مدائن الكور في جميع الاسلام، ولكننا نميل إلى الايجاز ونذكر ما لا بد منه، ولا أعرف كورة أكثر مدائن من هذه كلها أهلة جيدة، لأننا ربما نذكر مدنا هي أصغر من قرى كثيرة في أقاليم اخر ولكنها مشهورة في المدن، وعلمنا موضوع على التعارف، ألا ترى أن مخا والجامعين والمنيفة مدن بلا نزاع، وكفرسلام وقصر الريح ورأس التين أكبر منهن وهي قرى بلا حلاف، واعلم أن الكورة لا تجل بكثرة مدنها ولكن بجلالة رساتيقها، ألا ترى إلى جلالة نيسابور وبخارا مع قلة مدنها وإلى بنيس زييد وهجر، مع كثرة مدنها. هم من الطوب، وشربهم من نهر وأعين. جزيرة بني زغناية: على ساحل البحر مسورة يعبر منها إلى الأندلس، ولهم عيون. متيجة: في مرج لهم ماء جار عليه أرحية، وشعبة من النهر تدخل الدور، كثيرة البساتين. هياجة: على اسم رستاقها وهو واسع كثيرة القموح. القسطنطينية: مدينة جاهلية على يومين من المصر. ولولا خوف الملل وطول الكتاب لوصفت بقية مدائن افريقية وأكثر مدائن الكور في جميع الاسلام، ولكننا نميل إلى الايجاز ونذكر ما لا بد منه، ولا أعرف كورة أكثر مدائن من هذه كلها أهلة جيدة، لأننا ربما نذكر مدنا هي أصغر من قرى كثيرة في أقاليم اخر ولكنها مشهورة في المدن، وعلمنا موضوع على التعارف، ألا ترى أن مخا والجامعين والمنيفة مدن بلا نزاع، وكفرسلام وقصر الريح ورأس التين أكبر منهن وهي قرى بلا حلاف، واعلم أن الكورة لا تجل بكثرة مدنها ولكن بجلالة رساتيقها، ألا ترى إلى جلالة نيسابور وبخارا مع قلة مدنها وإلى بنيس زييد وهجر، مع كثرة مدنها.

تاهرت: هي اسم القصبه أيضا، هي بلخ المغرب، قد أهدق بها الأنهار والتفت بها الأشجار وغابت في البساتين ونبتت حولها الأعين وجل بها الإقليم وانتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب،، يفضلونها على دمشق وخطأوا وعلى قرطبة وما اظنهم أصابوا. هو بلد كبير كثير الخير رحب رفق طيب رشيق الاسواق غزير الماء جيد الأهل قديم الوضع محكم الرصف عجيب الوصف، غير أنه متى يقاس المغرب بالشام وإين مثل دمشق في الاسلام، ولقرطبة اسم وذكر وشان. بها جامعان على ثلثي البلد قد بنيا بالحجارة والجبل قريبان من الأسواق، ومن دروبها المعروفة أربعة: باب مجانية، درب المعصومة، درب حارة الفقير، درب البساتين. بقرية مدينة تسمى رها وقد خربت. تنس: مسورة على البحر شربهم من نهر وكذلك قصر الفلوس. تاهرت السفلى: على واد عظيم ذات أعين وبساتين. فكان: مسورة على واد جار ذات بساتين. يقل وجبل توتجان: على ما ذكرنا سواء.

وهران: بجزيرة مسورة يقلعون منها إلى الأندلس في يوم وليلة. سبتة: على زقاق بحر الأندلس ترى منها البرين وهي أحد المعابر المشهورة. جبل زالاغ: مدينة على جبل عال يطل على كورة فاس، بناها خلف بن أحمد المعتلي. وبقيّة المدن أكثرهن مسورات ذات بساتين.

فاس: بلدان جليلان كبيران، كل واحد منهما محصن، بينهما واد جرار عليه بساتين وارحية قد استولى على أحدهما الفاطمي وعلى الآخر الأموي، وكم ثم من حروب وقتل وغلبة، بناؤهما مدر وحصنهما طوب وبها قلعة شमित بناها ابن البوري وأخرى على الوادي بناها ابن أحمد، وهو بلد كثير الخيرات والتين والزيتون، غير أنهم كما ترى وفيهم نقل وغباء قليل العلماء كثير الغوغاء. قسطنطينية: هي نظيرة البصرة في الدنيا، حمل جمل تمر بدرهمين، ولهم نهر عظيم غاب في النخيل، ولا تسأل عن كثرة البساتين وكذلك نفاوة بعيدتان من البحر. البصرة: كانت مدينة كبيرة عامرة وقد خربت، وكانت جليلة. نقاوس: حسنة نزهة كثير المياح والجوز باردة. بلد غمار: رستاقها ثلاثة أيام في مثلها كلها قرى عامرة. قسطنطينية: كثيرة التمور على ما ذكرنا من قابس، وقر الجمل بدرهمين، ولهم نهر عظيم، وكذلك نفاوة وبسكرة بلدان النخيل والأنهار. نقاوس: باردة بلد الجوز والثمار الجبلية. ومستقر امراء فاس من مبل الفاطمي بجبل زالاغ، واسم ناحيتهم من فاس عدوة القروي، والأخرى مدينة الأندلسي بناها الأموي وقد عبر البحر وغلب على فاس، وسائر المدن عامرات. وبين فاس وصاع مدينة جليلة نزهة كثيرة الأشجار غزيرة الأنهار لمحي رستاق مكناسة الصاغة لا أذكر اسمها. طنجة: ناحية جليلة عامرة المدن برية وبحرية نفيسة سرية. الزاب: مدينتها المسيلة وهي أيضا ناحية على ما وصفنا مذكورة في الإقليم، غير أن طنجة أجل.

سجلماسة: قصبه جليلة على نهر بمعزل عنها يفرغ في قبليها، وهي طولانية نحو القبلة، عليها سور من طين، وسطها حصن يسمى العسكر فيه الجامع ودار الإمارة، شديدة الحر والبرد جميعا صحبة الهواء كثيرة التمور والأعاب والزبيب والفواكه والحبوب والرمان والخيرات، كثيرة الغرباء موافقة لهم يقصدونها من كل بلد، ومع ذلك ثغر فاضل برستاقها معادن الذهب والفضة وهم أهل سنة وقوم جياد، بها علماء وعقلاء، لها باب القبلي باب الغربي باب غدير الجزائريين باب موقف زناتة وغيرها، وهي في رمال ولهم مياح. درعة: لها رستاق واسع ومنابر على نهر جرار نحو ستة أيام. عريش: رستاق فيه منابر

وسائر المدن محيطة بها في الرمال عامرات. ومعادن الفضة بتازررت، ومعادن الذهب بين هذه الكورة وبلد السودان، وليس في العالم أصفى ولا أوسع منه، والطرق إلى الكورة صعبة لأنه في مفاوز وحشة ذات رمال.

بلرم: هي قسبة اصقلية على البحر في الجزيرة أوسع من الفسطاط إلا أنها متفرقة، بناؤهم حجر وجبل وهي حمراء وبيضاء، يحرق بها الفوارات والخيازير، ويسقيها نهر يقال له وادي عباس، والارحية وسطها كثيرة الفواكه والخيرات والأعنان، الماء يضرب الحائط، ولها مدينة داخله بها الجامع والأسواق في الربيض، ومدينة أخرى خارجة مسورة تسمى الخالصة بأربعة أبواب باب كتامة باب الفتوح باب البنود الصناعة، وبها أيضا جامع ولها أسواق. اطرابنش: بحرية غربية مسورة شربهم من نهر. عين المغطا ومازر غريبتان. قلعة البلوط: محصنة في الهواء ماؤها من عين تنبع فيها. جرجنت: بحرية مسورة شربهم من أبار. بثيرة: بحرية غربية مسورة بسور حصين كأنها قلعة. سرقوسة: مدينتان ملتزقتان لها ميناء عجيب، ولها خندق يدور فيه ماء البحر. لنتيني: مسورة على نهر قريبة من البحر بناؤهم حجر. قطنية: بحرية قبلية مسورة وهي مدينة القبلة. الياج: مسورة بحرية قبلية شربهم من ماء جار. بطرنوا: شرقية تحت جبل النار الجارية. طبرمين: بحرية شرقية تطل على بلد الروم شرقية لها قلعة من حجارة فرضة من البحر، وسائر المدن الشرقيات عشر على ما ذكرنا، غير أن قلعة الصراط في الهواء. بطرلية: قبلية برية مسورة في وسطها قلعة فيها كنيسة. برطنيق: غير بحرية كثيرة الحناء، وكذلك اخياس وبلجة في فحص.

وصقلية جزيرة واسعة جبلية ليس للمسلمين جزيرة أجل ولا أعمر ولا أكثر مدنا منها. طولها اثنا عشر يوما في عرض أربعة أيام، وبينها وبين الروم مجاز من نحو مطلع الشمس، عرضة اثنا عشر يوما، وهو الخليج الذي يعد في البحار الخمسة.

قرطبة هي مصر الأندلس، سمعت بعض العثمانية يقول هي أجل من بغداد، في صحراء يطل عليها جبل ولها مدينة جوانية وربض، الجامع في المدينة وأسواق وأغلب الأسواق، ودار السلطان في الربيض قدامها واد عظيم سطوحهم قراميد، الجامع من حجر وجبل وسواريه رخام حواله مياض، وللمدينة خمسة أبواب باب الحديد باب العطارين باب القنطرة باب اليهود باب عامر، وقد دلت الدلائل واتفقت الأراء على أنه مصر جليل رفق طيب، وان ثم عدلا ونظرا وسياسة وطيبة ونعما ظاهرة ودينا، وأن ناحية الأندلس على سجية هيطل ابدا ثم غزاة أبدا في جهاد ونفير مع علم كثير وسلطان خطير وخصائص وتجارات وفوائد. وحدثنى بعض الأندلسيين أنها ثلاثة عشر رستاقا. على خمسة عشر ميلا أرجونة: مسورة ليس لها بساتين وأشجار لكنها بلد الحبوب، ولهم عيون ومزارعهم على المطر. قسطلة: على ثلاثة عشر ميلا من أرجونة وهي في سهلة كثيرة الأشجار والزيتون والكرمات، ومشاربهم من أبار ويسقون البساتين بالسواني. شوذر: على ثمانية عشر ميلا من قرطبة، وهي في سهلة كثيرة الزيتون جداء، شربهم من أعين. مارتش: على خمسة عشر ميلا من قرطبة، وهي جبلية ليس لها غير الكرمات، ولهم أعين. قنبانس: على خمسة عشر ميلا، وهي سهلية ذات مزارع أكثرها بموضع يقال له قنبانية، مشاربهم من أبار. فح ابن لقيط: على خمسة وعشرين ميلا في سهلة، كثيرة المزارع، شربهم من أبار. بلاط مروان: على ثلاثين ميلا، لها واد جرار سهلية ذات مزارع. بريانة: ذات مزارع سهلية شربهم من أبار، وفيها حصن من حجارة والربيض حوله والجامع في الحصن والأسواق في الربيض. حصن بلكونة: كثيرة الزيتون والأشجار والعيون مسورة بحجارة شربهم من عين واحدة وأبار على أربعين ميلا من قرطبة. الشنيدة: على جبل كثيرة الكروم والمزارع والتين والعنب، شربهم من أعين وأبار، على يومين من قرطبة المنزل فح ابن لقيط. وادي عبدالله: من نحو القبلة على أربعين ميلا من قرطبة المنزل وادي الرمان، سهلية ذات مزارع وأنهار وأشجار. قرسيس: على ستين ميلا من قرطبة سهلية كثيرة التين والأعنان والزيتون الكبير، شربهم من أعين. جيان: على خمسين ميلا عن قرطبة اسم الرستاق أولية، ومدينة جيان على جبل كثيرة الأعين قد خرب حصنها غير أنها منيعة بالجبل بها اثنتا عشرة عينا ثلاث عليها ارحية تقوم بالأندلس ومن ثم ميرة قرطبة، وثمارها كثيرة وصف ما شئت من طيبها ورحبها فإنها جنة الأندلس على ما حكى لي ودلى آخر الأسم على أنها ناحية بنيانهم بالحجارة باردة كثيرة الرياح وبكورتها حر هي في عداد النواحي قياسا على مما رتبنا، ومدنها الجفر على الجبل كثيرة الأودية والأرحية، على عشرة أميال من جيان كلها أشجار وثمار وزيتون وأعنان على واد تجمع الفواكه. بيغوا: وهي جبلية لها أودية تخر منها عيون تدير الأرحية كثيرة التوت والزيتون. والتين. مارتش: مسورة على جبل شربهم من أعين، كثيرة التين والزيتون والكروم. قانت: مسورة في قنبانية لا بساتين لها زاكية. غرناطة: على واد به فنية طوله ثلاثة عشر ميلا، للسلطان فيه من كل الثمار حسن عجيب، سهلية كثيرة المزارع، قلت وما المنية قال البستان. منتيشة: مسورة على واد كثيرة الزيتون والتين سهلية. بياسة: مسورة في جبل بناؤهم طين وشربهم من أعين كثيرة التين والكرمات. قلت: هل بقي لقرطبة غير هذه الرساتيق والمدن، قال: لا، قلت: فإشبيلية وبجانة وذكرت عدة من البلدان، قال: هذه نواح لها اقاليم، كما تقول القيروان وتاهرت وسجلماسة وهم يسمون الرستاق اقليما، فعلمت إنها كور على قياسنا وإنها أن لم تكن أجل من كور هيطل فليست بأقل منها. فيحصل القول واثبت الدلائل على أن مثل المغرب كمثل المشرق كل واحد منهما جانبان، فكما أن المشرق خراسان وهيطل يفصل بينهما جيحون، فكذلك المغرب

والأندلس يفصل بينهما بحر الروم. غير انا نعجز عن تكوير الأندلس فتركناها على الجملة ووصفنا كورة قرطبة لما كثر المخبرون عنها واتضح عندنا أمرها. وعرضت كتابي على شيخ من مشايخهم فقال: على هذا القياس يجب أن تكون الأندلسي ثمانتي عشرة كورة فعد: بجانة مالقة بلنسية تدمير سرقوسة يابسة وادي الحجاره تطيلة وشقة مدينة سالم طليطلة إشبيلية بطليوث باجة قرطبة شذونة الجزيرة الخضراء. وسالت آخر فمال: صدق وزاد لبيرة أخشنية ويجوز أن يكون بعض هذه البلدان نواحي قياسا على ايلاق وكش والصغانيان والله أعلم بالصواب.

مجمّل شؤون هذا الإقليم

هو إقليم جليل كبير طويل يوجد فيه أكثر ما يوجد في سائر الأقاليم مع الرخص، كثير النخيل والزيتون، به مواضع الحر ومعادن البرد، كثير اليهود، جيد الهواء والماء، فأما الحر فانك تجده من مصر إلى السوس الأقصى إلا في مواضع فإن بها جبالا وبلدانا باردة والغالب على الأندلس البرد. كثير المجذمين والخصيان والثقلاء والبخلاء. قليل القصاص رفق يحبون العلم وأهله ويكثرون التجارات والتغرب.

وأما المذاهب فعلى ثلاثة أقسام أما في الأندلس فمذهب مالك وقرآءة نافع وهم يقولون لا نعرف إلا كتاب الله وموطأ مالك فإن ظهروا على حنفي أو شافعي ففوه وأن عثروا على معتزلي أو شيعي ونحوهما ربما قتلوه. وبسائر المغرب إلى مصر لا يعرفون مذهب الشافعي رحمه الله إنما هو أبو حنيفة ومالك رحمهما الله. وكنت يوما أذاكر بعضهم في مسألة فذكرت قول الشافعي رحمه الله فقال: اسكت من هو الشافعي إنما كانا بحرين أبو حنيفة لأهل المشرق ومالك لأهل المغرب افتتركما ونشتغل بالساقية. ورأيت أصحاب مالك رحمه الله يبعضون الشافعي، قالوا: أخذ العلم عن مالك ثم خالفه وما رأيت فريقين أحسن اتفاقا وأقل تعصبا منهم. وسمعتهم يحكون عن قدمائهم في ذلك حكايات عجيبة حتى قالوا أنه كان الحاكم سنة حنفي وسنة مالكي. قلت: وكيف وقع مذهب أبي حنيفة رحمه الله إليكم ولم يكن على سابلكم، قالوا: لما قدم وهب بن وهب من عند مالك رحمه الله وقد حاز من الفقه والعلوم ما حاز استتف أسد بن عبد الله أن يدرس عليه لجلالته وكبر نفسه، فرحل إلى المدينة ليدرس على مالك فوجده عليلا فلما طال مقامه عنده قال له ارجع إلى ابن وهب فقد أودعته علمي وكفيتكم به الرحلة، فصعب ذلك على أسد وسأل هل يعرف لمالك نظير، فقالوا: فتى بالكوفة يقال له محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، قالوا: فرحل إليه وأقبل عليه محمد إقبالا لم يقبله على أحد ورأى فهما وحرصا فزقه الفقه زقا. فلما علم أنه قد استقل وبلغ مراده فيه سببه إلى المغرب، فلما دخلها اختلف إليه الفتيان ورأوا فروعا حيرتهم ودقائق أعجبتهم ومسائل ما طنت على أذن ابن وهب وتخرج به الحلق وفشا مذهب أبي حنيفة رحمه الله بالمغرب. قلت: فلم لم يفش بالأندلس، قالوا: لم يكن بالأندلس أقل منه ههنا ولكن تناظر الفريقان يوما بين يدي السلطان فقال لهم من أين كان أبو حنيفة، قالوا: من الكوفة، فقال: مالك، قالوا: من المدينة قال: عالم دار الهجرة يكفيننا، فأمر بإخراج أصحاب أبي حنيفة وقال: لا أحب أن يكون في عملي مذهبان، وسمعت هذه الحكاية من عدة من مشايخ الأندلس. والقسم الثالث مذاهب الفاطمي وهي على ثلاثة أقسام أحدها ما قد اختلف فيه الأئمة مثل القنوت في الفجر والجهر بالبسملة والوتر بركعة وما أشبه ذلك. والثاني الرجوع إلى ما كان عليه السلف مثل الإقامة مثني التي ردها بنو أمية إلى واحدة، ومثل لبس البياض الذي رده بنو العباس إلى السواد. والثالث ما تقرد به مما لا يخالف الأئمة وأن لم يعرف له قدمة مثل الحيلة في الأذان، وجعل أول الشهر يوما يرى فيه الهلال، وصلاة الكسوف بخمس ركعات وسجدتين في كل ركعة، وهذه مذاهب الشيعة ولهم تصانيف يدرسونها. ونظرت في كتاب الدعائم فإذا هم يوافقون المعتزلة في أكثر الأصول ويقولون بمذهب الإسماعيلية ولهم فيه سر لا يعلمونه ولا يأخذونه على كل أحد إلا من وثقوا به بعد أن يحلفونه ويعاهدونه، وإنما سموها باطنية لأنهم يصرفون ظاهر القرآن إلى بواطن وتفسير غريبة ومعان دقيقة. وهذه الأصول مذاهب الإدريسية وعليتهم بكورة السوس الأقصى وهي قريبة من مذاهب القرامطة وأهل المغرب والمشرق في مذاهب الفاطمي على ثلاثة أقسام: منهم من أقر بها واعتقدها، ومنهم من كفر بها وأنكرها، ومنهم من جعلها في اختلاف الأمة. وأكثر أهل اصقلية حنفيون، وقرأت في كتاب صنفه بعض مشايخ الكرامية بنيسابور أن بالمغرب سبعمائة خانقاه لهم فقلت لا والله ولا واحدة.

وأما القراءات في جميع الإقليم فقراءة نافع حسب الرسوم لا يشهد في هذه الأقاليم الستة إلا معدل، وحضرنا يوما أملاكا فأمرني أبو الطيب حمدان أن أكتب شهادتي فهنيت بذلك. ولا يأخذون الميت إلا من الرأس أو الرجلين ويصلون كل ترويجة ويجلسون، ولا يسلمون الأغنام إذا شووها، ويدخلون الحمامات بلا ميازير إلا القليل. وبالمغرب رسومهم مصرية إلا إنهم أقل ما يتطلسون وكثيرا ما يجعلون الرداء بطاقيين ثم يطرحونه على ظهورهم مثل العباءة أصحاب قلانس مصبغة، والبربر

بيرانس سود، وأهل الرساتيق باكسية، والسوقة بمناديل، والتجار يركبون أحمره مصرية وبغالا. وكل مصاحفهم ودفاترهم مكتوبة في رقوق. وأهل الأندلس أحذق الناس في الوراقة خطوطهم مدورة.

وبه تجارات تحمل من برقة ثياب الصوف والأكسية ومن اصقلية الثياب المقصورة الجيدة، ومن أفريقية الزيت والفتق والزعفران واللوز والبرقوق والمزود والانطاع والقرب، ومن فاس التمور وجميع ما ذكرنا، ومن الأندلس بز كثير وخصائص وعجائب.

ومن خصائص الإقليم المرجان يخرج من جزيرة في البحر اسم مدينتها مرسى الخرز يدخل إليها في طريق دقيق، كالمهدية من بحرهما يرتفع القرن وهو المرجان لا معدن له غيرها، وهي جبال في البحر يخرجون إلى جمعه في قوارب ومعهم صلبان من خشب قد لفوا عليها شيئا من الكتان المحلول وربطوا في كل صليب حبلين يأخذهما رجلان فيرميان بالصليب ويدير النواتي القارب فيتعلق بالقرن ثم يجذبونه فمنهم من يخرج عشرة آلاف إلى عشرة دراهم ثم يجلى في أسواق لهم ويباع جزافا رخيصا، ولا اشراق له قبل جليه ولا لون. وبنتيلة سمور كثير. وبالأندلس السفن الذي يتخذ منه مقابض السيوف ويقع إليهم من البحر المحيط عنبر كثير في وقت من السنة، ويرتفع من اصقلية نوشادر كثير أبيض وسمعت أنه قد انقطع معدنه واستغنى عنه أهل مصر بدخان الحمامات.

وأما الأبطال فكانت بغدادية في الإقليم كله إلا الذي يوزن به الفلفل فإنه يشف على البغادي بعشرة دراهم والآن هو المستعمل في أعمال الفاطمي بالمغرب كله.

والمكايل قفيز القيروان إثنان وثلاثون ثمنا والثلثم ستة أمداد بمد النبي صلى الله عليه وسلم، وقفيز الأندلس ستون رطلا والرابع ثمانية عشر رطلا وفنيقة نصف القفيز. ومكايل الفاطمي الدوار وهي التي تشف على وية مصر بشيء يسير، قد أجم رأسها بعارضة من حديد وأقيم عمود من قاعها إلى العارضة فوقه حديد، يدور على رأس الويبة، فإذا أترعها أدار الحديد فمسحت فم الويبة وصح الكيل. وأرطاله رصاص على كل رطل أسم أمير المؤمنين فإن اجتمعت أرطال بموضع واحد بسط صباها وطبع على كل رطل ولو كانت عشرة.

وأما نقوده في جميع أعماله إلى أقصى دمشق فالدينار يزل عن المثقال بحبة أعني شعيرة والسكة مدورة الكتابة وله ربع صغير يؤخذان بالعدد، والدرهم أيضا زال له نصف يسمون القيراط وربع وثلثم ونصف ثمن يسمون الخرنوبة، يؤخذ الجميع بالعدد ولا يرخسون في المعاملة بالقطع، وسنجم من زجاج مطبوع كما ذكرنا من الأبطال. ورطل مدينة تونس إثننا عشرة أوقية والوقية إثننا عشر درهما.

والعجائب بهذا الإقليم كثيرة منها أبو قلمون وهي دابة تحتك بحجارة على شط البحر فيقع منها وبرها، وهو في لين الخز لونه لون الذهب، لا يغادر منه شيئا وهو عزيز الوجود، فيجمع وينسج منه ثياب تتلون في اليوم الوانا، ويمنع السلطان من حمل ذلك إلى البلدان إلا ما يخفى عنهم، ربما بلغ الثوب عشرة آلاف دينار. باصقلية جبل تفور منه النار أربعة أشهر في كل عشر سنين مرة وسائر الأوقات يدخن، حوله ثلوج متلبدة إلا موضع الدخان. بمدينة إيكجا عيون تخرج أوقات الصلاة ثم تغور، فإن قصدها رجل كان قد قتل نفسا بغير حق لم يخرج له شيء. فإن قال قائل إنك تركت كثيرا من العجائب في هذا الإقليم لم تذكرها قيل له: إنما تركنا ما ذكره من قبلنا في تصانيفهم. ومن مفاخر كتابنا الأعراض عما ذكره غيرنا، وأوحش شيء في كتبهم ضد ما ذكرنا ألا ترى إنك إذا نظرت في كتاب الجيهاني وجدته قد احتوى على جميع أصل ابن خرداذبه وبناه عليه، وإذا نظرت في كتاب ابن الفقيه فكانما أنت ناظر في كتاب الجاحظ والزيح الأعظم، وإذا نظرت في كتابنا وجدته تسبح وحده يتيما في نظمه. ولو وجدنا رخصة في ترك جمع هذا الأصل ما اشتغلنا به، ولكن لما بلغنا الله تعالى أقاصي الاسلام وأرانا أسبابه وألهمنا قسمته وجب أن ننهي ذلك إلى كافة المسلمين. ألا ترى إلى قوله تعالى " قل سيروا في الأرض، أفلم يسيروا في الأرض فينظروا ". وفيما نذكر عبرة لمن اعتبر وفوائد لمن سافر.

وأما أرض السودان فإنها تتاخم هذا الإقليم ومصر من قبل الجنوب وهي بلدان مقفرة واسعة شاقة، وهم أجناس كثيرة، وفي جبالهم عامة ما يكون في جبال المسلمين من الفواكه، غير أن أكثرهم لا يذوقونه ولهم فواكه أخر وأغذية وأطعمة وحشائش لا توجد عندنا، ولا تعامل بينهم بالذهب والفضة، أما القرماطيون فتعاملهم بالملح، والنوبة والحش بالثياب، والنوبة من وراء مصر، والبجة وراء عيذاب، والحبش وراء زيلع. والخدم الذين ترى على ثلاثة أنواع: جنس يحملون إلى مصر وهم أجود

الأجناس، وجنس يحملون إلى عدن وهم البربر وهم شرأجناس الخدم، والجنس الثالث على شبه الحبش، وأما البيض فجنسان الصقالبة وبلدهم خلف خوارزم إلا أنهم يحملون إلى الأندلس فيخسون ثم يخرجون إلى مصر، والروم يقعون إلى الشام وأقور وقد انقطعوا بخراب الثغور. وسألت جماعة منهم كيف يخصون فتحصل لي أن الروم يسلمون أولادهم ويحرزونهم على الكنائس لئلا يشغلوا بالنساء وتؤذيهم الشهوة، وكان المسلمون إذا غزوا أغاروا على كنائسهم وأخرجوا الصبيان منها. وأما الصقالبة فإنهم يحملون إلى مدينة خلف بجانة أهلها يهود فيخسونهم، واختلفوا على هذا فقال بعض يمسح القضيبي والمزودان في مرة واحدة، وقال بعضهم يشق المزودان وتخرج البيضتان ثم تجعل تحت القضيبي خشبة ويقط من أصله. وسألت عريب الخادم وكان من أهل العلم والصدق فقلت إياها المعلم أخبرني عن أمر الخدم فإن العلماء قد اختلفوا فيهم وأبو حنيفة يجعل لهم فراشا ويلحق بهم ما تلد نساؤهم وهذا علم لا يستفاد إلا منكم. قال: صدق أبو حنيفة رحه وسأخبرك بحالهم. أعلم إنهم إذا قربوا للاختصاء شق الخصوتان فأخرجت البيضتان فربما فزع الصبي فصعدت إحدى البيضتين إلى جوفه وطلبت فلم توجد في الوقت، ثم تنزل بعد ما التحم الشق فإن كانت اليسرى كانت له شهوة ومنى، وإن كانت اليمنى خرجت له لحية مثل فلان وفلان فأبوحنيفة رحه أخذ بقول النبي صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وجزاء يكون من الخدم الذين بقيت بيضتهم. وذكرت قوله لأبي سعيد الجوري بنيسابور قال: قد يجوز هذا لأن إحدى بيضتي صغيرة وكانت لحيته نرزا خفيفة. وإذا خصوهم جعلوا في منفذ البول مرود رصاص يخرجونه أوقات البول إلى أن يبرؤا كي لا يلتحم.

ولغتهم عربية غير إنها منغلقة مخالفة لما ذكرنا في الأقاليم ولهم لسان آخر يقارب الرومي وكلما قرب من مغرب الشمس كان أشد بياضا وزرقة عيون وكثافة في لحاهم، كبر وموضعهم بمدينة سطيف وهم مهودوا الأمر لعبيد الله. والغالب على بوادي هذا الإقليم البربر أكثرهم بكورة السوس وهم قوم على عمل الخوارزمية لا يفهم لسانهم ولا ترصي طباعهم مع خسة وشدة. سمعت أن أحدهم يشد وسطه بنفقه فيذهب إلى الحج ويرجع وهي معه فحينئذ تزوج، وأقل من لا يزور بيت المقدس منهم. ومن عيوبهم أن بافريقية مدينتين بهما تباع لحوم الكلاب على القنارات وهما قسطنطينية ونقطة، ويتهمون بطرح لحوم الكلاب في الهرائس مع غشامة وسوء خلق وغلظة، يرى أحدهم يطبخ القدر ثم يبيع اللحم أو الثردة. والطرق إلى أقاصيه صعبة في رمال ومفاوز.

وأما الولايات فلم يخطب لغير بني أمية بالأندلس قط. وأما السوس الأقصى فإن أول من غلب عليها أدريس بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي ابن أبي طالب، وذلك أن أدريس أفلت من وقعة العباسيين بالطالبيين بفخ في خلافة الهادي فوق مصر وعلى بريدها واضح مولى المنصور وكان شيعيا فحمله على البريد إلى المغرب فوقع بأرض طنجة فاستجاب له من فيها وحولها، فلما استخلف الرشيد أعلم بذلك فحضر عنق واضح وصلبه، ودس إلى إدريس الشماخ اليمامي مولى المهدي وكتب له كتابا إلى إبراهيم بن الأغلب عامله على إفريقية، فخرج حتى وصل إلى زويلة وذكر لهم إنه طبيب وإنه ولي من أوليائهم، فاطمأن إليه وأنس به فشكا إليه علة في أسنانه فأعطاه سنونا مسموما ليلا، وأمره أن يستن به عند طلوع الفجر وهرب، فلما استن به قتله، وطلب الشماخ فلم يقدر عليه فولى الرشيد الشماخ بريد مصر.

وأما المسافات فتأخذ من برقة إلى الندامة مرحلة ثم إلى تاكنست مرحلة ثم إلى المغار مرحلة ثم إلى حليمان مرحلة ثم إلى مخيل مرحلة ثم إلى جب الميدعان مرحلة ثم إلى جيات الصغير مرحلة ثم إلى حي عبدالله مرحلة ثم إلى مرج الشيخ مرحلة ثم إلى العقبة مرحلة ثم إلى خرائب أبي حليلة مرحلة ثم إلى خربة القوم مرحلة ثم إلى قصر الشماس مرحلة ثم إلى سكة الحمام مرحلة ثم إلى جب العوسج مرحلة ثم إلى كنائس الحرير مرحلة ثم إلى الطاحونة مرحلة ثم إلى حنية الروم مرحلة ثم إلى ذات الحمام مرحلة ثم إلى بومينه مرحلة ثم إلى الأسكندرية مرحلة. وتأخذ من طرابلس إلى المسودة مرحلة ثم إلى أرسطا مرحلة ثم إلى الراشدية مرحلة ثم إلى قصور حسان مرحلة ثم إلى مغمداش مرحلة ثم إلى سرت مرحلة ثم إلى قصر العبادي مرحلة ثم إلى اليهوديتين مرحلة ثم إلى قصر العطش مرحلة ثم إلى سبخة منهوسا مرحلة ثم إلى بلدروب مرحلة ثم إلى برمست مرحلة ثم إلى سلوق مرحلة ثم إلى أوبران مرحلة ثم إلى قصر الفيل مرحلة ثم إلى مليتية مرحلة ثم إلى برقة مرحلة. وتأخذ من اطرابلس إلى بنر الجمالين مرحلة ثم إلى قصر الدرق مرحلة ثم إلى بارجمت مرحلة ثم إلى الفوارة مرحلة ثم إلى قابس مرحلة ثم إلى الزيتونة مرحلة ثم إلى كتانة مرحلة ثم إلى الكبس مرحلة ثم إلى القيروان مرحلة. ثم تركب المفاوز إلى السوس الأدنى ألفين ومائة وخمسين ميلا ثم إلى السوس الأقصى يوما وعرض بحر الروم هناك ميلا. وتأخذ من القيروان مراحل إلى قصبة ثم إلى قسطنطينية مراحل ثم إلى تاهرت يوما في رمال وقرى ثم تقع في البربر أيام إلى فاس ثم تقع في عمارات مراحل إلى الشقور ثم كذلك في قرى وأنهار إلى البصرة وأنت في حد السوس الأدنى. وإن شئت فخذ من القيروان إلى سطيف مراحل ثم إلى تاهرت ثم إلى فاس ثم إلى السوس الأقصى. وتأخذ من القيروان إلى زويلة شهرا. وتأخذ من القيروان إلى سجلماسة في البرية مرحلة وفي العمارة، وتأخذ من القيروان إلى تونس مراحل ثم إلى طبرقة مراحل ثم إلى تنس مراحل ثم إلى جزيرة بني

زغاي مراحل. وتأخذ من القيروان إلى قابس أو إلى نفطة أو إلى قرنة أو إلى سبيبة أو إلى مدينة القصور أو إلى المهديّة مرحلتين مرحلتين. وتأخذ من القيروان إلى لافس أو إلى الجزيرة أو إلى أبة أو إلى مرسى الخرز ثلاث مراحل ثلاث مراحل. وتأخذ من القيروان إلى قابس أو إلى قصر الإفريقي أو إلى مجانة خمسا خمسا. وتأخذ من مجانة إلى تبسة أو إلى باغاي أو دوفانة أو عين العصافير أو دار ملول أو طينة أو مقرة أو المسيلة مرحلة مرحلة وبين كل واحدة والأخرى على الترتيب مرحلة. وتأخذ من المسيلة غربا إلى أشير أيام ثم إلى تاهرت ثم إلى فكان مثلها ثم إلى تلمسان مرحلتين ثم إلى جراوة مثلها. وتأخذ من تلمسان إلى صاع مرحلتين، مثلها ومسيلة رأس حد أفريقية. وتأخذ من تاهرت إلى ناكور مرحلة ثم إلى سجلماسة. وتأخذ من فاس إلى البصرة مراحل. ومن فاس إلى أزيلة مراحل. وقد اختصرنا مسافات هذا الجانب واجملناها لطولها وكثرتها وقلة المسافرين فيها. ومن القيروان إلى سوسة أو إلى قلشانة أو إلى تماجر مرحلة مرحلة. وأما مسافات الأندلس فصح عندي أن من قرطبة وهي القصبة إلى أشبيلية مراحل ثم على سمت القبلة إلى استجة مرحلة ومن قرطبة إلى طليطلة أيام. ومنها إلى وادي الحجارة مرحلتان. ومن قرطبة إلى مكناسة أيام ثم إلى هواره مثل ذلك ثم إلى نفزة أيام ثم إلى سمورة أيام. ومنها إلى قورية إلى باجة مرحلة ثم إلى مارد أيام ومن قورية إلى باحة أيام ومن باحة إلى آخر مدن شنترين يوما. ومنها إلى فحص البلوط يومان ثم إلى لبلبة. ومنها إلى قرمونة أيام بين باجة وأشبيلية نحو الغرب على طريق ماردة. ومن قرمونة إلى أشبيلية مرحلتان. ومن استجة إلى مورور مرحلة ثم إلى شذونة يومان أو إلى جبل طارق أيام. ومن استجة إلى مالقة أيام طريق الشرق أو إلى أرجدونة مراحل. ومنها إلى بجانة مراحل ومنها إلى مرسية أيام. ومنها إلى بلنسية أيضا يوما ثم إلى رطوشة مرحلة. ومن مرسية إلى بجانة أيام ثم إلى مالقة أيام ثم إلى جبل طارق أيام ثم إلى شذونة أيام ثم إلى أشبيلية أيام. وهذه الأشبيلية يضرب بها أهل المغرب الأمثال في البعد كما يضرب أهل المشرق بفرغانة ولا أعرف الأشبيلية الأولى. ولا أعرف الأشبيلية الأولى.

ذكر بادية العرب

اعلم أن بين أقاليم العرب غير المغرب بادية ذات مياه وغدران وآبار وعيون وتلال ورمال وقرى ونخيل، قليلة الجبال، كثيرة العرب، مخيفة السبل خفية الطرق، طيبة الهواء ردية الماء ليس بها بحيرة ولا نهر إلا الأزرق، ولا مدينة إلا تيماء. ومن الناس من يعدها من الجزيرة وليست منها ومنهم من يجزئها على الأقاليم ومنهم من يجعلها من الشام. وقد رأينا نحن أن نفرزها ونفرد صورتها لأن أحدا من أهل الأقاليم الثلاثة عشر لا طريق له إلى مكة في البر إلا فيها ولا غنى له عن معرفتها. وأيضا فإن فيها مناهج لا تعرف ومياها قد تجهل وفي ذكرها فوائد لا تحصى وأجر وحسبة لا تخفى وقد سافرت فيها غير مرة ومسحتها يمينا وشمالا وشرقا وغربا وتفحصت عن طرقها وسألت عن مياها وتبحرت في معرفتها حتى حزت الكثير من أسبابها وعرفت معظم طرقها. وهذه صورتها وبالله التوفيق.

وقد جعلناها من ويلة إلى عبادان ثم إلى بالس مقوسة وقسمناها اثني عشر طريقا، تسع طولا يؤدين إلى مكة وثلاث عرضا يؤدين إلى الشام، وبها طريق آخر لقرح يؤدي إليها من البصرة ثم إلى مصر. فأولها طريق مصر ثم طريق الرملة ثم طريق الشراة ثم طريق تبوك ثم طريق وبيير ثم طريق بطن السر ثم طريق الرحبة ثم طريق هيت ثم طريق الكوفة ثم طريق القادسية ثم طريق واسط ثم طريق وادي القرى ثم طريق البصرة، وهذه الطرق على الترتيب ووصفها على التفريق.

فأما طريق مصر تأخذ من البويب إلى بندقة مرحلة ثم إلى عجرود مرحلة ثم إلى المدينة مرحلة ثم إلى الكرسي مرحلة ثم إلى الحفر مرحلة ثم إلى المنزل مرحلة ثم إلى ويلة مرحلة. وأما طريق الرملة فتأخذ من السكرية إلى التليل مرحلتين ثم من التليل إلى الغمر مرحلتين ثم إلى ويلة مرحلتين. وأما طريق الشراة فإن من صغر إلى ويلة مراحل وهاتان الطريقان وإن كانا في الشام فإن السلوك في بادية وحشة وتمس هذه البادية المذكورة. وأما طريق تبوك فتأخذ من عمان إلى معان منهلين ثم إلى تبوك مثلها ثم إلى تيماء أربعين ثم إلى وادي القرى أربعين. وأما طريق وبيير فتأخذ من عمان إلى وبيير مناهل ثم إلى الأجوولي مراحل ثم إلى ثجر منهلين ثم إلى تيماء مناهل. وأما طريق بطن السر فتأخذ من عمان إلى العونيد نهارين ثم إلى المحدثّة نصف نهاري ثم إلى النبك مثله ثم إلى ماء نهارا ثم إلى الجربي نهارا ثم إلى عرفجا نهارا ونصفا ثم إلى مخري ثلاثا ثم إلى تيماء أربعين. وهذه المحجات الثلاث طرق العرب إلى مكة، وفيها كان بريد ملوك بني أمية وقت كونهم بدمشق، وإياها سلكت جيوش العمرين وقت فتح الشام وهن قريبات أمانات أصحابها بنو كلاب ويصحبهم كثير من أهل الشام يجتمعون في عمان وقد سلكتها غير مرة. وأما طريق القادسية فتأخذ من القادسية إلى المغيثة ميلا ثم إلى القرعاء ميلا ثم إلى واقصة ميلا ثم إلى العقبة ميلا ثم إلى القاع ميلا ثم إلى زباله ميلا ثم إلى الشقوق ميلا ثم إلى البطان ميلا، ثم إلى الثعلبية ميلا ثم إلى الخزيمية ميلا ثم إلى أجفر ميلا ثم إلى فيد ميلا. وأما طريق واسط فلم اسلكها إلا أنها تلقي الجادة بالثعلبية. وأما طريق

البصرة فتأخذ من البصرة إلى الحفير ميلا ثم إلى الرحيل ميلا ثم إلى الشجي ميلا ثم إلى حفر أبي موسى ثم إلى ماوية ميلا ثم إلى ذات العشر ميلا ثم إلى الينسوعة ميلا ثم إلى السمينية ثم إلى القريتين ثم إلى النباح. فهذه طرق العراق إلى مكة وهذه التسع محجات في الطول. وأما طريق الكوفة فتأخذ من الكوفة إلى الرهيمة ميلا ثم إلى النحيت نهارين ثم إلى القراى مثلهما ثم إلى الخنفس نهارا ثم إلى الحشية مثله ثم إلى الغريفة مثله ثم إلى قراكر مثله ثم إلى الأزرق مثله ثم إلى عمان مثله الجميع مرحلة خفافا. وأما طريق هيت فتأخذ من هيت، وأما طريق الرحبة فتأخذ من الرحبة إلى..، وهذه المحجات الثلاث في العرض ولها بنايات تخرج إلى اذرعان وغيرها. وأما طريق وادي القرى فيقال أنها تخرج على المنهب خلف فيد ومن المنهب إلى وادي القرى ليال ومنه إلى تيماء ومنه إلى تبوك ومنه إلى وادي طيء ليلتان. ومن البصرة إلى الكوفة على تخوم هذه البادية مرحل تقال. وأكثرنا ذكرنا من المنازل مياه وغدران.

وهذا وصف هذه البادية ومياهها: أعلم إنها بادية واسعة كثيرة العرب فيها نبت يقال له الفث على عمل الخردل ينبت من نفسه فيجمعونه إلى الغدران ثم يبلونه بالماء فيفتح عن ذلك الحب ثم يطحنونه ويخبزونه وينقوتون به. ويكثر أكل لحم اليربوع والحيات ويقطعون الطريق ويؤون الغريب ويهدون الضال ويخفرون القوافل. وعلى الجملة لا يمكن أن يعبر أحد هذا الطريق إلا بخفير أو قوة وترى الحاج مع قوتهم يهتكون وتؤخذ اباعرهم وخزانهم. وتخوم هذه البادية تأخذ من ويلة على مدائن قوم لوط وتصعد إلى ماب ثم على تخوم عمان واذرعان ورساتيق دمشق وتدمر وسلمية وأطراف حمص إلى بالس ثم ترجع إلى الفرات وتعطف على الرقة والرحبة والدالية إلى هيت والأنبار ثم على الحيرة والقادسية ومغارب البطائح ثم على سواد البصرة إلى عبادان ومنهم من أضاف الشراة إليها وادخل مدنها فيها وهذا أصح. وليس في، هذه البادية مدينة إلا تيماء وهي مدينة قديمة واسعة البقعة كثيرة النخيل هائلة البساتين غزيرة الماء مع خفة عجيبة وعين مليحة تخرج في شبك حديد إلى بركة ثم تنفرد في البساتين ولهم آبار حلوة وهي في سهلة إلا أن أكثرها خرابات، الجامع فيها والعمارات حول السوق وكل ثمرها جيدة وفي أهلها شره، لا عالم بها يرجع إليه ولا حاكم يعول عليه ورأيت خطيبهم بقالا وحاكمهم نعالا مع تعصب عظيم ودروع داودية يلبسونها في الفتن. والمنازل بين مصر وويلة يسقى لها بالسواقي. والغمرماء وحشة وقربه رمل يحفر فيخرج عليهم منه ماء حلو كثير. وبير آبار حلوة في بقعة هنة نيرة. والأجولي خزه الله ماء يتورم من شرب منه وربما قضى نحبه. ونجر ماء غير طيب ولا كثير الغدران. والعونيد غديران قريبان ماؤهما كربه في وسط الرملة. المحدثه قناة حلوة قد حدثت بحجارة سود. النبك غديران أحدهما أحلى من الآخر المحجة بينهما وثم نخيلات، بعده غدير واحد في غيضة. ودخل حلو غير غزير قد انسيت اسمه والجري غدير أو اثنان منتن الماء بين دغل وطرفاء. وعرفجا في موضع حسن نزيه غديران حلوان. ومخري قبحه الله من ماء مالح يطلق الناس والأباعر غديران في أرض سوداء وأشتق اسمه من الاسهال وسواء شربت منه أو خبزت أو طبخت الأمر واحد. والمغينة خربة بها بئر واحدة. والقرعاء لها عدة آبار لا ينتفع بها. واقصة بها حصن عامر وآبار حلوة وبركة عظيمة ينبع فيها الماء. والعقبة بها آبار بعيدة جدا وموضع قد خربت. والقاع موضع قد خرب وقد كان عامرا حسنا أهلا بها بئر. وزباله حصن عامر وآبار عجيبة في الصخر وعدة آبار صغار وربما أودع بها الحاج من ازوادهم ويقصدها عرب كثير بالأباعر والحشيش وغير ذلك وفيها فرج للحاج. والبطان بها آبار معطلة وموضع خربة. والثعلبية ثلث الطريق عامرة كثيرة البرك يسقى لها بالسواقي وفي الحصن سكان والبئر عذبي. وقبر العبادي في أول هذا المنهل عليه رجم عظيم وهذه مواضع رمال هبير. والخزيمية بها برك معطلة وآبار لا ينتفع بها. فيد مدينة صغيرة ذات حصنين وبها حمام وبركة بأبواب حديد وآثار، لعضد الدولة يوجد بها كل خير وبها يودع الحاج ازوادهم وثم ثقات وبها عيون وآبار وبرك عذبية، وبالبعده ماء حلو وهي من مدن انحجاز لا محالة ولكن أوصلنا إليها طريق القادسية لأن الحاجة إلى ذلك ماسة.

فإن قال قائل أنت رجل قد عملت في السياحة بيقين وعلم وعرفت أيضا طرق هذه البادية ومواقع المياه فيها فما تقول في الحج على التوكل والخروج بلا زاد. قيل له: يحكى عن سفيان بن عيينة أنه قال رجلان إذا استفتياك فقول عزمهما فإنهما يسألانك عن ضعف: أعزب يريد التزويج ومريد يسأل عن الحج بلا زاد. وحكي لي عن بعض الزهاد ببلدنا في وقتي أنه خرج في هذه البادية بلا زاد فلما تمت له ثلاثة أيام جاع قال فعثرت بشيء لين فنظرت فإذا برقاقة ملفوفة على خبيص حار. وأما أنا فخرجت من بعض السواحل عند العصر وأنا صائم وعزمت على الحج بلا زاد فلما وصلت إلى عاقر صليبت المغرب وانفتلت إلى زاوية الجامع أصلي، وكنت لا أفطر كل ليلة إلا بعد الوتر، وصليت العشاء فلما انصرفوا اتاني المؤذن بخبز وقطين وجرة ماء، وقد كنت نويت أن لا أحمل معي ركوة ولا كوزا وقلت الذي يرزق الطعام هويبعث بالماء أيضا، فتعشيت أطيب عشاء من حيث لم احتسب، فلما صليت الغداة ركبت الطريق إلى السكرية فلما صليت العشاء اتاني رجل برغيف رستاقي وكوز ماء، فاكلت وشربت، وسرت من الغد إلى أن بلغت رأس الزاوية فدفعت ما كان علي من ثياب إلى بعض الطوافين وأخذت منهم مدرعة شعر ونعلا خلفا ومنديلا رثا، وسرت إلى العصور وأنا لا أطعم في عشاء فترأى لي حصن

فقصدته فلما دخلت الباب إذا ثم رجل من بيت المقدس فعانقني ورحب بي وجعل يذكر لأهل الحصن محلي، فحمل إلي صنوف الطعام والذئار فهربت منهم في السحر وسرت، إلى بعد العصر فإذا قوم من المغرب فامسكوني وقالوا أنت جاسوس، فلما صليت بهم المغرب اعتذروا إلي واضافوني، ثم خرجت من الغد أسير إلى أن بلغت الكسيفة فلم أر بها ديارا فإذا بخمس فوارس قد اقبلوا فساقوني كرها إلى موضع لهم وأسافوني، فلما رأيت أني كل ليلة في دعوة وإن الله يرذني إلى خلف قصدت بلدي وحجبت في تلك السنة بالزاد والراحلة.

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني في أقاليم العجم أوله إقليم المشرق.

الجزء الثاني

أقاليم العجم

هذا ذكر أقاليم الأعاجم الثمانية وشرح أسبابها على ترتيب التخوم وأهلها أحسن أحوالا وأكثر أموالا وأشد بأسا وأعظم خلقا وأرسخ في العلم وأمكن في الدين. لهم في الخير رغبة وفي الأعمال حسبه. تجري خلال أقاليمهم الأنهار، وتلتف بضياعهم الأشجار. وسنفضل أوصافهم ونشرح أسبابهم في أقاليمهم ونقدم في هذا الفصل ما يجب تقديمه.

بلغنا عن أبي المنذر هشام بن السائب أنه قال: لما ظفر قتيبة بن مسلم بفيروز بن كسرى، أخذ ابنته شاهين ومعها سبط، فبعث بها إلى الحجاج فحملها إلى الوليد، وفتح السبط فإذا فيه بسم الله المصور ميز قباذ بن فيروز إقليمه ووزن المياه والتراب ليني لنفسه مدينة ينزلها، فوجد أنزه بقاع الأرض إقليمه بعد أن بدأ بالعراق التي هي سرّة الأقاليم فوجد أنزهها ثلاثة عشر موضعا: المدائن والسوس وجنديسابور وتستر وسابور واصفهان والري وبلخ وسمرقند وأبيورد وماسبدان ومهرجانقذق وقرماسين. ووجد أبرد إقليمه دبيل وهمدان وقزوين وجوانق ونهاوند وخوارزم وقاليقلا. ووجد أوبا إقليمه البندينجين وجرجان وخوار الري وكش وبرذعة وزنجان. ووجد اقحط إقليمه ميسان ودلست ميسان وبادرايا وباكسايا وماسبدان والري واصفهان. ووجد ابخلهم خراسان واصفهان وأردبيل وبادرايا وباكسايا وإصطخر وشيراز وفسا. ووجد أخصبها أرمينية وأذربيجان وجور ومكران وماء الكوفة وماء البصرة وأرجان ودورق. ووجد أجملهم المدائن وكلواذى وسابور وإصطخر وجنابة والري وقم واصفهان والنشوى. ووجد اعقلهم سبعا عكبرا وقطربل وعقرقوف والري واصفهان وماسبدان ومهرجانقذق. ووجد اقنطهم أهل إسكافين وكسركر وعبدس ومرو والري. ووجد أعلمهم بالسلاح همذان وحلوان واصفهان وشهرزور وخوارزم والنشاش وأسبيجاب. ووجد أخف المياه عشرة دجلة والفرات وجيحون وجنديسابور وماسبدان وقزوين وماء سورا وماء ذات المطامير وماء فنجاي. ووجد أمكرهم أحد عشر خراسان واصفهان والري وهمذان وأرمينية وأذربيجان وماسبدان ومهرجانقذق وتستر والمذار وأرتوان. ووجد شر الفواكه بالمدائن وسابور وارجان والري ونهاوند وماسبدان وحلوان. ووجد اقلمهم نظرا في العواقب النوبندجان وماسبدان وسيراف ورام هرمز وأرمينية وأذربيجان واصطخر. ووجد أسفلهم ستة النوبندجان وبادرايا وباكسايا وويهند ونهاوند واصفهان. ولم يجد بين دجلة وعقبة همذان أنزه من قرماسين فأنشأها لنفسه ثم بنى الأكاسرة بعده من المدائن إلى العقبة ما ترى.

ووجدت في كتاب بخزانة عضد الدولة فصلا في المنتزهات مسجعا وزدت فيه ما لا يجب تركه لاشتهار ذكره وطيبه وليجمع الفصل منازة الأرض ويشفي صدور الخلق. وقال: أحسن الأرض مخلوقة الري وفيها السر والسربان، وأحسنها مصنوعة جرجان، وأحسنها معروفة طبرستان، وأحسنها مستخرجة نيسابور ولها بشنقان، وأحسنها قديمة وحديثة جنديسابور ولها الأبان، ومرو ولها رزيق وماجان، وغوطة دمشق ولها الزاربان، ونصيبين ولها الهرماس، وإيليا ولها البقعة وماماس، والصيمرة ولها الحصنان، ولفارسم شعب بوان، ونهر الأبله تحار فيه العينان، ولا يتمارى في نزهة صغد اثنان، وبلخ ولها بروان، ونهاوند ورياض اصفهان، وعلى البحرين قيسارية وعمان، وباليمن الأعجوبة صنعان، ولا تسأل عن جبرفت كرمان، وعن بست وموقان، وسواد بخارا فله شأن، وسنذكر النشاش وفسا وسابور وحلوان، وجلت قرى الرملة بلا نهر بزيتون وإتيان، وقد ذكرنا لك تاهرت وجيان، وقد مد من الكوفة نهر ونخيل وأشجار بريدان، فهذا قولنا في منازة الأرض بعرفان.

وأعلم أن أكثر بلدان الأعاجم موضوعة على اسم من أنشأها وبنائها نذكر ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى. وكلام أهل هذه الأقاليم الثمانية بالعجمية إلا أن منها درية ومنها منغلقة وجميعها تسمى الفارسية واختلافها بين وانعجامها مشكل وسنبين ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى ونقر به جهدنا ونذكر من كلام كل قوم حروفا يستدل بها على مواضعها من سمعها في الأفاق وبالله التوفيق

إقليم المشرق

هو أجل الأقاليم وأكثرها أجلة وعلماء ومعادن الخير ومستقر العلم وركن الإسلام المحكم وحصنه الأعظم، ملكه أجل الملوك وجنده خير الجنود قدم أولو بأس شديد ورأس شديد، واسم كبير ومال مديد، وخيل ورجل وفتح ونصر. وقوم كما كنت إلى عمر لباسهم الحديد وأكلهم القديد وشربهم الجليد. ترى به رساتيق جليلة وقرى نفيسة وأشجارا ملتفة وأنها را جارية ونعما ظاهرة ونواحي واسعة ودينا مستقيما وعدلا مقيما في دولة أبدا منصوره مؤيده، ومملكة جعلها الله عليهم مؤبده. فيه يبلغ

الفقهاء درجات الملوك، ويملك في غيره من كان فيه مملوك. هو سد الترك وترس الغز وهول الروم ومفخر المسلمين ومعدن الراسخين، ومنعش الحرمين وصاحب الجانبين، وجزيرة العرب أوسع منه رقعة غير أنه أعمر منها وأكثر كورا وأموالا وأعمالا. وقد جعله أبو زيد ثلاثة أقاليم خراسان وسجستان وما وراء النهر، وأما نحن فجعلناه واحدا ذا جانبين يفصل بينهما جيحون. ونسبنا كل جانب إلى الذي اختطه وبناءه، ومثلنا كل جانب ووصفناه على حدة لكبر الإقليم وعمارته وكثرة كوره ومدنه. فإن قال قائل ولم لم تجعل كل جانب إقليما كما هو متعارف عند الناس ألم تعلم إنهم يقولون خراسان وما وراء النهر، قيل له ومن المتعارف أيضا أن من تخوم قومس إلى طراز تسمى خراسان، أولم تعلم أن آل سامان يسمون ملوك خراسان ومقامهم بهذا الجانب مع أنا لم نسب هذا الجانب خراسان حتى يلزما ما قلت. فإن قال فلم أدخلت فيه سجستان وخالفت المتقدمين في هذا العلم، قيل له قد تعارف الناس أيضا إنها من خراسان، ألا تعلم إنهم يخطبون لآل سامان ولو جعلنا سجستان إقليما لوجب أن نجعل خوارزم إقليما لشدة عمارتها وكثرة مدنها وخلافهم في اللسان والطبع والرسوم وهذا ما لا يجوز ولم يقل. فإن قال ولم جعلته جانبين قيل كما كان اليمن جهتين، والمغرب قطعتين، وقد سبق القول فيه. واعلم أن هذا الإقليم عمره أخوان هيطل وخراسان إينا عالم بن سام بن نوح، وهذا الجانب يسمى جانب الهياطلة.

جانب هيطل

اعلم أن هذا الجانب أخصب بلاد الله تعالى وأكثرها خيرا وفقها وعمارة ورغبة في العلم واستقامة في الدين. وأشد باسا وأغلظ رقبا وأدوم جهادا وأسلم صدورا وأرغب في الجماعات مع يسار وعفة ومعروف وضيافة وتعظيم لمن يفهم. وعلى الجملة الإسلام به طري والسلطان قوي، والعدل ظاهر والفضيلة ماهر والغني سالم والمحترف عالم والفقير غانم، قل ما يقحطون منابره أكثر من أن توصف، ونواحيه أوسع من أن تتعت، غير أنا قد اجتهدنا طاقتنا وأفرغنا استطاعتنا. وهذه صورته ومثاله.

وقد جعلنا هذا الجانب ست كور وأربعة نواح، فأولها من قبل مطلع الشمس وحد الترك: فرغانة ثم إسبيجاب ثم الشاش ثم أشروسنة ثم الصغد ثم بخارا. وفي الصغد كلام كثير والنواحي: إيلاق، كش، نسف، الصغانيان.

فأما فرغانة فإنها كورة في زاوية الإقليم، من تلقاء الطلوع قبل يسار المنحدر. كثيرة الخير، يقال أن بها أربعين منبرا. قصبتهما أحسبكت ومن مدنها: الميانروذية، نصراباذ، منارة، رنجد، شكنت، زاركان، خيرلام، بشيشان، أشتيقان، زرنرامش، أوزكند. ومن النسائية: أوش، قبا، برنك، مرغينان، رشتان، وانكت، كند. ومن الواغزية: بوكند، كاسان، باب، جارك، أشنت، توبكار، أوال، دكرکرد، نوقاد، مسكان، بيكان، جدغل، شاوردان.

وأما إسبيجاب فإنها على تخوم الإقليم المعتدلة، القصبه على اسمها، ومن مدنها: خورلوق، جمشلاغو، أرسبا نيكت، باراب، شاوغر، سوران، ترارزراخ، شغلجان، بلاج، بروكت، بروخ، يكانكت، أدخكت، ده نوجيكت، طراز، بالوا، جكل، برسخان، اطلخ، جموكت، شلجي، كول، سوس، تكابكت، ده نوي، كولان، ميركي، نوشكت، لقرا، جموك، أردوا، نويكت، بلاسكون، لبنان، شوي، أبا لغ، مادانكت، برسبان، بلغ، جكركان، يغل، يكالغ، روانجم، كتاك، شور، جشمه، دل، أواس، جرکرد.

وأما الشاش فهي خلفهما، قصبتهما بنكت ومن مدنها: نكت، جينانجكت، نجاكت، بناكت، خرشكت، غرچند، غناج، جبوزن، وردك، كيرنه، نمدوانك، نوجكت، غزك، أنوكت، بشكت، بركوش، خاتونكت، جيجوكت، فرنكد، كداك، نكالك، بارسكت، أشتوركت، البيكت، كباشكت، غناج، ده كوران، تل أوش، غزکرد، زرانكت، دروا، فردكت، اجخ.

وايلاق ناحيتها، قصبتهما تونكت، مدنها: شاوكت، بانخاش، نوكت، بالايان، أربلخ، نموذغ، تكث، خمرك، سيكت، كهسيم، ادخكت، خاس، خجاكت، غرچند، سام، سرك، بسكت.

وأما أشروسنة فإنها تتصل بهذه الكورة، قصبتهما بنجكت، ومن مدنها: ارسبانيكت، كردكت، غزق، فغكت، ساباط، زامين، ديزك، نوجكت، قطوان، دزه، خرقاتنة، خشت، مرسمندة ولها سبعة عشر رستاقا: بشاغر، مسحا، برغر، وقر، بانغام، مينك، بسكر، ارسبانيكت، البتم لا مدائن لهذه. والبواقي يوافقن مدائنها في الأسامي.

أما الصغد فإن قصبتها سمرقند وهي مصر الإقليم، ولها اثنا عشر رستاقا، ستة جنوبي النهر: بنجكت. ثم ورغسر ثم مايمرغ ثم سنجر فغن ثم الدرغم ثم أوفر فأما الشمالية فاعلاها: ياركت ثم بورنمد ثم بوزماجن ثم كيونجكت ثم وذار ثم المرزبان في بعضها مدائن نصفها في الرساتيق وبقية مدن الكورة ريودد، أبغر، إشتيخن، كشاني، دبوسية، كرمينية، ر بنجان، قطوانة.

وأما بخارا فإنها كورة غير واسعة الرقعة، إلا أنها عامرة حسنة. يدور على خمس من مدنها حائط سعته اثنا عشر فرسخا في مثله ليس فيه أرض باثرة، ولا ضيقة عطلة. اسم قصبتها نموجكت، ومن مدنها: بيكند، الطواويس، زندنه، بمجكت، خجادي، مغان، خرغانكت، خديمنكن، عروان، بخسون، سيكت، جرغر، سيشكت، أرياميثن، ورخشي، زرميثن، كمجكت، فغرسين، كشفغن، نويدك، وركى. ولها ناحية كش ولها: نوقة، قريش، سونج، اسكيفغن. ونسف ولها: بزدة، كسبة. والصغانيان ولها: دارزنجي، با سند، بهام، زينور، بوراب، ريكدشت، بارياب، شومان، هنيان، دستجرد. ولها ستة عشر ألف قرية.

وأما الإختلاف في هذه الكور والنواحي فإن الجيهاني ذكر في كتابه أن الصغد كصورة إنسان رأسه بنجكت ورجلاه الكشانية وظهره أوفر وبطنه كيونجكت وتركسفي ويده مايمرغ وبوزماجن، وجعل طوله ستة وثلاثين فرسخا في ستة وأربعين فرسخا. وقال منبرها الأجل سمرقند ثم كش ثم نسف ثم الكشانية إلى آخره. وقال غيره قسبة الصغد إشتيخن وفصلها عن سمرقند وجعل بخارا أيضا من الصغد، واحتج بأن النهر من أصله إلى بخارا يسمى نهر الصغد وهذا خطأ، ألا تعلم أن نهر الأردن بفلسطين يسمى أيضا نهر الأردن ولم يقل أحد أن أغوار فلسطين من الأردن وإنما قولهم نهر الصغد أي إنه يمد من الصغد ويسقي فيها. وإن شرعنا في الاحتجاج إلى ما ذهبنا وترجيحه على ما سواه طال كتابنا وإنما غرضنا في ذكر هذه المقالات وإيضاحها لئلا يظن الناظر في كتابنا إنها غابت عنا، مع أن أبا زيد البلخي قد ذكر في كتابه فصلا يغني أولي البصائر عن الاحتجاج في هذا الباب أراد به تصحيح ما صور لا وضع الكور، لأن أحدا لم يتقدمنا إلى تفصيل كور الأقاليم وهو أنه قال: ليس في جمع هذه الأطراف بعضها إلى بعض ولا في تفريقها كبير درك غير الإبانة عما في أعراضها من المدن والأنهار وسهولة العبارة في التفصيل والصور، ولعمري قد صدق ليس فيه أبطال حق ولا إثبات، ألم تعلم أن صدور الأمة قد رأوا آراء وقدموا وأخروا وورثوا وحرموا وأحلوا وحرموا وجوزوا وأبطلوا وتلقاه الناس بالقبول وسكنت إليه قلوبهم ولم ينكر هذا عليهم عاقل بل به أمر النبي صلى الله عليه وسلم معاذ لما بعثه إلى اليمن وعمل به الصحابة فلا عجب أن نرى نحن أيضا في هذا العلم آراء ويكون لنا فيه قياس واختيار. فاخترنا أن نجعل الصغد من جملة سمرقند ومدنها من أجنادها وننصبها مصرا لهذا الجانب لأنها أقدم وأوسع وأكثر رساتيق. فإن قال قائل لم تجعل المصر بخارا إذ هي دار المملكة وموضع الدواوين، قيل له كون الملوك بها لا يوجب أن تكون هي المصر لأن بخارا بلد تبركت به ملوك آل سامان ورحلوا إليه من سمرقند، وأيضا فإنه لا يجوز أن نجعل سمرقند ونيسابور على جلاتهما قودا لبخارا لأن هذه العلة التي ذكرت توجب أن تكون نيسابور أيضا قائدا لبخارا. فإن قال اليس لما نزل ولد العباس مدينة السلام صارت مصر الإقليم فهلا قست عليها بخارا، قيل له الجواب عن هذا سهل وذلك أن أمصار العراق محدثة أبدا ينسخ في الاسلام بعضها بعضا، ألا تعلم أنه كانت الكوفة ثم الأنبار ثم بغداد ثم صارت سامرا ثم عادت إلى بغداد، وأمصار المشرق قديمة لا ينقص بعضها بعضا. فإن قال قائل أليس نيسابور قد نقصت طوس، قيل له لم يكن بطوس مصر قط فينسخ، وإنما انضافت إليها للعلة التي سنذكرها. فإن قال إن لم تنسخ طوس فقد نسخت مرو قيل له قد تحررنا من هذا بقولنا ينسخ في الاسلام بعضها بعضا ونيسابور إنما نسخت مرو بمجيء الاسلام فإذا كان الأمر على هذا السبيل علمت أن بخارا لم تنسخ سمرقند لأنها لم نجد لها نظيرا في الأصول، ألا تعلم إنه لما لم نجد في الأصول التقرب إلى الله تعالى بركعة لم يجز الوتر بركعة، فإن قال أليس قد نزل المأمون والرشيد قبله مرو قيل له لم ينزلاها على سبيل الأقامة وهذا ظاهر جلي.

أخسيكت: هي قسبة فرغانة بلد كبير خطير بالمشاجر المحيطة به والأنهار الفائضة إليه مع عمارة وخصب ورخص، وله مدينة داخلية يتخللها عدة من القني فتقلب في حياض لهم حسنة من الأجر والجص مصهرجة، والجامع ومعظم العمارات فيها ويحويها ريبض واسع فيه قهندز وأسواق يكون في عظم الرملة مرة ونصفا، كثيرة الخير باردة وفي أهلها غلظة وحمرة. نصراباذ: كبيرة قد التفت بها الأشجار من اسبيدال وحور، بناها ملك لابنه نصر وسماها له، ومنارة صغيرة على باب الجامع نهر. رنجد: ذات مزارع كثيرة ولها جامع نزيه في الأساكفة. شكت: كبيرة كثيرة الجوز حتى ربما وجدت ألف جوزة بدرهم والجامع في السوق. تسحان: كبيرة أهلة الجامع في الكرابيسيين. زاركان: متوسطة كثيرة الأرز نزهة غزيرة المياه على باب الجامع روضة مشجرة. خيرلام: كبيرة بها جامع حسن في الأسواق. بشبشان: كبيرة وللجامع باب يشرع إلى الميدان. أشتيقان: صغيرة الجامع في الأسواق. أوزكند: على بابها نهر يخاض ليس له جسر، يحيط بربضها حائط، ومدینتها عامرة فيها الأسواق والجامع والقهندز والماء يدخل إلى الجميع، ولها أربعة أبواب ولا أعلم في مدن هذه الكورة قهندزا غيره. أوش: كثيرة الأنهار لها فضائل وهي رحبة منعمة، جامعها وسط الأسواق، قريبة من الجبل كثيرة الخير واسعة المياه وبها رباط عظيم يقصده

المطوعة من كل جانبيها. قبا: هي أرحب وأوسع وأطيب وأنزهر وأعجب من القصبية وقد كان يجب في القياس أن تكون هي القصبية لكن لما كان التعارف عندنا مقدما على القياس عدلنا عنه لذلك، وهي مدينة وسطها ميدان وجامعها في الأسواق وقد قالت الحكماء فرغانة قبا، وما سواها حشيش وماء. برنك: صغيرة جامعها ظاهر البلد تلقاء سمرقند. مرغينان: صغيرة أيضا وجامعها ناء عن الأسواق على باب نهر. رشتان: كبيرة للجامع باب في الأسواق وآخر في الميدان ووانكت مثلها وبكند نهر يجري وسط الأسواق، وعد علي لهذه الكورة أربعون مدينة. خجندة: مدينة نزيهة ليس بهذا الجانب أطيب منها، وسطها نهر جار والجبل متصل بها وهي رأس الحد وقد مدحها العقلاء ونعتهما الشعراء.

أسبيجاب: قصبية خطيرة. لها ربض ومدينة عامرة، بها التيمات وسوق الكرابيس، والجامع بأربعة أبواب على كل باب رباط باب نوجكت باب فرخان باب شاكرانة باب بخارا، والرباطات رباط النخشبيين رباط البخاريين رباط السمرقنديين رباط قرانكين وثم قبره وسوق قد أوقفه غلته في كل شهر سبعة آلاف درهم يجري على الضعفاء الخبز والادام، ويقال أن بها ألفا وسبعمئة رباط وهي ثغر جليل ودار جهاد وعلى ربضها حصن وبها قهندز خرب، لا يعرفون القحط ولا الخراج، ولا للفواكه عندهم كثير مقدار، نفيسة طيبة وبلدة نزهة وعيشة راضية. إلا أنهم غاغة وفيهم سلامة وفي قلوبهم غلظة، معجبون بمذاهبهم وأنفسهم سواء أسيت أم أحسنت إليهم. أهل الرساتيق خير من أهل القصبية تراهم فيها سباعا وفي غيرها نعاجا. خورلوع: مدينة متوسطة فيها نهر بالأسواق لا حصن عليها ولا لها قهندز ولا رستاق. جمشلاغو: كبيرة رحبة بها ماء جار وقد رحل إليها كثير من الحشم والجامع ناء عن الأسواق. أرسبانيكث: نبيلة نظيفة محضنة الجامع بها والعمارات في الربض. باراب: هو اسم للرستاق وليس بالواسع، اسم أكبر مدائنه أيضا باراب وهي كبيرة تخرج نحو سبعين ألف رجل، عليها حصن فيه الجامع وأسواق وقهندز ومعظم الأسواق في الربض وبالحصن حوانيت يسيرة. وسيج: صغيرة عليها حصن وبها أمير قوي، والجامع في السوق. كدر: مدينة محدثة جرى وقت نصب منبرها حروب، وهم قوم فيهم بأس، ولأصحاب الحديث بها الغلبة. شاوغر: كبيرة واسعة الرستاق عليها حصن والجامع على طرف السوق، وهي في الجادة بمعزل. لسوران: كبيرة عليها حصون سبعة بعضها خلف بعض والربض فيها والجامع في المدينة الداخلة، وهي ثغر من الغز والكيماك. ترار زراخ: مدينة لرستاق خلف سوران نحو الترك وهي صغيرة محصنة لها قهندز وزراخ قرية في الرستاق. شغلجان: كبيرة وهي ثغر في وجه الكيماك عليها حصن كثيرة الخير. بلاج: مدينة صغيرة قد خرب حصنها والجامع في السوق وقد رجعنا نحو القصبية. بروكت: كبيرة وهي وبلاج ثغران على التركمانيين الذين قد أسلموا رهبة، قد خرب حصنها. بروخ: قديمة كبيرة والجامع في السوق. يكانكت: جليظة طيبة وهي مدينة خراخراف وثم رباطه وقبره. أذخكت: كبيرة عليها حصن فيه الجامع وربض عامر به الأسواق كثيرة الرباطات. ده نوجكت: مدينة صغيرة لها سوق ثلاثة أشهر أيام الربيع يكون اللحم المخلع أربعة أمماء بدرهم، وكانت كبيرة فلما فتح اسماعيل بن احمد الكورة خفت وهي مع ذلك كثيرة العمارات حصينة ولها قهندز. طراز: مدينة جليظة حصينة كثيرة البساتين مشتبكة العمارة لها خندق وأربعة أبواب ولها ربض عامر، على باب المدينة نهر كبير خلفه قطعة من البلد عليه درب، والجامع في الأسواق. جكل: صغيرة على صيحة من طراز، عليها حصن ولها قهندز والجامع في، السوق. برسخان: مدينة على صيحين من نحو المشرق، عليها حصن قد خرب والجامع في الأسواق. بهلو: أكبر من برسخان على يسار جكل بنصف فرسخ، لها خمسة رساتيق وقهندز والجامع في الأسواق. اطلخ: مدينة عظيمة تقارب القصبية في الرقعة، عليها حصن وأكثرها بساتين والغالب على رستاقها الأعناب، والجامع في المدينة والأسواق في الربض. جموكت: كبيرة عليها حصن والجامع فيه، والأسواق بالر بوض. شلجي: صغيرة كثيرة الغرباء يقال أن بها عشرة آلاف اصفهاني، ولها قهندز الجامع خارج منه، وهي بين الجبال، لهم نهر في وسطه سبع قرى. سوس: كبيرة وكول أصغر منها على كل واحدة منهما حصن ونهر. تكابكت: كبيرة نصفها كفار وهذه الثلاث مدن يقربن من جبال معادن الفضة. كولان: محصنة والجامع فيها وقد خفت وهي على جادة طراز. ميركي: متوسطة الرقعة محصنة ولها قهندز، وكان الجامع في القديم كنيسة وقد بنى الأمير عميد الدولة فائق خارج الحصن رباطا. أردوا: صغيرة بها ملك التركمان لا زال يبعث الهدايا إلى صاحب أسبيجاب، عليها حصن ولها خندق ملآن من الماء، ودار الملك في القهندز. حران: الغالب عليها الكفار وسلطانها مسلم، عليها حصن فيه قهندز يسكنه الدهقان. ولاسكون: كبيرة أهلة كثيرة الخير. وبقيّة المدن يتقارب بعضها من بعض في الرقعة والعمارة.

بنكت: هي قصبية الشاش واسعة الرقعة فسيحة المنازل أقل بيت إلا وفيه البستان والاصطبل والكرم، وجملة وصفها أنها بلد قد قابل خيره شره وساوى مفاخرة عيوبه هي كثيرة الخير والفتن لسان مليح وهرج قبيح أحسن ما تراها عامرة إلا وقد خربت ومستقيمة إلا وقد تشوشت، أهل سنة مع عصبية وأهل منعة غاغة عدة للسلطان ومشغلة، صالحهم نفيس وطالحهم خسيس في العلم راغبون وبالمذهب معجبون يحكمون عمل القسي إلا أن أطرافها رخوة حسان إلا أن فيهم بردا شهام وفيهم بله اسخياء مع عنف برد شديد وثمار كثير معاش قليل وأسعار رخيصة تكون فرسخا في مثله غير أن البساتين على ما ذكرنا ولها ربضان على كل ربض حصن، وأبواب المدينة باب أبي العباس باب كش باب الجنيد والقهندز خلفها له باب يفتح إليها وباب

إلى الربيض، وللربض الداخل ثمانية دروب درب رباط احمد الحديد درب الأمير درب فرخان درب سوركده درب كرمابج درب سكة خاقان درب قصر الدهقان، وعلى الربيض الخارج سبعة دروب درب فرغكد درب خاسكت درب سنديجا درب الحديد درب بركردجا درب سكرك درب در تغرباذ، والجامع على حائط القهندز ومعظم الأسواق بالربيض. أشتوركت: تكون مثلها في الرقعة عليها حصن وبها ماء جار وتيمات حسنة. بناكت: مثل اشتوركت أهل شغب ليس عليها حصن، الجامع في السوق. جينانجكت: ليس عليها حصن، بنيانهم خشب ولبن، وسائر المدن قريبات مما وصفنا ذوات مياه جارية وأشجار ملتفة. تونكت: على جرف كبيرة عامرة وهي قسبة ايلاف ومدنها عامرات تكون مثل نصف بنكت، ولها قهندز ومدينة وربض ودار الإمارة في القهندز والجامع خارجه وفي المدينة أسواق وبقيتها بالربيض، ولهم ماء جار يدخل المدينة وهي منعمة طيبة وبها دهقان قوي.

ثونجكت: هي قسبة اشروسنة بلد كبيرخصيب خطيرماء غزيروخلق كثير، ملتفة بالبساتين حسنة البيوت على ما ذكرنا من الشاش، غير أن هؤلاء أسلم صدورا وأقل تخليطا، لها مدينة بيايين باب المدينة باب الأعلى، والجامع فيها والقهندز خارج عنها، ولها ربيض واسع بأربعة دروب درب زامين درب مرسمندة درب نوجكت درب كهلباذ، وبها ستة أنهار تحرقها سوى النهر الأعظم الذي إليها، وهي في غاية الطيبة والنزهة. زامين: ذات جانبين بينهما نهر عليه جسور صغار والجامع على يمين الخارج إلى سمرقند، والأسواق في الجانبين، وهي على الجادة. ساباط: عامرة جل أسواقها مظلمة بسقوف قصار، وبها عين ماؤها جار يحدق بها بساتين ويجمع الطرق فيها. مرسمندة: جليلة لها ماء جار بلا بساتين، شديدة البرد، بها أسواق عامرة، الجامع على ناحية من السوق. خشت: بين جبال عامرة خصبة القرى قريبة من معادن الفضة، وسائر المدن قريبات مما ذكرنا. سمرقند: قسبة الصغد ومصر الاقليم، بلد سري جليل عتيق، ومصر بهي رشيق. رخي كثيرالرقيق، وماء غزير بنهر عميق. بناء قوي سني وثيق، ودرس كثير لأهل الفريق. وعيش هني إليها الطريق، وحمل المتاع من كل فج عميق، علوم كثيرة وصدر دفيق، وخيل ورجل ومال دفيق. ذو رساتيق جليلة ومدن نفيسة وأشجار وأنهار، وتناء وتجار. في الصيف جنة، أهل جماعة وسنة. ومعروف وصدقة، وحزم وهمة. غير أن في أهلها وهوانها بردا جفاة مع الغرباء، بلية في الشتاء. يشغبون على الأمراء، وفيهم نفخ وعجب ومرءاء. جيدة الجوارى ردة الغلمان. على جانب النهر وسطها مدينة بأربعة أبواب باب الصين باب نوبهار باب بخارا باب كش، وللربض ثمانية دروب درب غداود درب إسبسك درب سوخشين درب افشينة درب كوهك درب ورسنين درب ريودد درب فرخشيد، بناؤهم طين وخشب، أعمر موضع بها رأس الطاق والجامع في المدينة عند القهندز ومعظم الأسواق بالربيض، وعلى المدينة خندق والماء يدخل إليها في قناة من رصاص فوق الخندق. بنجكت: رستاق كثير الثمار خصب مشجر بالجوز وغيره. ورغسر: اسم الرستاق والمدينة معا وهو دون الأول. مايمرغ: ليس في جميع الرساتيق أكثر قرى وأشجار وخيرات منه، وبها كان مقام الإخشيد ملك سمرقند وثم قصوره. سنجرغغن: رستاق صغير قليل القرى غير أنه عامر وأصح الرساتيق هواء وثمارا طوله نحو مرحلتين. الدرغم: هو ازكى الرساتيق وأكثرهن مراعي ومياها طوله نحو من مرحلة. أوفر: هو رستاق عامته مباحس كثير القرى أهله أصحاب مواش طوله نحو من مرحلتين، ويقال إن غلاته إذا أقبلت قامت بالصغد كله وبخارا سنتين. ياركث: هو أعلى الرساتيق الشمالية يتاخم اشروسنة، شرب مزارعهم من عيون، كثير المباحس والمراعي زكي المزارع. بورنمد: قليل القرى صغير. بوزماجن: يتصل بياركت مدينته أباركت وهو أعرض رساتيق هذا الوجه وأكثرها قرى، يكون مرحلة في مثلها. كيودنجكت: مشتبك القرى والأشجار مدينته على اسمه. وذار: مدينته على اسمه كثير المزارع سهل وجبل ومباحس وسقي. المرزبان: ليس به منبر. كشاني وإشتيخن: مدينتان جليلتان ولا تسأل عن طيبهما وعمارتهما وخيراتها وهما من الصغد في كل مقالة، طول رستاق اشتيخن خمس مراحل في عرض مرحلة، وعرض الكشاني نحو مرحلتين في مثلهما وهما من قبل الشمال.

نموجكت: هي قسبة بخارا، قد شابتهت الفسطاط في العفن وسواد الطين وسعة الأسواق، وشاكلت دمشق في البنيان والسواد وضيق البيوت وكثرة الأجنحة، وهي في سهلة. كل يوم في زيادة ومدينتها في غاية العمارة، لها سبعة أبواب محددة باب نور باب حفرة باب الحديد باب القهندز باب بني سعد باب بني أسد باب المدينة وخلفها قهندز قد استولهي عليه السلطان فيه خزائنها، والحبوس له بابان باب السهلة وباب الجامع، والجامع في المدينة له رحبات عدة نظاف كلهن، وكل مساجدها بهية وأسواقها نفيسة، وللربض عشرة دروب درب الميدان درب إبراهيم درب مردكشان درب كلاباد درب نوبهار درب سمرقند درب فغاسكون درب الراميثنية درب حدشرون درب غشج، وقد جاوزها العمارة وداخلها عشر دروب آخر إليها، كانت العمارة في القديم تخالف بعض هذه في الأسماء ودار الملك في السهلة تقابل القهندز وتستدير القبلة ولم أر في الاسلام بابا أجل ولا أهيب من هذا الباب، ولا في الإقليم بلد أشد عمارة وأكثر زحاما على سكناه من هذا، مبارك على من قصده منعش لمن تعيش فيه رفق بمن سكنه، به أطعمة مرية وحمامات طيبة وشوارع واسعة وماء خفيف وبناء ظريف، رفقة في المطاعم والمعاش كثيرة الفواكه والمجالس أمرهم في الجماعات عجب وللعوام فقه وأدب، كثيرة المرابطين قليلة الجاهلين ومستقر

ملوك المسلمين، غير أنها ضيقة البيوت كثيرة الحريق منتنة مبرغثة حارة باردة آبار مالحة وأنهار مذمومة ومستراحات مؤذية وطينة وحشة ومسكن عالية وتيمات غامة ولواطة ظاهرة، هي كنيف الجانب وأضيق بلدان المشرق، وقد رحل إليها أقوام أظهروا الفساد وأساعوا المعاملة وتهاونوا بالجماعات، ونشأ حشم لبسوا الحرير والديباج وشربوا في أواني الذهب والفضة وهونوا أمور الدين. طواويس: جليلة لها سوق يقوم في كل سنة، وقد خرب حصنها ونأى جامعها وطال سوقها وكثر خيرها. زندنة: هي من قبل الشمال، كثيرة الضياع لها حصن به الجامع وربضها عامر. خجادی: كبيرة عليها حصن فيه الجامع، حسنة ظريفة. مغان: لها حصن وربض حسن وجامع ظريف به ماء جار، كثيرة القرى. بمجكت على ما ذكرنا، فهذه المدن الخمس داخل الحائط. بيكند: من نحو جيحون على حد الرمال، عليها حصن بباب واحد فيه سوق عامر وجامع في محرابه جواهر، وتحتها ربض فيه سوق ونحو ألف رباط عامرة وخراب، ولها فضائل ولجامعها نور. أفشنة: من نحو الغرب كثيرة الغزاة واسعة العمل نزهة. أمدي: غربي بيكند على فم المفازة لها حصن. أوشر: كبيرة كثيرة البساتين من نحو الترك تعد قرية. أرياميثن: هي بخارا القديمة كبيرة خربة الأطراف. ورحشى: كبيرة لها حصن وخندق يدور فيه الماء. زرميثن: لها قهندز وحصن والجامع وسط المدينة. بخسون: كبيرة لها حصن وقهندز. وسائر المدن على ما ذكرنا وههنا قرى كبار لا يعوزها من رسوم المدن وآلاتها ألا الجامع، لأن الأمير ببخارا والمقدم عند السلطان والمتمثل رأيه أصحاب أبي حنيفة وعدنا لا جمعة ولا تشریف إلا في مصر جامع يقام فيه الحدود وكم تعب أهل بيكند حتى وضعوا المنبر.

كش: بلد كبير له مدينة وربض، وأخرى متصلة بالربض الداخلة مع قهندزها خراب والخارجة عامرة ودار الأمانة خارج المدينة والجامع في المدينة الخربة والأسواق في الربض، بناؤهم طين وخشب مثل بخارا، وهي خصبة ومنها تحمل البواكير، للمدينة الداخلة، أربعة أبواب الحديد باب عبيد الله باب القصاصين باب المدينة الداخلة، وللخارجة بابان باب المدينة الخارجة باب بركنان، وبها نهران كبيران نهر القصارين ونهر أسرود يجريان على باب المدينة، وهي مدينة سرية لو لم تكن وبية. نسف: يسمونها نخشب نفيسة لها قهندز خراب، وربض عامر في مستواة، والنهر يشقها ودار الأمانة على ضفته عند رأس القنطرة، ولها ربض الجامع فيه عند الأسواق، وهي كثيرة الأعناب الجيدة والمزارع العذبة الطيبة كبيرة إلا أن ماءها ضيق ونهرها ينقطع وأهلها غاغة وبها عصبيات وحشة وهم قوم سوء يصلحون للشرط، وكسبة أكبر منها وبزدة أصغر. الصغانيان: هي ناحية شديدة العمارة كثيرة الخيرات، والقصبية على هذا الاسم أيضا تكون مثل الرملة إلا أن تلك أطيب والناحية مثل فلسطين إلا أن هذه أرحب، مشاربهم من أنهار تمتد إلى جيحون غير أن موادها تنقطع عنه في بعض السنة، والناحية تتصل بأرض ترمذ، فيها جبال وسهولة يتأخما قوم يقال لهم كيجي وترك كنجينة، بها ستة عشر ألف قرية وتخرج نحو عشرة آلاف مقاتل بنفقاتهم ودوابهم إذا خرج على السلطان خارجي، وأسواق القصبية مغطاة ظريفة خبز رخيص ولحم كثير وماء غزير والجامع وسط السوق لطيف على سوارى أجر بلا طيقان، في كل بيت ماء جار قد التفت بها الأشجار، وهي من معادن أجناس الطيور وموضع الصيد طيبة في الشتاء كثيرة الأمطار والثلوج حشيشها عجب يغيب فيه الدواب، أهل جماعة وسنة يحيون الغريب والصالحين إلا أنها قليلة العلماء خالية من الفقهاء. دارزنجي: طيبة من نحو جيحون، عامة أهلها صوافون يعملون الأكسية، شربهم من نهر والجامع وسط الأسواق ولهم نهر آخر على طرف البلد. باسند: من نحو الجبال رحبة كثيرة البساتين، وسنكردة مثلها. شومان: من الأمهات عامرة طيبة. دستجرد: كبيرة موضوعة بين نهرين من شعب جيحون. قواديان: شبه ناحية على جيحون نذكرها في شرح نواحيه، وسائر مدن الصغانيان طيبة عامرة.

ذكر جيحون وما عليه

هذا نهر يشق الإقليم ويفيض في بحيرة خوارزم، وعليه كور جليلة ومدن عدة، وينشعب منه أنهار كثيرة ويقلب إليه الأنهار الستة، فأما الكور: فالختل ثم قواديان ثم خوارزم. وأما المدن: فترمذ ثم كالف ثم نويدة ثم زم ثم فربير ثم أمل. وسنصف الجميع قبل شروعا في شرح كور خراسان لأن من الناس من يسمي هذه المواضع ما وراء النهر وسائر هيطل بلد العجم إلى حد الترك، ومنهم من جعل خوارزم من جانب هيطل، وإنما أكبر مدنها بخراسان، فاحترزنا بهذا التفصيل عن هذه المقالات وبالله التوفيق.

فأما خوارزم: فهي كورة على حافتي جيحون قصبيتها العظمى بهيطل ولها قصبه أخرى بخراسان، وهم يخالفون أهل الجانبين في الرسوم واللسان والخلق والطباع، وهي كورة جليلة واسعة كثيرة المدن ممتدة العمارة على عمل بلاد الروم وسجستان وكازرون لا ينقطع المنازل والبساتين، كثيرة المعاصر والمزارع والشجر والفواكه والخيرات، مفيدة لأهل التجارات، أهل فهم وعلم وفقه وقرائح وأدب وأقل إمام في الفقه والأدب والقرآن لقبته إلا وله تلميذ خوارزمي قد تقدم وزجا، إلا أن فيهم إنغلاقا ولا لهم ظرف ولا لباقة ولا آئين ولا لطافة، رغفانهم صغار وفراسخهم كبار، قد رزقهم الله تعالى الرخص والخصب وخصهم

بصحة القراءة والذهن، أهل ضيافة ونهمة في الاكل وبأس وشدة في الحرب ولهم خصائص وعجائب، ويقال أن ملك الشرق في القديم قد غضب على أربعمائة رجل من أهل مملكته وخاصة الحاشية فأمر بحملهم إلى موضع منقطع عن العمارات بحيث يكون على مائة فرسخ منها فاتفق ذلك بموضع كان فلما بعد مدة مديدة بعث أقواما يعطونه خبرهم، فلما صاروا إليهم وجدوهم أحياء قد بنوا لانفسهم كخاخات ورأوهم يصيدون السمك ويتقوتون به وإذا ثم حطب كثير. قال: فلما رجعوا إلى الملك أعلموه بذلك، قال: فما يسمون اللحم قالوا: خوار، قال: والحطب، قالوا: رزم، قال: فإني قد أقررتهم بتلك الناحية وسميتها خوارزم، وأمر أن يحمل إليهم أربعمائة جارية تركيات فإلى اليوم قد بقي فيهم شبه من الترك. قال: وقد كان الملك لما نفاهم إلى خوارزم شق إليهم نهرا من عمود جيحون يعيشون به وكان العمود ينتهي إلى مدينة خلف نسا يقال لها بلخان. قال: فوقع إليهم أمير تلك المدينة. قال: فرأى قوما فيهم جلادة فنادم ملكهم ولاعبه فقهره الخوارزمي وقد كان الدست على أن يعطيهم ثقبه النهر يوما وليلة فوفى له، فلما أرسله غلب الماء ولم يمكن حبسه، وبقي إلى اليوم فشقوا منه أنهارا وبنوا عليه مدنا وخربت بلخان، وسمعت طائفة من أهل نسا وأبيورد يذكرون إنهم يذهبون إلى بلخان ويحملون من ثم بيضا كثيرا، قالوا: وأبقار ودواب قد توحشت، قلت: فلم رؤوسكم تخالف رؤوس الناس، قالوا: إن قدامنا فعلاوا ثلاثة أشياء غلبوا بها أهل البلدان أما الواحدة فانهم كانوا يغزون الترك فيأسرونهم وفيهم شبه من الترك فما كانوا يعرفون فربما وقعوا إلى الاسلام فبيعوا في الرقيق، فأمروا النساء إذا ولدن أن يربطن أكياس الرمل على رؤوس الصبيان من الجانبين حتى ينبسط الرأس، فبعد ذلك لم يسترقوا ورد من وقع منهم إلى الكورة. والثانية جعلوا الدرهم أربعة دوانق لئلا يخرجها التجار من عندهم فإلى اليوم الفضة تحمل إلينا ولا تخرج من عندنا. وأتت الثالثة. وأعلم أن مثل خوارزم في إقليم المشرق كسجلماصة في المغرب، وطباع خوارزم كالبربر، وهي ثمانون في ثمانين متصلة المنازل غزيرة الأنهار معدن السمك والاعنام. ومطرح الغز والترك اسم قصبته الكبرى كاث، ومن مدنها الهبطلية، غردمان، وإبخان، أردخيوه، نوكفاغ، كردر، مزداخكان، جشيرة، سدور، زردوخ، قرية براتكين، مدكمنييه. وإسم قصبتهم الخراسانية: الجرجانية. ومن مدنها: نوزوار، زمخشر، أوزارمند، وزارمند، د ساكخان خاس، خشميثن، مداميثن، خيوه، كردرانخاس، هزازاسب، جكربند، جاز، درغان، جيت، جرجانية الصغرى، جيت، سدفر، مساسان، كاردار، أندريستان.

كاث: يسمونها شهرستان وهي على الشط نحو نيسابور وهي شرقي النهر، لها جامع في وسط الاسواق على أساطين حجارة سود إلى قامة ثم فوقها سوارى الخشب، ودار الامارة وسط البلد، ولهم قهندز قد خربه النهر، ولهم أنهار في البلد، وهو نفيس ذو علماء وأدباء ومياسير وخيرات وتجارات، بناؤن حذاق وقراء ليس مثلهم بالعراق وحسن نغم وجودة قراءة ومنظر وخير، إلا أنها في كل حين يغلب عليها النهر ويتأخرون عن الشط، أوسخ من أردبيل كثيرة الميازيب إلى الطريق عامة تغطهم في الشوارع ويجمعون البلاذات في الحفائر ثم ينقلونها إلى السواد في المشافل لا يمكن الغريب أن يظهر إلا أن يضيء النهار من كثرة البلاذات وهم يدوسونها بأرجلهم إلى الجماعات، طبع غليظ وخلق بغيض وأكل فاحش وبلد وحش. غردمان: عليها حصن وخذق ملان من الماء سعته رمية سهم، لها بابان. وإبخان: عليها حصن وخذق وعلى الابواب عرادات. أردخيوه: على قم البرية عليها حصن بباب واحد تحت جبل. نوكفاغ: حولها نهر من جيحون إلى البرية وهي حصينة، وكردر أكبر وأحصن. مزداخكان: كبيرة حولها إثنا عشر ألف حصن ورستاق واسع. جشيرة: كبيرة عليها حصن. سدور: على حافة جيحون بحصن وربض والجامع وسط البلد في الحصن. زردوخ: كبيرة عليها حصن ولها ربض. قرية براتكين: كبيرة في مفازة بقرب الجبل ومن ثم تحمل الحجارة ولها سوق عامر الجامع فيه، بنيانهم من طين لين جيد، وسائر المدن عامرة محصنة إلا أن مزداخكان أكبرهن تقارب الجرجانية في الرقعة عليها بما يدور حصن. الجرجانية: هي قسبة ناحية خراسان على جيحون حتى أن الماء يمس جوانبها، وقد احتالوا في رده بالخشب والحطب حتى عاد شرقا وعمل عملا عجيبا ثم عطف بالماء في المفازة إلى قرية فراتكين وصار من ناحية واحدة، وشقوا منه أنهارا لشربهم على أبواب البلد، ولا تدخلها من ضيق المرضع وهي كل يوم في زيادة، وعلى باب الحجاج قصر بناه المأمون عليه باب ليس بجميع خراسان أعجب منه وقد بنى ابنه علي آخر قدامه على بابه سهلة تشاكل سهلة بخارا فيها تباغ الاعنام، وللبلد أربعة أبواب. نوزوار: صغيرة عليها حصن وخذق وأبواب حديد والجادة تشققها، لها بابان وجسر يرفع كل ليلة وعلى باب المدينة الغربي حمام ليس بالإقليم مثله، والجامع في الاسواق مغطى كله إلا قليلا. زمخشر: صغيرة عليها حصن وخذق ومحبس وأبواب محددة والجسور ترفع كل ليلة والجادة تشق البلد، والجامع ظريف بطرف السوق. روزوند: متوسطة في الرقعة محصنة بخذق والجادة فيها أيضا، والجامع على طرف السوق، وشربهم من عين لهم. خيوه: على قم المفازة رحبة على شعبة من النهر بها جامع عامر، وكذلك كردرانخاس وهزازاسب بأبواب خشب وخذق. جكربند: مثل خيوه على الشط، كثيرة الشجر والبساتين، سوقها كبير عامر، الجامع في طرفه والجادة تشققها. جاز: كبيرة بحصن وخذق واسع وجسور، والمدينة من الدرب إلى الدرب والجادة على معزل منه والجامع على طرفه. درغان: أكبرهن بعد الجرجانية، لها جامع حسن ليس بالناحية مثله فيه جواهر رفيعة وتزويق حسنة، على الشط لها خمس مائة كرم مذكورة طول موضع الكروم فرسخان ممتدة على الشط، معدن الزبيب. جيت: كبيرة

واسعة الرساتيق فى المفازة وهى ثغر محصنة على حد الغز ومنها المدخل إليهم. قواديان: كورة صغيرة تتصل بجيخون وتتاخم الصغانيان، وبينها وبين خوارزم مدن لكنا قدمنا الكور على المدن، لان أكثر غرضنا فى هذا الكتاب البيان والأيضاح لا الترتيب، وليس لاحد أن يأخذ علينا فيه الترتيب إلا فى الكور فأنا. قد اجتهدنا فى ترتيبها حتى، لا يجد أحد علينا فى ذلك طريقا إلا أن يكون مغفلا، ونظر فى كتابنا رجل من الفقهاء وقد كان دوخ خراسان فلما بلغ إلى كور ما وراء النهر قال: ليست اشروسنة بين الشاش وسمرقند، قلت له: إذا خرج الرجل من سمرقند يريد الشاش أليس طريقه على زامين وساباط. قال: بلى قلت: فهما من مدن اشروسنة وقد صح الترتيب فإذا به قد ذهب إلى القصبه ولم يعتبر الخطه. ولقواديان ثلاث مدن شديدة العمارة يتخللها شعب تغلب فى جيخون كثيرة الجبال طيبة أكبر مدنها: بيز: ليست بواسعة الرقعة، الجامع وسط الاسواق عليها حصن بأربعة أبواب. سكارا: قرية من الجبل، الجامع وسط البلد. اوزج: على شط جيخون عامرة نزيهة. بورم: نائية رحبة طيبة ذات أنهار وخير ورخص. الختل كورة واسعة كثيرة المدن منهم من ينسبها إلى بلخ وذلك خطأ لأنها خلف جيخون وأضافتها إلى هيطل أوجب، ولهذه المقالات أفرزنا ما على النهر من الاعمال ليكون الاحتجاج فيه واحدا. وهى أجل من الصغانيان وأوسع خطة وأكبر مدنا وأكثر خيرا وهى على تخوم الإقليم السندية قد سمى القصبه هليك ولها من المدن: مرند، انديجارغ، هلاورد، لاوكند، كارينك، تمليات، أسكندرة، منك، فارغر، بيك. هليك: هى قصبه الختل وبها مستقر السلطان، تكون أصغر من الصغانيان، الجامع وسط البلد، شربهم من نهر عذبي ومن غيره. مرلد: أهلة عامرة. انديجارغ: صغيرة قريبة من جيخون شربهم من أنهار تغيض إليه. هلاورد: هى أجل من هليك كبيرة كثيرة الفواكه: حصبة جدا. أسكندرة: على جبل فى غاية العمارة. منك: أكبر مدائن الكورة وسائر المدن على ما وصفنا. ترمذ: هى أجل مدينة على جيخون نظيفة أحد العرصات، مفروشة أسواقها بالاجر والماء يسطع جانبيها ويقلع المراكب إليها من كل جانب، وعليها حصن ولها قهندز والجامع فى الحصن والقهندز خارج منه له باب، وللمدينة ثلاثة أبواب، ولها ربض وسرادقات وهى أول المدائن من أعلى النهر. كالف: من نحو المغرب على الشط بها مسجد فى رباط ذي القرنين يقابله بهيطل رباط ذي الكفل، وليس على جيخون موضع يمكن أن يتخذ به بلد ذو جانبيين على عمل بغداد وواسط غير كالف لتشمير النهر ثم وخلوه من البثق والرمل. زم: مدينة كبيرة على الشط، والجامع وسط الاسواق وهى مغطاة، شربهم من جيخون ويدخل الماء أيام الحصاد إلى وسط البلد. نويدة: مدينة صغيرة من جانب هيطل الجامع وسط البلد. فربر: من نحو هيطل بعد فرسخ قليلة الضياع رخيصة الخراج حسنة الاعناب ضيقة المياه لها قهندز عامر وبها رباطات حسنة والجامع على باب المدينة من نحو بخارا والمصلى خارج الباب وثم رباط لنصر بن أحمد فيه ضيافة لابناء السبيل. أمل: عامرة وكل مدن هذا الإقليم عامرة ومن الخيرات مملوءة، وهذه على فرسخ من النهر من نحو خراسان كثيرة الضياع غالية الخراج غزيرة المياه حسنة الضياع على طرف الرمال مظلمة الاسواق، معدن الاعناب النفيسة، جامعها على نشرة وآبارها قريبة. رة المدن منهم من ينسبها إلى بلخ وذلك خطأ لأنها خلف جيخون وأضافتها إلى هيطل أوجب، ولهذه المقالات أفرزنا ما على النهر من الاعمال ليكون الاحتجاج فيه واحدا. وهى أجل من الصغانيان وأوسع خطة وأكبر مدنا وأكثر خيرا وهى على تخوم الإقليم السندية قد سمى القصبه هليك ولها من المدن: مرند، انديجارغ، هلاورد، لاوكند، كارينك، تمليات، أسكندرة، منك، فارغر، بيك. هليك: هى قصبه الختل وبها مستقر السلطان، تكون أصغر من الصغانيان، الجامع وسط البلد، شربهم من نهر عذبي ومن غيره. مرلد: أهلة عامرة. انديجارغ: صغيرة قريبة من جيخون شربهم من أنهار تغيض إليه. هلاورد: هى أجل من هليك كبيرة كثيرة الفواكه: حصبة جدا. أسكندرة: على جبل فى غاية العمارة. منك: أكبر مدائن الكورة وسائر المدن على ما وصفنا. ترمذ: هى أجل مدينة على جيخون نظيفة أحد العرصات، مفروشة أسواقها بالاجر والماء يسطع جانبيها ويقلع المراكب إليها من كل جانب، وعليها حصن ولها قهندز والجامع فى الحصن والقهندز خارج منه له باب، وللمدينة ثلاثة أبواب، ولها ربض وسرادقات وهى أول المدائن من أعلى النهر. كالف: من نحو المغرب على الشط بها مسجد فى رباط ذي القرنين يقابله بهيطل رباط ذي الكفل، وليس على جيخون موضع يمكن أن يتخذ به بلد ذو جانبيين على عمل بغداد وواسط غير كالف لتشمير النهر ثم وخلوه من البثق والرمل. زم: مدينة كبيرة على الشط، والجامع وسط الاسواق وهى مغطاة، شربهم من جيخون ويدخل الماء أيام الحصاد إلى وسط البلد. نويدة: مدينة صغيرة من جانب هيطل الجامع وسط البلد. فربر: من نحو هيطل بعد فرسخ قليلة الضياع رخيصة الخراج حسنة الاعناب ضيقة المياه لها قهندز عامر وبها رباطات حسنة والجامع على باب المدينة من نحو بخارا والمصلى خارج الباب وثم رباط لنصر بن أحمد فيه ضيافة لابناء السبيل. أمل: عامرة وكل مدن هذا الإقليم عامرة ومن الخيرات مملوءة، وهذه على فرسخ من النهر من نحو خراسان كثيرة الضياع غالية الخراج غزيرة المياه حسنة الضياع على طرف الرمال مظلمة الاسواق، معدن الاعناب النفيسة، جامعها على نشرة وآبارها قريبة.

ذكر المعابر والشعب

لهذا النهر معابر كثيرة أحاط علمنا بعد القصد والبحث على خمسة وعشرين سوى الخوارزمية أولها من قبل الختل: ختلان ثم ميلة ثم أوزج في حد قواديان ثم الكودي ثم ترمذ ثم آخر أسفل منها ثم آخر ثم كالف ثم خارزمية ثم بخاريان ثم بنكاه أبي وهب ثم بابكر ثم كركوه النهر بينهما ثم الرباط وبه مجاورون ثم خواران ثم شير ثم نويدة فيه يعبر أهل سمرقند ثم فرحونة ثم برمادوي هي قرية للعرب ثم آخر ثم جادة خراسان ثم فربر وأمل ثم سكاوي ثم ماهيكبران ثم تلقى معابر خوارزم درغان وجكريند ثم آخر ثم هزاراسب ثم كاث ثم بقية المعابر إلى البحيرة فيها معبر الجرجانية. وأما الشعب المنفجرة منه فأكثرها بخوارزم، منها نهر كرية يمد إلى خمسة فراسخ، ونهر هزاراسب يتسع حتى يصير نحو مرحلة ثم لا يزال يضيق حتى يصير نحو فرسخ فيسقي الضياع إلى نحو المفازة، وينشعب منه نهر كردران خاس وهو أكبر من نهر هزاراسب وبينهما فرسخان، ثم نهر خيوه وهو كبير أيضا يجري فيه السفن، ثم بعده نهر مدرى تجري فيه السفن أيضا على نصف فرسخ من نهر خيوه، وكذلك بين نهر مدرى ونهر وداك وأسفل من القصبة نحو العمود بوه يجتمع فيه مياه الناحيتين بقرية اندرستان تجري فيه السفن إلى الجرجانية ثم يرده السكر الذي ذكرناه، ومن مجتمعه إلى السكر مرحلة، ونهر كردر يأخذ من أسفل القصبة على أربعة فراسخ من أربعة مواضع متقاربة فيصير نهرا واحدا، وينشعب من جيحون أيضا أنهار تسقي رستاق أمل وفربر وسائر المدن التي على الشط يطول بذكرها الكتاب ولم نصور هذه الأنهار لكثرتها.

جانب خراسان

اعلم إن لهذا الإقليم فضائل تنسب إلى هذا الجانب ويشركه في أكثرها جانب هيطل، إلا أن هذا لما كان أقدم في الاختطاط والفتح في الإسلام وأقرب إلى أقاليم العرب خص بالذكر وعرف عند النسبة. يحكى عن ابن قتيبة أنه قال: خراسان أهل الدعوة وأنصار الدولة لما أتى الله بالإسلام كانوا فيه أحسن الامم رغبة وأشدهم إليه مسارعة منا، من الله عليهم اسلموا طوعا ودخلوا فيه أفواجا وصالحوا عن بلادهم صلحا، فحف خراجهم وقلت نوابيهم ولم يجب عليهم سبي ولم يسفك فيما بينهم دم مع قدرتهم على القتال وكثرة العدد وشدة البأس، فلما رأى الله سبحانه سيرة بني أمية وظلمهم وتعديهم على عترته نبيه عم بعث إليهم جنودا منها جمعهم من أقطارها وألفهم من نواحيها، فساروا نحوهم كقطع الليل المظلم وما يرتقب منهم عند خروج المهدي أكثر، فهم أهل الدولة والظفر وأنصار الحق إذا ما ظهر. ويقال أن محمد بن عبد الله قال لدعاته أما الكوفة وسوادها فشيعة علي، وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف، وأما الجزيرة فحرورية صادقة وأعراب كاعلاج ومسلمون في أخلاق النصارى، وأما أهل الشام فلا يعرفون غير معاوية وطاعة بني أمية وعداوة راسخة وجهل متراكم، وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهم أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تنتقسها الاهواء ولم تتوزعها النحل ولم يقدح فيها فساد، وهم جند لهم أيدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة، وبعد فإني أتفاعل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق. فلما تمهد له الامر أقامهم مع خلفائهم على أسكن ريب وأحسن همة وأشد طاعة وأجمل سيرة في رعية تتزين بالحسن ولا تعرف القبيح. وقرأت في كتاب بخزانة عضد الدولة: خراسان في غذاء الهواء وطيب الماء وصحة التربة وعضوية الثمرة وأحكام الصناعة وتمام الخلقة وطول القامة وحسن الوجوه وفراة المراكب وجودة السلاح والتجارة والعلم والعفة والفقه والدراية ترس في وجوه الترك، أشد العدو بأسا وأعظم رقابا وأصبرهم على اليأس أنفسا وأقلهم تنعما وخفضا. وأهل خراسان أشد الناس تفقها وبالحق تمسكا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لينصركم على الدين عودا كما ضربتموه بدأ. يريد أنهم ينصرونكم بالسيوف على دين الله إذا غيرتم وبدلتكم كما ضربتموه عليه، فوجد تصديق ذلك وقت أبي مسلم. وأعلم أن هذا الجانب في الحقيقة خراسان وهو أجل الجانبين لان به المصر الاعظم وأهله أظرف وأحلم وبالخير والشر أعلم وإلى أقاليم العرب ورسومهم أقرب وقضباته أبهى وأطيب، وهو أقل بردا في الهواء والناس وأحسن آئينا وأكثر أجلة وعقلاء من هيطل مع العلم الكثير والحفظ العجيب والمال المديد والرأي الرشيد، به مرو التي قامت بها الدنيا، وبلخ وإليها المنتهى، ونيسابو فلا تنسى واسعة الرقعة جليلة القرى، إلا أن الفساد فيه قد فشا، الخراج مرتين في سنة والضياع أهلها في بلية. وهذه صورته. وقد جعلنا خراسان تسع كور وثمانى نواح، ورتبناهن في هذا الفصل على المقادير وعند الوصف على التخوم. فأولها من قبل جيحون بلخ، وفي المقادير نيسابور، وأما النواحي فأجلها قدرا: بوشنج ثم بادغيس ثم غرجستان ثم مرو الروذ ثم طخارستان ثم باميان ثم كنج رستاق ثم أسفزار، وقد جعلنا طوس وأختيها خزائن لنيسابور، وجعلنا سرخس من المنفردات عن الكور لأنها تشكل. فأما بلخ فإنها اسم القصبة أيضا، ومن مدنها: أشفورقان، سليم، كركو، جا، مذر، برواز. ومن النواحي: طخارستان وهي القصبة أيضا. ومن مدنها لوالج، الطالقان، خلم، غرينك، سمنجان، اسكلند، رؤب، بغلان السفلى، بغلان العليا، اسكيمشت، راون، آرهن، أندراب، خست، سراي عاصم. والباميان ومدنها: بسغورفند، سكاوند، لخراب. وبلخ أيضا من

الرسنق: بذخشان، بنجهير، جاربايه، بروان، جميعهن مدن جلييلة وأعمال واسعة. وأما غزنين فأنها كورة جلييلة وهي اسم القصبه أيضا. ومن مدنها: كرديس، سكاوند، نوه، بردن، دماخي، حش باري، فرمل، سرهون، لجرا، خواست، زاوه، كاويل، كابل، لمغان، بون، لهوكر. وناحية والشتان ولها ست منابر: ابشين، اسبيجه، مستنك، شال، سكيره، سيوه، وألف ومائة قرية. وللورة ألفان ومائتا قرية.

وأما بست فإنها اسم القصبه أيضا ومن مدنها: جهالكان، بان، قرمه، بوزاد، أرض داور صروستان، قرية الجوز، رخود، بكراواد، بنجوى، كش، رودان، سفنجاوى، طلقان، ولها ألف ومائة قرية. ومن هذه المدن ما يضاف إلى سجستان وهو خطأ، وأقل من يميزهن تمييزنا. وأبو زيد جعل غزنين وبست من سجستان ومن الناس من يجعلهما كورة واحدة ويسميها كابلستان. وأما سجستان فإنها كورة متصلة العمارة، منقطعة المساكن، قليلة المدن، كثيرة القصور، ومعدن النخيل والحيات. قصبتها زرنج ومن مدنها: كوين، زنبوك، فره. درهند، قرنين، كواربواذ، بارنواذ، كزه، سنج، باب الطعام، كروادكن نه، الطاق.

وأما هراة فإنها القصبه أيضا ومن مدنها: كروخ، أوفه، مالن، خيسار، استربيان، ماراباذ. ونواحيها: بوشنج، ولها أربع مدن: خرکرد، فرکرد، كوسوى، كره، وباذغيس وهي ثمانى مدائن: دهستان، كوغاناباذ، كوفه، بشت، جاداوا، كابران، كالون، جبل الفضة. وكنج رستاق وهن ثلاث مدائن: بين، كيف، بغ شور. وأسفزار وهن أربع مدائن: كواشان، كواران، كوشك، ادرسكر وأما جرزجانان فإنها كورة ليس لها قدم الكور، وإنما كانت تضاف إلى نواحي بلخ، وهي اليوم أحد الاصول، ومن أمهات الكور، وسلطانها مقدم، وليست بكثيرة المدن مع قلة أهل، أهل سخاوة وديانة وعلم ودراية. قصبته اليهودية ومن مدنها: أنبار، برزور، فارياب، كلان، شيورقان. وأما مرو الشاهجان فإنها كورة قديمة رسمها الاسكندر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال نعم البلد مرو بناها ذو القرنين وصلى فيها العزيز. أنهارها تجري بالبركة ما منها باب إلا وعليه ملك شاهر سيفه يدفع عنها الشر. وعن قتادة في قوله تعالى " ولتندر أم القرى ومن حولها " ، قال: أم القرى بالحجاز مكة وبخراسان مرو. قال: ولما هم طهمورت ببناء قهندز القصبه أخذ سوقا فيه ما يحتاج إليه، فكان إذا أمسى الرجل أعطى أجرته فاشترى به طعامه وادامه وقوت أهله فيعود الدرهم إليه، فلما فرغ حسبوا فإذا به قد ناب عليه ألف درهم. وهي كورة حسنة الوضع إلا أن الماء ضيق وطريق النهر في كل حين يينبثق وأكثر ضيق الماء من قبل ضياع السلطان، ولم يكونوا في المقدم يدعون سلطانيا يشتري ضيعة. وسمعتهم يذكرون أن امرأة أخرجت المأمون من بلدنا قلت: كيف، قال: جاءت إليه فقالت خربت مرو وهي لا تحتمل أن يملك ضياعها غير العوام، قال: فأمر بالخروج منها. وهي القصبه أيضا ويقال إنما سميت مرو الشاهجان لان الشاه الملك والجان الروح. وهي كثيرة الاعناب والحبوب والحمام، نزيهة والقصبه على اسمها ولها من المدن: خرق، هرمزفرة، باشان، سنجان، سوسقان، صهبة، كيرنك، سنك، عبادي، دند انقان. ونواحيها مرو الروذ، ومدنها: الطالقان، قصر أحنف، حسة، لوكر. وأما نيسابور فقد أختلف الناس في اسم لها وهو إيرانشهر فمنهم من جعله اسما لجميع هذه الكورة مع جابلستان فتدخل فيه سجستان وما حولها ومنهم من جعله اسما لهذه الكورة ومنهم من أوقعه على القصبه حسب، وبه ناخذ لكون القصبه من ايرانشهر باجماع فلا يحتاج فيه إلى دليل إذ الدليل واجب على من ادعى الزيادة. وهي كورة واسعة جلييلة الرساتيق والضياع والفتي، ويقال أن أبا بكر العبدوي قال قست مياه دجلة إلى مياه نيسابور فتساويا، وهي قوية الهواء لا ترى بها مجذوما، ومن واطب بها على أكل الدسم ودخول الحمام واستعمل دهن البنفسج فليس يعدها. ويحكى عن حمويه إنه قيل له لو اتخذت بنيسابور بيمارستان، قال: لا يسع لذلك بيت مالي، قالوا: كيف وأنت صاحب الجيش، قال: لأنه ينبغى أن يدار على البلد كله الحائط أي أنهم كلهم يحتاجون إلى البيمارستان لطيشهم وخفة رؤوسهم. اسم قصبتهم ايرانشهر ولها اربع خانات واثنان عشر رستاقا وثلاث خزائن وقصر ودار، فالخانات: الشامات، ريوند، مازل، بشتفروش. والرساتيق: بشت، بيهق، كويان، جاجرم، أسفراين، أستوا، أسفند، جام، باخرز، خواف، زاوه، رخ. والدار: زوزن. والقصر: بوزجان. والخزائن: طوس، نسا، أبيورد. ولهذه الرساتيق التي ذكرنا غير الخزائن ستة آلاف قرية مثل عمواس وبها عشرون ومائة منبر.

وأما قوهستان فقصبته قايين ومدنها: تون، جنابد، طبس العناب، الرقة، خور، خولست، كري، طبس التمر.

بلخ: نبدأ فنصفها بما وصفها به أبو القاسم العكي لأنها بلده، قال: بلخ في الاخلاق الجميلة والشجاعة وشدة الخلق والعقل وجودة الرأي ونبل الهمة وحسن المعاشرة والحرص على قضاء الحقوق والتبازل عند الحاجة وحسن وضع الكورة وتقديرها وتقارب أحوال أهلها ورخص الاسعار بها وكثرة الخضر واختراق الأنهار المحفوفة بالشجر قي المحال والمنازل وقرب الجبال والادوية ومرافقها نظير دمشق الشام، وفضل بغداد راجع إلى خراسان لأنها لهم بنيت، ثم انظر إلى بهاء بلخ وحسن موقعها وسعة طرقها وبهجة شوارعها وكثرة أنهارها والتفاف شجرها وصفاء مائها وإشراق قصورها وسور مدينتها ومسجد جامعها وأحكام صنعته وجلالة موضعه ليس بأقاليم العجم مثلها حسنا ويسارا، يحمل من غلاتها في كل سنة مال عظيم إلى

خزانة السلطان زائدا عما يحتاج إليه، وهي في مستوى منها إلى أقرب الجبال أربعة فراسخ، وعليها سور ولها ريبض ويقال أن اسمها في كتب الاعاجم بلخ البهية. خلم: هي بلاد الازديين صغيرة إلا أن قراها ورستاقها ومزارعها كثيرة وهواءها صحيح كثيرة الارياح. سمنجان: أكبر من خلم بها منبر واحد وبها ثمار وأودية وصيد ومواش وخلق من التميميين. أندرابة: لها أودية مشجرة وبها أسواق حارة. خست: نزهة مشجرة خصبة بها عرب. الطالقان: لها سوق كبير يشقها نهران من شعب جيحون حبلاث وثراب وهي في غاية النزهة والخصب. إسكلند: صغيرة غير إنها نزيهة كثيرة الخيرات. بغلان: هما إثنان السفلى والعليا وهما من منزله خراسان، المنبر في السفلى والعليا قرية كبيرة لها واد مشجر. ميثان: مدينة رستاق اسكيمشت وبها عين عجيبة على حافتها مسجد قتيبة بن مسلم. بنجهير: هي جبل الفضة والدرهم بها واسعة أقل ما توجد المقطعة. فروان: كبيرة متطرفة بها جامع عامر. بذخشان: متاخمة لبلاد الترك فوق طخارستان وبها معدن الجوهر الذي يشبه الياقوت لا معدن له غيره، وهي رباط فاضل وثم حصن لزبيدة عجيبة، وبها معدن اللازورد والبلور وحجر البازهر وحجر الفتيلة وهو شيء يشبه البردي لا تحرقه النار يوضع في الدهن فيقد كما تقد الفتيلة ولا ينقص ويخرج ويترشح في النار المتأججة ساعة فيعود إلى ما كان وينسخ منه الخوان، فإذا اتسخت وأرادوا غسلها طرحوها في التنور فتعود نظيفة، وثم حجر يجعل في البيت المظلم فيضيء أدنى شيء. الباميان: ناحية واسعة كثيرة الخير وقصبتها صغيرة.

غزنين: قصبة ليست بالكبيرة إلا إنها رحبة منعمة رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم طيبة الفواكه مع كثرة، ولها مدن جليظة والمعاش بها حسنة وهي أحد فرض خراسان وخزائن السند، ومن اختلف إليها أفاد صحة جيدة لا براغيث ولا عقارب، رفة مباركة غير أن البرد بها شديد والثلوج كثيرة. وبنينهم عامته خشب يقع فيه شيء يقال له غشك يشبه فيسيفس مصر. صغيرة في الاسم والموضع وهواءها يابس ومائها غير مري في مستوى منها إلى الجبال فرسخ، وهي جانبان القلعة وسط المدينة ينزلها السلطان، والجامع نحو، القلعة مع بعض الاسواق في المدينة وبقية الاسواق والبيوت في الريبض، وللمدينة أربعة أبواب: باب الباميان باب سنان باب كردن باب السير. وهم مياسير وأهل ثروة ولهم نهر بلا بساتين. كابل: لها ريبض عامر وبها يجتمع التجار، ولها قهندز حصين عجيبة بلد الهليلج الرفيع ولها عند الهنود شان. وسائر المدن على ما ذكرنا أكثرهن نحو السند على ما ذكر لنا.

بست: قصبة جليظة أهل دين ومروية ويسار ونعمة طيبة خصبة ولهم آيين ولباقة وأسناد ودراية، موضوعة بين نهرين وجامعة للفاكتين لينة الهوائين نفيسة المدن كثيرة القرى، رطب غزير وعنب كثير وسدر وريحان، وسمعت أبا منصور فقيه سجستان يقول ما رأيت بلدا على صغره أخصب ولا أكثر فواكه ونعما من بست إلا إنها وبية متطرفة صغيرة الرقعة: لها مدينة عامرة والجامع فيها وربض الاسواق فيه، شربهم من هيرميد والنهر الآخر اسمه خردروي يجتمعان على فرسخ، وعلى هيرميد جسر من سفن بقرب موضع مجمع النهرين. وعلى نصف فرسخ من نحو غزنين شبه مدينة تسمى العسكريين لها السلطان. بنجواي: على قرب الجادة منيعة بها جامع حسن شربهم من نهر. بكرواز: مدينة كبيرة الجامع في السوق وشربهم من نهر. داور: كبيرة طيبة على حد الغور وهي ثغر جليل عليها حراس مرتبون، منها إلى حد الغور مرحلة، ومن الناس من ينسب هذه الكورة إلى سجستان وهو مذهب أبي زيد البلخي وأقل من يميز مدنها عن سجستان وما ذهبنا إليه حسن إن شاء الله تعالى.

زرنج: هي قصبة سجستان محكمة الحصن عجيبة البنيان ومعدن الحيات والرجال الشهام أصحاب همة وعقل وفتنة وفقه وحفظ ودهاء وبهاء وأدب وخطب وحذاق وهندسة وحكمة ومتاجر ومعادن ومعاش ورخص وفواكه، هي بصرة خراسان وأكيس من أهلها لا ترى في التزاويق والبناء في الإقليم، ولهم حصن عجيبة يدور حوله خندق ينبع الماء منه ويجري إليه فضلات المياه، نظيفة الأطعمة كثيرة المشايخ مفيدة في المتاجر غزيرة المياه غير أن حياتها كثيرة وحرها شديد وتمرها دقل وهرجها عجب أبدا تدور عليهم الدوائر وتعصب الفريقين ثم ظاهر، فبين مقتول ترى منهم وهارب وكل بلقب لغيره يباين وأولاد الزناء بها عصائب لهم عقارب وهم في ذاتهم عقارب يطعن بعضهم على بعض في القصائد مع ثقلهم ويردهم قد طبقوا العمائم خوارج، وجلهم لصهري النبي ثالث، بيوتهم كربة في تربة عفنة وبلدة قشفة لست في مثلها براغب. لها مدينة عليها حصن وخندق الجامع فيها والحبس يقابله قد بنى بناء عجيبا وله منارتان القديمة وأخرى من صفر بناها يعقوب ابن الليث، وثم قلعة وهي في سهلة كثيرة الابواب والدروب نصفها من بناء أردشير ونصفها من بناء خسرو. الطاق: صغيرة كثيرة الأعناب واسعة الرستاق كوين: عليها حصن منيع كبير وليس بها منبر من أجل أنهم خوارج، وكذلك زنبوك وقوفة. فره: ذات جانبين، جانب للخوارج وجانب لأهل الجماعة. درهند: كبيرة قريبة من الجبل بناؤهم حجارة ولهم نهر. وهذه المدن غير الطاق فإنه من تلقاء هراة من نحو بست، قرنين: عليها حصن ومنها كان بنو الليث الصفارون الذين خرجوا وغلبوا على فارس وخوزستان، بها جامع ولها ريبض ونهر وهي صغيرة. بارنواد: عليها حصن وبها جامع وليس بها خوارج وهي بلد الحبوب. سنج: قريبة من الجبل وبها جامع وبنائهم حجر، باب الطعام: ناحية واسعة ذات قرى جليظة نحو سوسكن وسكوكس وملكان

وكرسواد وبريك وأدوراس وكوين وديارود وديار وغيرهن من الأمهات. وقد قلنا أن سجستان منقوشة العمارة كإنها رستاق واحد قليلة المدن. ورتنك: رباط في وجه الغور فيه مرابطون وحراس وخيل مسبلة وعدد وآلات يقصد من كل جانب. وأما المدن من نحو فارس: كروادكن: بها منبر بناؤهم طين وشربهم من النهر غير محصنة والجامع وسط البلد اسم رستاقها حورسوله، ونه عليها حصن وبها جامع بناؤهم طين وشربهم أكثره من قني.

فهذه الكور الأربع على صف واحد عن يسار المغرب، وأول الصف الثاني من نحو جيحون رمال دهسة إلى مرو وتدخل في الصف جوزجانان ونبتيء من هراة على ما رتبنا.

هراة: قسبة جليلة هي بستان هذا الجانب معدن الأعناب الجيدة والفواكه النفيسة، أهلة عامرة حسنة السواد مشتبكة العمارة جليلة القرى، أهل أدب وبلاغة وظرف ودراية، من عندهم تحمل صنوف الحلوات وبزهم يحمل إلى الأقاليم والأطراف، حصينه طيبة غير أن أهلها غاغة والقتل عندهم عادة وليس لمذكرهم فقه ولا عبادة، لسان قبيح وفسق فضيح لا يشع خبزهم ولا ينقضي هرجهم، لها مدينة عامرة وقهندز وعلى ربضها حصن وأبواب الربيض تقابل أبواب المدينة وتوافقها في الأسماء القديمة باب زياد إلى نيسابور باب فيروز باب سراي إلى بلخ باب خشك إلى الغور، والجامع وسط المدينة بين الأسواق عامر ولهم قنطرة عجيبة وهي بلدة أهلة. كروخ: هي أكبر مدن الكورة ذات مياه وبساتين. أوفه: صغيرة والجامع في محلة سيديان بناؤهم طين وهي بين جبلين سعة رستاقها عشرون فرسخا، كلها بساتين مشتبكة ومياه جارية وقرى عامرة. مالن: تكون نحو أوفه لها بساتين ومياه وبناؤهم طين. خيسار: متوسطة قليلة الأشجار والمياه وهي أصغر من مالن. استرييان: ذات مياه جارية وبساتين قليلة الغالب عليهم المزارع وهي في الجبال. ماراباذ: أصغر من مالن كثيرة البساتين غزيرة المياه خصبة نزهة. بوشنج: هي أجل نواحي هراة المذكورة في الإقليم، وسيعاب علينا أضافتنا إياها إلى هراة لأن سلطانها ربما أفرد عن هراة، ويقال أن اسمها مقدم على هراة في الديوان والقول فيها كالقول في طوس غير أن إمامنا فيما ذهبنا إليه أبو زيد وقد كان أعلم بدواوين خراسان وتفصل أعمالها من غيره، تكون مثل نصف هراة في مستوى ومنها إلى الجبل نحو من فرسخين لها مياه وأشجار كثيرة ويحمل من عندهم الخشب إلى سائر النواحي ولها حصن وخندق وثلاثة أبواب: باب علي باب هراة باب قهستان. وأكبر المدن بعدها كوسوى نحوثلثها لهم بساتين وبناؤهم طين. وليس لفرکرد بساتين كثيرة إنما هم أصحاب نعم وسوائهم ولهم ماء جار. ولخرکرد مياه وبساتين كثيرة غير إنها صغيرة. باذغيس: أكبر مدنها دهستان مثل نصف بوشنج بناؤهم طين وهي على جبل ولهم ماء ضعيف يجري بلا بساتين ومزارعهم مباحس ولهم أسراب تحت الأرض، ومقام السلطان بكوغناباذ ودهستان أعمر. جبل الفضة: على جبل وقد تعطل معدنها. كوفاف: في صحراء لها بساتين ومياه جارية ومزارع على العدى وكذلك كوغناباذ وجادوى وكالوون وكابرون فليس لها بساتين ولا مياه جارية وإنما مشاربهم من الأمطار ومن آبار، وهم أصحاب زروع وحبوب وهي على طريق سرخس. كنج رستاق: أكبر مدنها بين بها مقام السلطان أكبر من بوشنج وبغشور نحو بوشنج في الرقعة وكيف مثل نصفها ولها مياه جارية غزيرة وبساتين وكروم كثيرة بناؤهم طين، وبغشور في مفازة ومزارعهم عدى وشربهم من آبار، هي صحيحة التربة خليقة الهواء خفيفة الماء على طريق مرو الروذ. اسفزار: أكبر مدنها كواشان لها مياه وبساتين كثيرة وكروم بناؤهم طين وسائر المدن أصغر منها كلهن مشجرات ذوات مياه ومنازه ولهراة أعمال جليلة ومواضع حسنة بطول بذكرها الكتاب. عرج الشار: العرج هي الجبال والشار هو الملك فقسيره جبال الملك والعوام يسمونها غرجستان وملوكها إلى اليوم يخاطبون بالشار، وهي ناحية واسعة كثيرة القرى بها عشرة منابر أجلها أبشين وفيها مستقر الشاريين وثم قصورهم، وبها جامع حسن ورباطات ولهم نهر وهو نهر مرو الروذ، وشورمين أيضا من مدن هذه البلاد وهما متقاربتان في الكبر، وبليلكان أيضا منهن وهي في الجبال وعلى هذه الولاية دروب وأبواب حديد فلا يمكن احدا دخولها إلا بإذن، وثم عدل حقيقي ونظر عزيزي وبقية من سنن العميرين ورسوم تقر بها العين، لا عمال ظلمة ولا أسباب مغيرة ما يؤخذ من أغنيائهم فهو موضوع في فقرائهم، ومن جنى جناية فالعفو أو الحد ومع ذلك قوم سلماء صالحون من الطينة الأولى، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تكونون يولى عليكم، وقد وقفنا فيها من أجل هذه الأسباب فلم يمكننا أن نضيفها إلى واحدة من هذه الكور التي حولها لأنها مستقلة بنفسها جليلة بشارها، ولا أن نجعلها كورة فينتقض أصلنا في بوشنج ونظائرها. فإن قال قائل يجب أن تضاف إلى بلخ لأنها تجتمع مع نواحيها في معنى وهو آخر الأسم ألا ترى أنهم يقولون غرجستان كما يقال طخارستان الباميان بروان، قيل له التعارف في علمنا وأكد مما ذكرت لأنه مبني على مسائل الإيمان، وقد سمى الله تعالى الأرض بساطا ولو أن رجلا حلف لا يجلس على بساط فجلس على الأرض لم يحنث لأنه غير متعارف. ه تعالى الأرض بساطا ولو أن رجلا حلف لا يجلس على بساط فجلس على الأرض لم يحنث لأنه غير متعارف.

مرو: تعرف بمرو الشاهجان قسبة نفيسة طيبة ظريفة، بهية رحية خفيفة، أطعمة لذيدة بها نظيفة، منازل مليحة لهم أنيفة، من ظرفها للجانبين هي صنيفة، مشايخ اجلة عقولهم شريفة، الجامعان باناط لا خشب ولا سقيفه، وكل ليلة بمجلس عصائب عفيفة،

مذكر فقيه يقفو ابا حنيفة، مدارس لكل دارس وظيفة، اسواقهم حسنة الا ترى صفوفها بالجامع الأعلى من كل جانب لفيفة، و ثم الدار المذكورة الرفيفة، بها ايوان صاحب الدولة الشريفة، ولا تسأل عن حمامات مرو ولا الهريسة والخبز والعقل والبأس فإنها معروفة وسل عن مياهم وكسبهم والمروات فإنها ضعيفة، وعن دهائمهم وهرجهم فعندي منها صحيفة، انباء صدق أنفسها معربة ظريفة، ولست ممن يأكل بعلمه رغبة، لكنني طالب جنة وراغب في دعوة كنيفة، فمرو بلدة سرية لو لم تكن من أهلها خفيفة، قد خربت إلا منازل طفيفة، وربض ثلثه مهدم كأنها سليفة، منازل قد شعنت وأسقطوا سقفه، وفسق ظاهر هروجهم معروفة، مكاسب ضيقة لهم في طرهم لطيفة، لا سحاوة ولا رواس نظيفة، ولا لطينهم علاكة وفي الصيف حارة رشيفة. بالجامع دواوين الخراج والشرط ونهرهم في كل حين ينبثق، والزاء قبل الباء في النسبة تلتزق. أهل طنز وخبل، يعرف ذلك من عقل. وهي في مستواة بعيدة عن الجبال والمدينة القديمة على تل في وسطها مسجد كان الجامع في القديم حوله منازل يسيرة وعند باب الربض عمارات وسويقة وبالربض جامعان احدهما عند باب المدينة والأخر في الصيارفة الغالب عليه أصحاب أبي حنيفة وهو ما حوله من بناء أبي مسلم صاحب الدولة، وهي نظيفة الأسواق وعندي انما تطرف أهلها وتعرقوا من أجل حلول الخليفة بها، وأخذ أهل البلد عن حشمه وتباعه رسوم العراق والله أعلم. وهي أشبه البلدان برملة فلسطين، وللمدينة أربعة أبواب: باب المدينة يلي الجامع باب سنجان من الوجه الآخر باب بالين باب درمشكان عليه كان قصر المأمون، والقهنذ في المدينة خراب صعب المرتقى لا يدخل إلا بدليل معين، والماء يدخل المدينة ويتخلل جميع الربض ولهم حياض نظيفة عليها أبواب وأنهار تجري في بعض البلد. كيرنك: كبيرة ذات جانبيين بينهما جسر وللعمود شعبتان عليهما طواحين تشقان البلد والجامع في ثلث البلد إلى جنبه خان المنارة بينهما. سنج: عامرة الجامع في طرف السوق والنهر خلفه وعليه بستان إلى جنبه كرم لآل المصفي. خرق: جامعها خارج السوق شربهم من شعبة نهر نحو قبلة الجامع. باشان: جامعها في الصاغة وشربهم من شعبة النهر. دندانقان: صغيرة محصنة بباب واحد الحمامات والرباط خارجها شبه الجحفة وموضع برباط دهستان حسنة الوضع بها جامع حسن ومسجد واحد.

سرخس: مدينة كبيرة عامرة مذكورة ولو كان لها جند: جعلناها كورة أو ناحية، وقد تردد حالها عندي وأشكل أمرها علي وقرأت في بعض الكتب قسمة أعمال خراسان فجعل سرخس وابيورد ونسا عملا واحدا ولا يستقيم مذهبا على هذه المقالة، لأن نسا وابيورد عملان جليلان لكل واحد مدن، فلا يجوز أن نجعلها من اجناد سرخس ولا أن نجعل سرخس أيضا جندا لهما. وقال البلاذري خراسان اربعة ارباع: الأول ايرانهشر وهي نيسابور وقهستان وهرارة وطوس، والربع الثاني المروان وسرخس ونسا وابيورد والطاقان وخوارزم، والربع الثالث الجوزجانان وبلغ والصغانيان، والربع الرابع ما وراء النهر. وهذا أيضا يخالف مذهبا وقياسنا يؤدي أن تكون سرخس خزانة لنيسابور غير انا تركنا القياس واستحسننا أن نجعلها مضافة إلى مرو لأنها معها في أرض واحدة مع تقاربهم في الرسوم، اللسان والمسافة. وهو بلد الحبوب والأنعام وسألني أبو العباس اليزدادي عن بيت المقدس فقلت هي مثل سرخس غير أن بيت المقدس بلد نظيف حسن ظريف. لسرخس مدينة الجامع فيها مع سويقة ومعظم الأسواق في الربض شربهم من آبار ومنها سقي مزارعهم ولهم نهر ربما جرى.

مرو الروذ: مدينة جليلة وناحية واسعة وهي متداخلة في غرج الشار محقوقة لها قريبة منها مرسومة بها، ألا تعلم أن اصحاب البرد في فضل الشار وتحت كنفه وتعاهده، وهي اسم القصبة ولها أربعة منابر آخر تكون مثل ثلثي زييد، يشق النهر في طرفها، كثيرة الخيرات، والجامع في السوق على سواري خشب، الأسواق تظلل في الصيف. ومدنها: دزه: كبيرة طيبة يشقها النهر، الجامع في السوق. قصر أحنف: النهر على حافتها أيضا، والجامع في السوق. وحسة ولوكرامررتان رحبتان. وفي مرو الروذ وسرخس اشكال وكلام مثل ما غرج الشار ونحن نذكره بعد ونرتبه على ما يجب، وإنما أضفناها مع سرخس إلى مرو استحسانا لأن مرو هي أم القرى باقاليم الأعاجم وأحق بنواحيها وأن يضاف إليها ما يتنازع فيه وبالله التوفيق.

ايرانهشر: هو مصر الجانب وقصبة نيسابور بلد جليل ومصر نبيل لا أعرف له في الإسلام من عدل لما قد اجتمع فيه من الخلال واتفق فيه من الخصال مثل سعة الرقعة ووسع البقعة وصحة الماء وقوة الهواء وكثرة العلماء، بلد الأجلة والراسخين من الأئمة، فواكه واسعة لذينة ولحوم جيدة رخيصة ومعاش حسنة مفيدة أسواق فسيحة ودور فرجة وضياح نفيسة وبساتين نزهة وتربة علاكة وقرائح دقيقة ومجالس أليقة ومدارس رشيفة، وظرف ولباقة ورسوم آيين مختارة وصناعة وحذاقة وتجارة وعبارة وهمة ومروة ومعروف وصدقة وحفاظ ومودة. في الأفاق مذكورة، وفي الإسلام مشهوره. ثم هي خزانة لمشرقين، متجر الخافقين. بضائعه تحمل إلى الأفاق، ولبزه نور وإشراق، يتجمل به أهل مصر والعراق. يجبي إليه الثمرات، ويرحل إليه في العلم والتجارات. فرضة فارس والسند وكرمان، ومطرح خوارزم والري وجرجان. طيب الصيف كثير الجمد رخي الشتاء مديد العنب، لا يخلو فقيهه من أدب، والعدل من حسب. واليوم من مجلس النظر. مصر صغر الرجال وجوهه وأنزل الأشراف ساداته وحير العلماء أئمتهم وزاد على المدن محلاته وعلى الأمصار رفته فهات في الإسلام مثله. وسمعت أبا علي

العلوي يقول لأبي سعيد الجوري أنت شيخ محلة لوكانت منفردة عن نيسابور لاحتاجت إلى طبل وعلم وأمير محكم. وسئلت عنه بفارس فقلت هو أربع وأربعون محلة منها ما يكون مثل نصف شيراز مثل الحيرة والجور ومينشك وهو أوسع من الفسطاط وأهل من بغداد وأكمل من البصرة وأجل من الفيروان وأنظف من اردبيل وأمر من همدان، لا عفنة ولا سبخة ولا ملولة ولا كرية، إلا أن في هوائها ييوسة وفي أهلها جفوة وفي لسانهم رخاوة وفي رؤوسهم خفة، لا رفة ولا بهية ولا مساجد وضية، شوارع نجسة وخانات شعثة وحمامات وضرة وحوانيت منكرة وجدارات وعرة، قد عاندها البلاء وخالطها الغلاء، قليلة الأدامات والحطب ثقيلة المعاش والمؤمن سواد يابس وجبل عابس، ماؤهم تحت الأرض وقتنهم تعمي القلب وعصبياتهم تجرح الصدر، ليس لمحتسبهم هيبة ولاصرامة ولا لخطيبهم خفر ولا لباقة ولا لجامعهم في الأيام تلك الجماعة ولا لأمامهم حسبة ولا حلوة ولا لمذكرهم صدق ولا حقيقة. الغالب على عوامها غير الفريقين، والشعبة والكرامية أصحاب شقين، والفقهاء معهم في بلاء وشين، وإن عزل الأمير صارت سخنة عين، وغلب عليها العيارة من جهتين. تكون فرسخا في مثله والمدينة وسطها بحصن وخذق وأربعة أبواب والقهندز متصل بها يفصل بينهما طريق من الخندق وله بابان أحدهما في المدينة والآخر إلى الربض. ودروب المصر تجاوز الخمسين غير أن المشهور منها درب الجيق درب خشان درب برد درب مينشك درب القباب درب فارس درب الخروج درب أسوار كاريز. والجامع في الربض تحت المدينة عند طرف السوق وهو ست قطع ومسجد المنبر بعضه من بناء أبي مسلم على سوارى خشب وبقيته من بناء عمرو بن الليث على أساطين الأجر مدورة يدور على قاعته ثلاثة أروقة وسطه بيت مزخرف له أحد عشر بابا على أعمدة رخام مجزع سقفه سدلا قد زوق حيطانه وسقفه مجمل. وأعلم انه مصرجليل غير أنك لا ترى فيه سوقا حسنا ولا خانا لبقا ثم عوام كلما نعق ناعق اتبعوه مع عصبيات وحشة ورسوم غير حسنة. الشامات: ربع واسع جيد القرى كثير المزارع يسمونه تك آب أي إليه يجري الماء لأنه أخفض الرساتيق، وفي القصبه كلها يخرج ويظهر ليس به مدينة ولا فواكه كثيرة إنما هو مزارع. ريوند: ربع سري نزه في الكروم والأعاب الجيدة والفواكه الحسنة وبه سفرجل لا يرى مثله، به مدينة على اسمه نزهة يشقها نهر وبها جامع قد جدد من الأجر. مازل: ربع نفيس به قرى عجيبة، ومنه يرتفع الريباس الفائق، وفيه قرية بشتقان التي عزم عمرو بن الليث على شراء محلة منها وهي أربع محلات، الدور وسط البساتين والأنهار تخترقها، فلم يف بذلك بيوت ماله ومستفاض، إنما دخل نيسابور ومعه ألف حمل مال. وسمعت أنهم قالوا له في هذه القرية شجر يستوي الواحدة عشرة دنانير إلى عشرة دراهم وقد بعناك كل واحدة بدينار.

بشتفروش: ربع كثير الفوائد والأعاب حيث أنه دخل في يوم واحد من باب الجيق وهو يشرع إليه عشرة آلاف حمل عنب، وسمعت أبا سعيد الجوري يقول به بستان فيه شمش غلته كل يوم دينار من أول المشمش إلى إنقضائه، ليس به مدينة، وبه قرية على اسمه عظيمة. بشت: هو أجل الرساتيق الاثنى عشر، كبير به سبعة منابر، يقال أن أبا الفضل البلعمي وأبا الفضل بن يعقوب حضرا مجلس الأمير السعيد فاطنب البلعمي في مدح مرو فقال ابن يعقوب لا ننكر فضل مرو انها لكما ذكرت، غير أن لنيسابور اثنى عشرستاقا منها بشت دخل ثلاثة منابر منها مثل دخل مرو، فنظروا فإذا الامر على ما ذكر، وهو رستاق يجمع الفواكه والحبوب والأعاب السرية وسمعت أن فيه زيتونا وبه تين كثير ومنه تحمل البواكير لأنه معتدل الهواء، اسم مدينته طرثيث عامرة جيدة وبها جامع ليس بعد جامع دمشق أغنى منه حسن نظيف له سوق قد بني جديدا سوى ما حوله من الدكاكين، وقد أضيف مسجد من الأجر والجص وعند باب حوض للماء مدور ينزل إليه بمراق حسن ثم هي فريضة فارس وأصفهان وخزانة خراسان، دونها كندر قريبة مما ذكرنا في العمارة والخير وسائر المنابر في عداد القرى. بيهق: يلي هذا الرستاق ويقاربه في الخيرات والخصب ونفاسة القرى، وفيه تشق جادة الري، وبه مدينتان سوزوار وخسروجرد عامرتان بينهما فرسخ وقرية في المنصف كلاهما على الجادة، وبه قرى جلييلة مثل جزينان ونظائرها وهم أهل أدب وقد أخرج عدة من العلماء والكتبة ويرتفع منه بز كثير. كويان: رستاق واسع كثير الخير يرتفع منه ثمار وحبوب وثياب، وفيه طريق إلى جرجان، وهم أصحاب حديث وأهل أدب، اسم مدينته أزاور عامرة أهلة كثيرة الخير. جاجرم: رستاق صغير سري، به مدينة لها جامع حسن وهي كبيرة محصنة تدعى بهذا الاسم وله نحو سبعين قرية، ويقال أن لكل رستاق من الاثنى عشر ولكل ربع ثلاثمائة وستين قرية غير هذا. أسفراين: رستاق نفيس بلد الأعاب الجيدة ومزارع الارزاز الكثيرة، يشقه جادة جرجان، مدينته على هذا الاسم عامرة نفيسة ليس في مدائن الرساتيق أجل منها ذات أسواق حسنة وخصائص عدة، وهم أيضا أصحاب حديث. أستوا: رستاق كبير على جادة نسا وليس في هذه الرساتيق أخصب ولا أكثر حبوبا منه وهو يقوم بأكثر ميرة نيسابور، وبه مباحس ويزرع به ثوم كثير ويرتفع منه ثياب كثيرة واسم مدينته خوجان ليست بالكبيرة خلف جبل نائية عن الجادة، وسائر الرساتيق عامرات. طابران: هي أكبر مدائن طوس عليها حصن شبهتها من بعيد بيثرب، بها سوق حار ومشايخ وكبار وفوائد وتجار، الجامع في الأسواق قد زخرفة ابن عبد الرزاق، ولهم قتي قريبة وأبار كثيرة الخير رحية الأسعار واسعة الحطب حسنة الثمار إلا إنها بليدة خربة الأطراف باردة ردية الحمامات وبس قوم إذا دارت الدائرات. نوقان: دون طابران قد التفت الأسواق بجامعها، حذاق في نحت البرام ونظائرها وهم قوم جياذ إلا أن ماءهم قليل. جناد: أصغر منها لها سبعون

قرية، وبقية المنابر استورقان جرموكان، تروغيد، سركو، رايبكان، برنوخكان. نسا: بلد رحب نزيه طيب غزير المياه كثير الخيرات مشتبك الاشجار حسن الثمار، جامع ظريف وخيز نظيف وسوق رصيف له خصائص وظرائف، المذهب واحد والرخص دائم مع فقه وأدب واصل وحسب وبأس ومنعة، أقل دار إلا وبها بستان وماء جار وقرى كبار إلا أن بها كل عيار، قد اخربها العصبية وحوى ضبايعها الخوارزمية قد زادوا في القرآن ورجعوا في الاذاز وخالفوا الإسلام، لها عشرة دروب قد غابت في الأشجار، لها مدينتان إسفينقان وجرمقان، ورباطان: أفراوة وشارستانة. أفراوة رباط جليل به رجال شهام وعدد من خيل وسلاح، ثلاثة حصون متصلة على أحدها خندق، شربهم من عيون فيه وهو في مفازة إلا أن الخيرات تجبى إليه وهم جفاة رديو المعاملة. أبيورد: اعجب إلي من نسا وأحر سوقا وأرخی وأخصب، شربهم من نهر، والجامع بالسوق، قد خرب حصنها، مدينتها مهنة ورباطها كوفن.

قايين: هي قسبة قوهستان لا طيبة ولا سرية بل صغيرة ضيقة ظمئة، لسان وحش وبلد قدر ومعاش قليل، إلا أن عليها حصناً منيعاً واسمها بعمان كبير، ويحمل منها بز كثير، والرفاق إليها تسير، هي فرضة خراسان وخزانة كرمان، مشاربهم من مني ولها ثلاثة أبواب. طيس التمر: عليها حصن وسوقها صغير وجامعها لطيف، شربهم من حياض تجري إليها قني ظاهرة، ورأيت بها حمامات طيبة. كري: على ثلاثة فراسخ من نحو المفازة دون هذه في العمارة. الرقة: صغيرة قريبة من المفازة شربهم من عيون. تون: عامرة أهلة كثيرة الحاكة وبها علماء وكبراء. خوست: عليها حصن على فم المفازة وهي أكبر وأقل أهلاً من تون، قليلة الأشجار شربهم من عيون. طيس العناب: تسمى طيس مسينان كثيرة العناب.

جمل شئون هذا الإقليم

هو إقليم بارد إلا سجستان وبست وطيست التمر فإنهن على هواء جروم الشام، وأما بلخ فهواءها عراقي وهواء مرو شامي ويرد خراسان ألين من برد هيطل، وهذا الإقليم كله يابس ثم لا يتساوى البيوسة أيضاً، وكلما أشد برد موضع في هذا الإقليم أشد حره إلا سمرقند فإنها طيبة في الصيف وكذلك نيسابور غير إنها ألين برداً من سمرقند، وفي هذا الإقليم كله ينمون على السطوح وهم في تعب. قال ودخل عبدالله بن المبارك على عبد الرزاق بصنعاء فسأله عن الهواء بخراسان، فقال: إنا ننام ثلاثة أشهر في البيوت وثلاثة في الصفاف وثلاثة فوق السطوح ثم نرجع على هذا الترتيب. قال: إذا أنتم يا خراساني أبداً في سفر لي عمري كله أنام في هذا الموضع. وكذلك أكثر الشام وبعض فارس وبعض كرمان ومكثت أنا عشرين سنة ببيت المقدس أنام في البيت. وخرج النار حارة في الصيف. وهو كثير الأنهار والثمار وليس فيه بحيرة إلا بخوارزم مألحة وأخرى بسجستان وأخرى ببخارا عذبتان، ولا تجري السفن إلا بجيخون ونهر الشاش. وهو أكثر الأقاليم علماً وفقهاً وللمذكورين به صيت عجيب ولهم أموال جمّة، وبه يهود كثيرة ونصارى قليلة وأصناف المجوس، وليس فيه مجذومون ولا يعرفون الجذام، وأولاد علي رضه فيه على غاية الرفعة ولا ترى به هاشمياً إلا غريباً. ومذاهبهم مستقيمة غير أن الخوارزم بسجستان ونواحي هراة كروخ واسترييان كثيرة، وللمعتزلة بنيسابور ظهور بلا غلبة، وللشيعة والكرامية بها جلبة، والغلبة في الإقليم أصحاب أبي حنيفة إلا في كورة الشاش وإيلاق وطوس ونسا وأبيور وطران وصنجاج وسواد بخارا وسنج والدندانقان وأسفراين وجويان فإنهم شفعوية، كلهم والعمل في هذه المواضع على مذاهبهم، ولهم جلبة بهراة وسجستان وسرخس والمروين ولا يكون قاضياً إلا من الفريقين وخطباء المواضع التي استتينا، ونيسابور أيضاً شفعوية واحد جامعي مرو أيضاً، إلا أن الإقامة به ونيسابور مثني وللكرامية جلبة بهراة وجرج الشار، ولهم خوانق بفرغانة والختل وجوزجانان وبمرو الروذ خانقة وأخرى بسمرقند، وبرساتيق هيطل أقوام يقال لهم بيض الثياب مذاهبهم تقارب الزندقة وأقوام على مذهب عبدالله السرخسي لهم زهد وتقرب، وأكثر أهل ترمذ جهمية وأهل الرقة شيعة وأهل كندر قدرية والشار يصلي العيدين على قول عبد الله بن مسعود ومذهب أبي حنيفة يوالون بين القراءتين ويكبرون أربعاً.

وأما التجارات فترتفع من نيسابور ثياب البيض الحفية والبيبايف والعمائم الشهبانية الحفية والراختج والتاخرج والمقانع وبين الثوبين والملاحم بالقز والمصمت والعتابي والسعيدي والظرائفي والمشطي والحلل وثياب الشعر والغزل المرتفع والحديد وغير ذلك. ومن نسا وأبيورد القز وثيابه والسهمس ودهنه وثياب الزنيفة ومن نسا ثياب البنوزية وفراء الثعالب والبزاة. ومن طوس البرام الفاتقة والحصر والحبوب. ومن رساتيق نيسابور ثياب كثيرة غليظة. ومن هراة البز الكثير وديباج دون وخليدي والزبيب الطانفي والعنجد الأخضر والأحمر ودوشابه وناطفه والبولاد والفسنق وأكثر حلوات خراسان. ومن مرو الملاحم ومقانع القز والأبريسم القطن والبقر والجبن واللبز والشبيرج والنحاس. ومن سرخس الحبوب والجمال. ومن سجستان التمر والزنايل والحبال من اللبف والحصر. ويرتفع من قوهستان ثياب تشابه النيسابورية بيض وبسط ومصليات حسنة، ومن بلخ الصابون والسهمس والأرز والجوز واللوز والزبيب والعنجد والسمن وعسل الشمسي من العناب والتين ولب الرمان والزجاج

والكبريت والرصاص وإسبرك والزرنيخ والأبخرة والوقايات على عمل الجرجانية والأبراد والأدهان والجلود. ومن غرج الشار الذهب واللبود والبسط الحسان والحقائب وما في معناها والخيل الجيدة والبغال. ومن ترمذ الصابون والحلثيث. ومن ولواج السمس ودهنه والجوز واللوز والفسق والأرز والحمص والبيري والرخبين والسمن والقرون وجلود الثعالب. ويرتفع من بخارا الثياب الرخوة والمصليات والبسط وثياب الفرش الفندقية وصفر المناير والطيري وحزم الخيل تنسج في المحابس وثياب أشموني والشحم وجلود الضأن ودهن الرأس. ومن كرمينية المناديل. ومن دبوسية ووذار ثياب الودارية وهي ثياب على لون المصمت، وسمعت بعض السلاطين ببغداد يسميها ديباج خراسان. ومن ربنجن أزر الشتاء من اللبود الحمر ومصليات وطاسات اسيلدروي والجلود ومرير القنب والكبريت. ومن خوارزم السمرور والسنباب وقاقون وفنك ودله والثعالب وخزبوست وخركوش ملون وبزبوست والشمع والنشاب والتوز والقلائس وغراء السمك وأسنان السمك خزميان وكهروا والكيخت والعسل والبندق وأبوز والسيوف والدروع والخلنج والرقيق من الصقالبة والأغنام والبقر كل هذا من بلغار ويرتفع منها عناب وزبيب كثير وملابن وسمسم وبرود وفروش وثياب اللحف وديباج بيشكش ومقاع ملحم واقفال وثياب أرنج والقسي التي لا يقوى على معط القوس إلا أشد الرجال والرخبين والمصل والسمك والسفن تنحت وتعمل ومن ترمذ أيضا. ويحمل من سمرقند ثياب سيمكون والسمرقندية والقذور العظيمة من النحاس والقماقم الجياد والأخبية والركب والحكمات وسيور. ومن ذلك اللبود الجياد والأقبية منها. ومن بناكث ثياب تركستان. ومن الشاش سروج الكيمخت الرفيعة والجعاب والأخبية وجلود تجلب من الترك وتديع والأزر والمصليات والبنيفات والبيزر والقسي الجيدة وأبر دون والقطن يحمل إلى الترك وتديع والأزر والمصليات والبنيفات والبيزر والقسي الجيدة وأبر دون والقطن يحمل إلى الترك والمقاريض ومن سمرقند أيضا ديباج يحمل إلى الترك وثياب حمر تسمى ممرجل وسينيزي وقز كثير وثيابه والبندق والجوز. ومن طوس التلك الحسنة والأبراد الجيدة. ومن فرغانة واسيجاب الرقيق من الأترار مع الثياب البيض والآلات السلاح والسيوف والنحاس والحديد ومن طراز بزبوست ومن شلجي الفضة. ومن تركستان إلى هذه المواضع تخرج الخيل والبغال وكذلك من الختل. ولا نظير لديواج وطراز وطين وكماة وشهجاني وأبر وسكاكين وربياس نيسابور ولا لملاين واشترغاز وبطيخ مرو الكبير. وعند كل من لم يدخل الرملة إنه ليس في الدنيا مثل خبزهم ولكن لا نظير له في أقاليم الأعاجم، ولا ترى مثل هريستهم، ولا نظير للحمان بخارا وجنس بطيخ لهم يسمى الساف، ولا لقسي خوارزم وغضائر الشاش وكاغد سمرقند، وبانجان نسا وأعناب هراة. وبه معادن كثيرة بنيسابور في رستاق ريوند معدن الفيروزج وبرستاق. معدن السبج وبرستاق بيهق معدن رخام وبتوس البرام وبزوزن طين الأكل وبرستاق. طين الختم والكتابة ومعدن الفضة ببروان وبنجهير وشلجي وهو جبل يمد إلى فرغانة. النوشادر وفضة وذهب من بارمان وذو الفار من كورة إيلاق وهو ما يتصاعد من دخان الفضة وأقل ما يقع إلى الناس من خالصه والزبيق عين تفور قرب قبا وليست بمعدن وقد كان أبو يوسف ظن ذلك ثم أخبر إنه كما قال أبو حنيفة، وبواشجرد زعفران جيد وبقواديان فوه وفي هذا الجانب نطف وفيروسج لا يمكن منه وبه قير وزفت. أبو يوسف ظن ذلك ثم أخبر إنه كما قال أبو حنيفة، وبواشجرد زعفران جيد وبقواديان فوه وفي هذا الجانب نطف وفيروسج لا يمكن منه وبه قير وزفت.

ورسومهم تخالف رسوم أقاليم العرب في أكثر الأشياء، منها إنهم يأخذون الميت عند الدفن من قبل القبلة صاحب الرأي منهم والحديث إلا الشيعة فإنهم يسئلونه، وقلت يوما، لأهل أبيورد أنتم قوم على مذهب الشافعي رحمه الله والأمر لكم في بلادكم فلم لا تسئلون الميت سلا قالوا: ما كنا لتتابع الشيعة ونخالف المسلمين ولا يحول الإمام وجهه عن يمين وشمال عند الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم خطب. وللمؤذنين سرير قدام المنبر يؤذنون عليه بتطريب وألحان. ولا يتردى الخطيب ولا يتقبي إنما عليه دزاعة ولا يسرع الخروج، وفي جوامعهم قدور من نحاس كبار على كراسي يطرح قتي الماء الجمد يوم الجمعة، ويلبسون الخفاف في الشتاء والصيف وأقل ما ينتعلون، ويذكرون بلا دفاتر، فأما بمرور وسرخس وبخارا فلا يذكر إلا فقيه أو مفسر، وسائر الأقاليم كل من أراد، ورسم أصحاب أبي حنيفة يذكرون في هذه الثلاث بلدان التي ذكرنا بمستلمي، وتضرب المقارع بين يدي أجلة الأمراء، ويشهد كل أحد في كل شيء، غير أن في كل بلد عدة من المزيكين فإن طعن الخصم على الشاهد ستل عنه المزكي، ولا يتحك في الفقيه أو رئيس. وبنيسابور رسوم حسنة منها مجلس المظالم في كل يوم أحد وأربعاء بحضور صاحب الجيش أو وزيره، فكل من رفع قصة قدم إليه فأنصفه وحوله القاضي والرئيس والعلماء والأشراف، ومجلس الحكم كل اثنين وخميس بمسجد رجاء لا ترى في الإسلام مثله، ولوجوه البلد بالغدوات مجالس على أيام الجمعة يجتمع فيها القراء يقرأون إلى ضحى. وتجلهم على ثلاثة أوجه، أما الفقهاء والكبراء فيتطيلسون ولا يتحنكون إلا من يستحق ولهم لبسة يتفردون بها في الشتاء يتلبس أحدهم ويجعل الطيلسان فوق العمائم ثم يلبس من فوق ذلك دراعة ويرخي ما فوق العمامة على طرف الدراعة من خلف، ورأيت جماعة بطوس وأبيورد وهراة يفعلون ذلك، وأهل سجستان يكورون العمائم مثل التيجان، ولا يتطيلس بما وراء النهر إلا كبير، إنما هي الأقبية المفتوحة، وبمرور أنصاف العلماء يجعلون الطيلاسة على أحد أكتافهم مجتمعة فإذا أرادوا أن يرفعوا فقيه أمره بالتطيلس.

ومياهم واسعة أما نيسابور فلهم قني تجري تحت الأرض باردة في الصيف يتجوز إليها من أربع مراق إلى سبعين ثم تظهر في الضياع فتسقيها ومنها ما يظهر في البلد ويدور في المحلات مثل التي بالبحيرة وبلغاوا وباب معمر وقناة أبي عمرو الخفاف وقناة شاذياخ وزقاق الدارين وسوار كاريز كل هذه تجري على وجه الأرض، وتجد في بعض المواضع آبار حلوة، ولهم نهر على فرسخ بقربة بشتقان يدير سبعين رحي. وأما سجستان فلها عدة أنهار تسقي المدن والضياع منها نهر هيرميد يخرج من ظهر الغور نحو الجنوب فيحدر إلى مدينة بست ثم ينتشعب على مرحلة من زرنج فيأخذ نهر الطعام على الرساتيق حتى يبلغ نيشك ثم يأخذ منه نهر باشتروذ فيسقي بست ثم ينحدر فيسقي عدة من القرى إلى كرك، وقد بني ثم سكر يرد الماء لئلا يجري إلى البحيرة. ولهذه الكورة نهر فره يخرج من قرب الغور حتى يسقى تلك النواحي ثم يقع فضله إلى بحيرة الصنط ولها عنده بحيرة من نحو كرمان عذبة هي قرار هذه المياه طولها أكثر من عشرين فرسخا وعرضها مرحلة يرتفع منها سمك كثير عليها ضياع وغياض تشكل بطائح العراق. ونهر هراة يخرج من تحت الغور ثم ينتشعب عند رأس الكورة فتند منه شعبة إلى القصبة ويتخلل البلد ثم يخرج إلى البساتين، وثم جسر ليس بجميع خراسان أعجب عملا منه بناه رجل مجوسي وكتب عليه اسمه وإنه أكل الصناع في عمله ألف وجريب من ملح ويقال أن سلطانا أراد أن يكتب عليه اسمه، منهم من قال أسلم ومنهم من قال طرح نفسه في النهر، وينتشعب منه إلى القصبة سبعة أنهار نهر برخوي يسقي رستاق سنداسنك ونهر بارشت يسقي رستاق كواشان وسياوشان ومالن وتيزان. ونهر أدريجان يسقي رستاق سوسان وكوكان ونهر غوسمان يسقي رستاق كرك ونهر كرك يسقي رستاق غويان وكربگرد ونهر سنغغر يسقي رستاق سرخس في حد بوشنج ونهر الجير يسقي القصبة. وأما نهر المروين فيخرج من تحت الغور فيمد إلى مرو العليا ثم يعطف إلى السفلى فإذا صار منه على نحو مرحلة لقيه واد عظيم قد سد من الجانبين بالحطب عجيب وانحبس الماء حتى ساوى المصب ثم مد إلى مرو، وعليه أمير أقوى من أمير الحماية تحت يده عشرة آلاف رجل مرتزق، وعليه حراس بحفظونه لئلا ينبثق، ولا ترى أحسن ولا أتقن من قسمته. ويحكى عن الذي قسمه إنه قال ما تركت من العدل شيئا إلا وقد استعملته فيه إلا ما عجزت عنه، وقد أقيم لوح فيه شق على طوله في عرضه شعيرة ربما علا الماء فبلغ طوله في اللوح ستين شعيرة فتكون سنة خصبة ويستبشر الناس بذلك ورفعت المقادير، وإذا كانت ست شعيرات كانت سنة قحط، وموضع مقياسهم على فرسخ من المدينة شبه حوض مستدير، فإذا قدر المتولى لذلك أنفذ البريد ساعة إلى ديوان النهر خاصة، ثم ينفذون الرسل إلى جميع المتولين شعب الأنهار، فيقسموا الماء على ذلك المقدار، وعلى الموضع الذي ذكرنا أولاً أربعمائة غواص، يراعونه في ليالهم ونهارهم، وربما احتاجوا دخول الماء في البرد الشديد فيطلون أنفسهم بالشمع وعلى كل رجل منهم الخشب وجمع الشوك بشيء معلوم في كل يوم يستعدونه لوقت الحاجة، وانبتق وأنا بنيسابور فأشرف الناس على الإنجلاء وناب عليه الأموال العظيمة. ويتخلل البلد منه أربعة أنهار نهر الزرق يجري على باب المدينة من نحو الربض فيدخلها ويتفرق في حياض قليلة عميقة، والثاني أسعدى منه يشرب أهل محلة باب سنجان وميرماهان، ونهر هرمزفرة من نحو سرخس يسقي طرف البلد ويسقي الضياع، ونهر الماجان وهو الذي يشق البلد ويتخلل الأسواق ثم يخرج إلى رأس البلد في شعاب وعليه في البلد جسور تعبر إلى الشوارع ولهم حياض مغطاة ومكشوفة بمراق وأبواب يفتح إليها من النهر قدر الحاجة، ولهم آبار حلوة. وإن استوعبنا ذكر الأنهار والمشارب طال الكتاب ولحق منه ملال. وأما نهر الصغد فإنه ينتهي ببخارا ودخوله القصبة من كلاباذ وقد سجر وجعل له مفتح واسع وأقيم فيه الخشب، فإذا كان الصيف وغزر الماء رفعوا تلك الخشب واحدة بعد واحدة على قدر زيادة الماء حتى ينقلب أكثره في المفتح ثم يمد إلى بيكند ولولا هذه الحيلة لقلب الماء على القصبة، ويسمى هذا الموضع فاشون، وبأسفل المدينة أيضا مفتح آخر يسمى رأس الورغ على هذا العمل، وهذا النهر يشق البلد ويتخلل الأسواق وينتشعب في الشوارع، ولهم حياض في البلد واسعة مكشوفة قد أتخذ على حافتها بيوت من الألواح بابواب يغتسل فيها، وربما غلب ماء النهر المنقلب إلى بيكند فغرق الضياع في الصيف، وغلب في السنة التي أتيت ثم على ضياع كثيرة وافقر أقوام وخرج المشايخ إلى سده وبذل الشيخ أبو العباس اليزدادي في ذلك أموالا جمة أحتسابا، وهو ماء كدر ويطرح فيه بلاذات كثيرة في البلد، ويقال أن أصل اسم بخارا كوه خوران وطرحت الهاء والواو للتخفيف فصارت كخارا ثم أبدلوا من الكاف باء ليوهموا على الناس فصارت بخارا وسمعت بعض الأدباء ينشد: إن باء بخارا باء زانده والألف الوسطى بلا فائده فلم يبق الا خرا. ومصبه من سمرقند، إلا أن المياه تلقاه، ومبتدأه من الجبال ومقره في بحيرة خلف الصغانيان ثم ينصب إلى رأس السكر ثم ينتشعب أنهار سمرقند منها نهر عظيم على ظهر البلد فيدخل البلد. ولا أعرف بهذا الإقليم ماء رديا إلا ماء كش ونسا وبرستاق طبس التمر، ولا به هواء رديا إلا زم فإن أهلها مصفرو الألوان وهواء نيسابور وسمرقند حسن يحتاج إلى الدسم وإنما طالت أعمار أهل نيسابور من قوة الهواء. قال وقيل لعبد الله بن طاهر لم اخترت نيسابور على مرو قال لثلاثة أشياء لأنني رأيت هواءها وأهلها أوطأ والمعمرين فيها كثيرا.

ومن العجائب بنيسابور جبل ترابه أسود مثل الأنفاس به يكتبون الرسائل وما يجري مجراها ويختمون الكتب، وجبال بهيطل ونيسابور يقطعون منها الملح كما يقطع الحجر، وبه شجر لها ثمر إذا شق خرج منه حيوان له أجنحة يطير، وماء مازل ومسجد رجاء وطاحونة ابن. وايوان إلى مسلم وطواحين الريح بسجستان وبوشنج وحصن زرنج من العجائب، بسرخس

موضع يقصده طير في يوم من السنة فيطرح نفسه فيه ويجمع الناس منه شيئاً كثيراً، وبمزدوران كهف لا يعلم له منتهى. وبه مشاهد قبر علي الرضى بطوس قد بنى عليه حصن فيه دوروسوق، وقد بنى عليه عميد الدولة فائق مسجداً ما بخراسان أحسن منه، وعلى فرسخ من سرخس قبر ابن عم له قد بنى عليه مشهد. على فرسخين من مرو رباط فيه قبر صغير قالوا هو قبر رأس الحسين بن علي رضي الله عنه. بطيس قبر صحابيين. وبحافة جيحون رباط ذي القرنين يقابله من الشرق رباط ذي الكفل يقال أنه كان يجر بينهما سلسلة. بطرف نسا رباط افراوة، وبازاء اببور رباط كوفن، وقد بنى خلفها أبو القاسم الميكالي رباطين أنفق عليهما أموالاً جمة وحمل إليهما عدداً وآلات كثيرة وحبس لهما أوقافاً جليلاً وانبط فيهما أبارحولة وأنشأ ثم ضياعاً عدة وقبره ثم. وبين نيسابور وقهستان رباط سهيل يفضل، وثم عين حارة ذكروا أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اشتد بهم البرد فدعوا الله تعالى حتى خرجت لهم هذه العين للوضوء، وثم عدة قبور من الصحابة. وفي بيكند جامع يفضلونه، ورباط النور خلف بخارا له موسم كل سنة ودست قطوان.

والسنتهم مختلفة أما لسان نيسابور ففصيح مفهوم غير أنهم يكسرون أوائل الكلم ويزيدون الباء مثل بيكو وبيشو ويزيدون السين بلا فائدة مثل بخردستي وبكفتستي وبخفتستي وما يجري مجراها وفيه رخاوة ولجاج. وأهل طوس ونسا أحسن لساناً. وفي كلام سجستان تحامل وخصومة يخرجونه من صدورهم ويجهرون فيه. ولسان بست أحسن. ولا بأس بلسان المرويين غير أن فيه تحاملاً وطولاً ومدا في أواخر الكلم ألا ترى أن أهل نيسابور يقولون برأى أين وهم يقولون بترون أين يعني من أجل هذا، فقد زادوا حرفاً فتأمل هذا الضرب تجده كثيراً. ولسان بلخ أحسن الألسن إلا أن لهم فيه كلمات تستقبح. ولسان هراة وحش تراهم يفتقون ويتكلمون ويتحاملون ثم يخرجون الكلام آخر ذلك ملوثاً بالكوه، وسمعت بعض أصحاب المعداني يقول أمر بعض ملوك خراسان وزيره أن يجمع رجالاً من خمس كور خراسان التي هي الأصول، فلما حضروا تكلم السجستاني فقال الوزير هذا لسان يصلح للقتال، ثم فاتح النيسابوري فقال هذا لسان يصلح للتقاضي، ثم تكلم المروزي فقال وهذا لسان يصلح للوزارة، ثم تكلم البلخي فقال وهذا لسان يصلح للرسالة، فلما تكلم الهروي فقال وهذا لسان يصلح للكنيف. فهذه أصول السنة خراسان وغيرها تبع لها ومشتق منها وراجع إليها. فلسان طوس ونسا قريب من النيسابوري ولسان سرخس واببور قريب من لسان مرو ولسان غرج الشار بين لسان هراة ومرو ولسان جوزجان بين المروزي والبلخي ولسان الباميان وطخارستان قريب من البلخي إلا أن فيهما انغلاقاً، ولسان خوارزم لا يفهم، وفي لسان البخاريين تكرار ألا ترى كيف يقولون يكي أدرمي ورأيت يكي مردي وغيرهم يقول اعطيت ادرمي وقس عليه ويكثرون قول دانستي في خلال كلامهم بلا فائدة غير أنها درية وإنما سمي ما جانسها دريالأنها اللسان الذي تكتب به رسائل السلطان وترفع بها إليه القصص واشتقاقه من الدر وهو الباب يعني أنه الكلام الذي يتكلم به على الباب. وأهل سمرقند يستعملون الحرف الذي بين الكاف والقاف يقولون بكردكم وبكفتكم ونحو ذلك وفيه برد، ولسان الشاش أحسن السنة هيطل وللصغد لسان على حدة يقاربها السنة رساتيق بخارا وهي مختلفة جداً مفهومة عندهم، ورأيت الإمام الجليل محمد ابن الفضل يتكلم بها كثيراً، وأقل بلد مما ذكرنا إلا ولرساتيقه لسان آخر.

وألوانهم مختلفة أحسنهم أهل الشاش وفرغانة وما وقع في ذلك الصقع ثم أهل نسف وطراز وباراب، ولا نظير لسانهم ثم السمرقنديون ثم البخاريون ثم المراوذة ثم لا شيء، وألوان طيس التمر حجازية مثل سجستان وغزنيين، وأهل خوارزم بيض حمر غير أن لهم خلقة أخرى. وبه عصبية بين نصف نيسابور الغربي وهو ماعلا منه ينسب إلى منيشك، وبين الآخر ينسب إلى الحيرة، عصبية وحشة على غير المذهب وقد صار الآن بين الشيعة والكرامية. ويقع بسجستان عصبية بين السمكية وهم أصحاب أبي حنيفة رحه وبين الصدقية وهم أصحاب الشافعي رضه يهرق فيها الدماء ويدخل بينهم السلطان. وفي سرخس بين العروسية وهم أصحاب أبي حنيفة وبين الأهلية وهم أصحاب الشافعي. وبهراة بين العملية والكرامية. وبمرو بين المدنيين والسوق العتيق. وبنسا بين الخنة ورأس السوق. وباببور كرداري ورأس البلد. وسمعت رجلاً يقول ما شرب من ماء قويق إلا وتعصب. وبلخ عصبية على غير المذهب وكذلك سمرقند وجميع البلدان قل ما تخلو من عصبية.

والولايات والخطبة في هذا الإقليم كله من آل سامان، ويحمل الخراج ألا أمير سجستان وخوارزم وغرج الشار وجوزجان وبست وغزنيين والختل فإنهم يبعثون الهدايا حسب، ويرتفق امرؤهم بالآخرة، وصاحب الجيش مقامه بنيسابور، وسجستان بيد آل عمرو بن الليث، والغرج بيد الشار، وجوزجان بيد آل فريغون، وغزنيين وبست مع الأتراك. وأول من ملك هذا الإقليم كله اسماعيل بن أحمد سنة ثم رحل إلى بخارا وأضاف إليه المعتضد كرمان وجرجان وأضاف إليه المكتفي سنة لري والجبالي إلى عقبه حلوان فلما مات لقبوه الماضي، وجلس بعده ابنه أحمد فقتل بفربر وسموه الشهيد ثم جلس ابنه نصر وكان حاجبه أبو جعفر ذوغوا وصاحب جيشه حمويه ووزيره أبو الفضل بن يعقوب النيسابوري ثم أبو الفضل البلعمي ثم أبو عبدالله الجيهاني فلما مات سموه السعيد، وجلس ابنه نوح كان حاجبه رشيق الهندي ثم أفتكين وصاحب جيشه أبو علي الصغاني ثم ابن مالك ثم ابن قراتكين ووزيره أبو منصور ابن غزير ثم الحاكم الجليل فلما مات سموه الحميد، وقد أضاف ثلاثة من بنيهِ إلى ثلاثة من

الخدم عبد الملك إلى نجاح ومنصورا إلى فائق ونصرا إلى ظريف، فأجلسوا عبد الملك ولم يكن في آل سامان مثله كان حاجبه الفتكين ثم استخلف غلامه وصاحب جيشه ابن مالك ثم الفتكين فوقع عن الدابة ومات فسموه الرشيد، وأجلسوا ابنه نصرا يوما واحدا فجمع فائق العسكر وخلعه وأجلس مولاه المنصور وكان حاجبه أبو منصور باقري ثم قلع وصاحب جيشه ابن عبد الرزاق ثم أبو الحسن ابن سيمجور ووزيره اميرك بعلمي ثم العتبي ثم رد البلعمي ثم رد العتبي فلما مات سموه السديد، وأجلسوا ابنه نوحا وكان حاجبه تاش ثم هوانج وصاحب جيشه ابن سيمجور ثم ولاها تاش رد أبا الحسن ابن سيمجور ووزيره ابن الجيهاني ثم ابن العتبي ثم المزني ثم الاصطخري ثم عبدالله بن عزيز ثم أبو علي محمد بن عيس الدامغاني، وهم من قرية بناحي سمرقند يقال لها سامان وأصلهم يرجع إلى بهرام جور وقد أعطاهم الله الظفر والتمكين وهم من أحسن الملوك سيرة ونظرا وإجلالا للعلم وأهله، ومن أمثال الناس لو أن شجرة خرجت على آل سامان ليبيست، ألا ترى إلى عضد الدولة وتجيره وتمكنه وكمال دولته وفتوة أمره، خطب عليه بجميع اليمن وأصابها من غير حرب، ولا دب إلا بكتاب كتبه ورسول أنفذه وخطب له بالسند وفتح عمان وملك ما ملك فلما تعرض لآل سامان وطلب خراسان أهلكه الله وشتت جمعه وفرق جيوشه ومكن أعداءه من ممالكة فتبا بمن عاند آل سامان. ومن رسومهم أنهم لا يكفون أهل العلم تقبيل الأرض، ولهم مجالس عشيات جمع شهر رمضان للمناظرة بين يدي السلطان، فيبدأ هو فيسأل مسأله ثم يتكلمون عليها وميلهم إلى مذهب أبي حنيفة، وليس من رسمهم الانبساط إلى الرعية، وإنما الوزير الذي يمشي الامور بلي إذا أرادوا أن يرفعوا رجلا أجلسوه معهم على الخوان كما فعل بالشيخ أبي العباس البزدادي، وربما شافهوا الرسل عند المهمات كما شافهوا الشيخ أبا صالح لما أنفذه إلى صاحب الجيش أبي الحسن، ويختارون أبدا أفقه من ببخارا وأفهم فيرفعونه ويصدرون عن رأيه ويقضون حوائجه ويولون الأعمال بقوله مثل الشيخ الإمام الجليل محمد بن الفضل، حتى أن الناس قد تراعفوا ذلك فهم يشيرون إلى من يكون بعده، ألا ترى إلى إشارتهم إلى الحاكم الإمام محمد بن يوسف لأنه أفقه الكهول وأصونهم.

وأما الخراج فعلى فرغانة مائتا ألف وثمانون ألفا محمديّة. وعلى الشاش مائة ألف وثمانون ألفا مسيبيّة. وعلى خجندة من مقاطعة الأعشار مائة ألف مسيبيّة. وعلى الصغد وكش ونسف واشروسنة ألف ألف وتسعة وثلاثون ألف واحد وثلاثون درهما محمديّة. وخراج اسبيجاب أربعة الدوانيق ومكنسة تبعث إلى السلطان كل سنة مع الهدايا. وخراج بخارا ألف ألف ومائة ألف وستة وستون ألفا وثمانمائة وسبعة وتسعون درهما غطريفية. وكانوا ثلاثة أخوة محمد ومسيب وغطريف ضربوا هذه الدراهم وهي سود على عمل الفلوس لا تنفق إلا بهيطل ولها فضل على البيض. وخراج الصغانيان ثمانية وأربعون ألفا وخمس مائة وتسعة وعشرون درهما. وعلى وخان أربعون ألفا. وعلى خوارزم اربعمائة ألف وعشرون ألفا ومائة وعشرون بدرهمم وهي أربعة دوانيق ونصف. ووجدت في بعض الكتب أصل خراج خراسان أربعة وأربعون ألف ألف وثمان مائة ألف وتسعمائة وثلاثون درهما وثلاثة عشر درهما ومن الدواب عشرون دابة وألفا شاة ومن الرقيق ألف واثنان عشر رأسا ومن البرود وصفائح الحديد ألف وثلثمائة قطعة. وأما الضرائب فهينة ويصعبون بحافة جيحون في الرقيق، ولا يعبرون غلاما إلا بجواز من السلطان، ويأخذون مع الجواز سبعين إلى مائة، وكذلك على الجوّاري بلا جواز إذا كانوا أترাকা، ويأخذون على المرأة عشرين إلى ثلاثين درهما، وعلى الجمل درهمين، وعلى قماش الراكب درهما، ويردون سبائك الفضة إلى بخارا ومن أجلها يقع التفتيش، وفي المنازل من درهم إلى نصف.

وأما المسافات فتأخذ من أخسيكت إلى قبا مرحلة ثم إلى أوّش مرحلة ثم إلى أوزكند مرحلة ثم إلى العقبة مرحلة ثم إلى طباش مرحلة ثم إلى برسخان الأعلى مراحل ثم إلى موضع بغراخاقان مثلها. وتأخذ من أخسيكت إلى باب بريدين ثم إلى ترمغان نصف مرحلة ثم إلى جاجستان مرحلة ثم إلى صامغر بريدين ثم إلى خجندة مرحلة. وتأخذ من اسبيجاب إلى شواب بريدين ثم إلى بدوخكث مثلها ثم إلى تمتاج مرحلة ثم إلى بارجاج بريدين ثم إلى منزل مرحلة ثم إلى شاوغر نصف مرحلة ومن شاوغر إلى طراز بريدين. وتأخذ من اسبيجاب إلى غرکرد بريدين ثم إلى بنكث مرحلة وتأخذ من بنكث إلى ستوركث مرحلة ثم إلى بناكث بريدين ثم إلى نهر الشاش بريدين ثم إلى خاوص مرحلة ثم إلى زامين مرحلة. وتأخذ من بنكث الشاش إلى معدن الفضة مرحلة ثم إلى جاجستان مرحلة ثم إلى ترمغان مرحلة. ومن بنكث إلى غرکرد مرحلة ثم إلى اسبيجاب بريدين. وتأخذ من زامين إلى خاوص مرحلة وتأخذ من زامين إلى ساباط بريدين ثم إلى شاوكث مرحلة ثم إلى خجندة مرحلة.

وتأخذ من سمرقند إلى زرمان مرحلة ثم إلى رينجن مرحلة ثم إلى، الدبوسية مرحلة ثم إلى كرمينية مرحلة ثم إلى الطواويس مرحلة ثم إلى ديمس مرحلة ثم إلى بخارا مرحلة. وتأخذ من سمرقند إلى زامين مرحلة ثم إلى خاوص مرحلة ثم إلى بناكث مرحلة ثم إلى ستوركث مرحلة ثم إلى بنكث مرحلة. وتأخذ من سمرقند إلى درزده مرحلة ثم إلى كش مرحلة ثم إلى كندك مرحلة ثم إلى باب الحديد مرحلة ثم إلى قرنة مرحلة ثم إلى ترمذ مرحلة.

وتأخذ من بخارا إلى بيكند مرحلة ثم إلى ميان كالم مرحلة ثم إلى فريبر مرحلة ثم إلى جيحون نصف فرسخ. وتأخذ من بخارا إلى جكم مرحلة ثم إلى رباط عتيق مرحلة ثم إلى جب سعيد مرحلة ثم إلى بزدة مرحلة ثم إلى رباط خواران مرحلة ثم إلى قرية البخاريين مرحلة ثم إلى قرية الخوارزميين مرحلة ثم إلى بلخان مرحلة ثم إلى كالف مرحلة ثم إلى محلة القياسين مرحلة ثم إلى ترمذ مرحلة.

وتأخذ من بخارا إلى امزه بريدين ثم إلى رباط تاش مرحلة ثم إلى شوروخ مرحلة ثم إلى الرمل مرحلة ثم إلى رباط طغان مرحلة ثم إلى رباط جكريند مرحلة ثم إلى رباط حسن مرحلة ثم إلى نابادغين مرحلة ثم إلى مضيق النهر مرحلة ثم إلى رباط ماش مرحلة ثم إلى رباط سنده مرحلة ثم إلى بغرقان مرحلة ثم إلى سراخان مرحلة ثم إلى كاث مرحلة. وتأخذ من كاث إلى خاس مرحلة ثم إلى نوزكات بريدين ثم إلى واخان على اليمين مرحلة ثم إلى نوباغ مرحلة ثم إلى مزداخان في مفازة مرحلتين ثم إلى درسان بريدين ثم إلى كردر مرحلة ثم إلى جويقان بريدين ثم إلى قرية براتكين مرحلة ثم إلى البحيرة مرحلة. وتأخذ من رباط ماش إلى أمير مرحلة ثم إلى باراب سار مرحلتين ثم إلى أرذخويه مرحلة. ومن مزداخان إلى وردراغ مرحلة ثم إلى كردر مرحلة. وتأخذ من كاث إلى غردمان مرحلة ثم إلى واخان بريدين ثم إلى أرذخويه بريدا ثم إلى نوکباغ مرحلة. وتأخذ من اوزارمند إلى دسكاخان خاس بريدين ثم إلى رخشميتن مرحلة ثم إلى خيوه مرحلة ثم إلى كردرانخاس بريدين ثم إلى زردوخ بريدا ثم إلى هزاراسب بريدين. ومن اوزارمند إلى روزوند بريد ثم إلى نوزوار مرحلة ثم إلى زمخسر مرحلة وكذلك إلى الجرجانية.

وتأخذ من بخارا إلى نخشب في مفازة ثلاثين فرسخا فيها رباطات ثم إلى الصغانيان تمام مراحل. تأخذ من الصغانيان إلى دارزنجي أو إلى باسند أو باتاب أو سنكرده مرحلة مرحلة ومن الصغانيان إلى بوراب بريدين ومن الصغانيان إلى بهام أو غش أو زينور ثلاثا ثلاثا ومن الصغانيان إلى هنبان مرحلتين ومن الصغانيان إلى الختل فرسخا ومن الصغانيان إلى سمرقند.

وتأخذ من بلخ إلى خلم مرحلتين ثم إلى ورواليز مثلها ثم إلى الطالقان مثلها ثم إلى بذخشان مراحل. ومن خلم إلى سمنجان مرحلتين ثم إلى اندرابة مراحل ثم إلى كراباية مراحل ثم إلى بنجهير مرحلة ثم إلى فروان مرحلتين. وتأخذ من بلخ إلى بغلان مراحل ومن سمنجان إلى بغلان. وتأخذ من بلخ إلى مذر مراحل ثم إلى كه مرحلة ثم إلى الباميان مراحل. ومن بلخ إلى أشبورقان مثلها ثم إلى الفارياب مثلها ثم إلى الطالقان مثلها. وتأخذ من بلخ إلى شاوكرد مرحلة ثم إلى ترمذ مرحلة وتأخذ من اليهودية إلى القاع مرحلة ثم إلى أشبورقان مثلها ثم إلى السدرة مرحلة ثم إلى الدستجده مرحلة ثم إلى بلخ نصف مرحلة. وتأخذ من اليهودية إلى قصر الأمير مرحلة ثم إلى فارياب مرحلة ثم إلى كرك مرحلة ثم إلى الطالقان مرحلة. وتأخذ من اليهودية إلى أنبار مرحلة ثم إلى رباط مرحلة ثم إلى بلخ مرحلة. وتأخذ من فارياب إلى آستانة مرحلة ثم إلى جوبين وملين مرحلة ثم إلى اندخوذ مرحلة ثم إلى رباط افرغون مرحلة ثم إلى قتي - عبات مرحلة ثم إلى كركوه مرحلة.

وتأخذ من مرو إلى فاز مرحلة ثم إلى مهدي أباذ مرحلة ثم إلى بحيراباذ مرحلة ثم إلى القرينين مرحلة ثم إلى أسداباذ مرحلة أو ثم إلى حوزان مرحلة ثم إلى قصر أحنف بريدين ثم إلى أرسكن مرحلة ثم إلى الأسراب مرحلة ثم إلى كنجاباذ مرحلة ثم إلى الطالقان مرحلة ثم إلى كسحان مرحلة ثم إلى اليهودية مرحلة. وتأخذ من مرو إلى جروجرد مرحلة ثم إلى الداندانقان مرحلة ثم إلى تلسنانه مرحلة ثم إلى اشترمغك مرحلة ثم إلى سرخس مرحلة. وتأخذ من مرو إلى كشميين مرحلة ثم إلى رباط الحديد مرحلة ثم إلى رباط نصرك مرحلة ثم إلى جب حماد مرحلة ثم إلى رباط بارس مرحلة ثم إلى أمل مرحلة ثم إلى جيحون فرسخا.

وتأخذ من ابشين إلى رباط شور مرحلة ثم إلى رباط شار مرحلة ثم إلى قرية القاضي مرحلة ثم إلى شورمين مرحلة ثم إلى قرية المجوس مرحلة ثم إلى خاره مرحلة ثم إلى رباط ميانة مرحلة ثم إلى كرو مرحلة ثم إلى هراة مرحلة.

وتأخذ من ابشين إلى رباط كرزوان مرحلة ثم إلى مركز مرحلة ثم إلى رباط رود مرحلة ثم إلى مرو الروذ مرحلة ثم إلى جسر حر مرحلة ثم إلى الطالقان مرحلة. ومن ابشين إلى دزه إلى مرو الروذ فراسخ.

وتأخذ من هراة إلى اسفزار مراحل وإلى مالن أو إلى كروخ أو إلى باشان مرحلة مرحلة وتأخذ في باشان إلى خيسار مرحلة ثم إلى استربيان مرحلة ثم إلى ماراباذ مرحلة ثم إلى أوفه مرحلة ثم إلى خشت مرحلة وأنت في الغور. وتأخذ من هراة إلى ببنة مرحلتين ثم إلى كيف مرحلة ثم إلى بعشور مرحلة.

وتأخذ من غزنين إلى رباط البارد مرحلة ثم إلى اسناخ مرحلة ثم إلى حنس مرحلة ثم إلى الباميان مرحلة. وتأخذ من غزنين إلى كرديز مرحلة ثم إلى أوغ مرحلة ثم إلى لجان وبها عين ماء ثم إلى ويهند تمام منزلا وأنت في بلاد السند والهند.

وتأخذ من بست إلى رباط فيروزقند مرحلة ثم إلى ميغون مرحلة ثم إلى رباط كشر مرحلة ثم إلى بنجواي مرحلة ثم إلى بكراباذ مرحلة ثم إلى خرساد مرحلة ثم إلى رباط سراب مرحلة ثم إلى رباط الأوقل مرحلة ثم إلى خنكل اباذ مرحلة ثم إلى قرية غرم مرحلة ثم إلى قرية خاست مرحلة ثم إلى قرية جومة مرحلة ثم إلى خايسار مرحلة. وتأخذ من سفنجواي إلى رباط مرحلة ثم إلى جنكى مرحلة ثم إلى رباط الحجرية مرحلة ثم إلى بنجواي مرحلة. وتأخذ من بست إلى داور مراحل ثم إلى الغور مرحلة.

وتأخذ من زرنج إلى كركويه مرحلة ثم إلى بشتري مرحلة ثم إلى جوين مرحلة. ثم إلى بستك مرحلة ثم إلى كنجر مرحلة ثم إلى سرشك مرحلة ثم إلى وادي فره مرحلة ثم إلى فره مرحلة ثم إلى دره مرحلة ثم إلى كوستان مرحلة ثم إلى جاشان مرحلة ثم إلى قناة سري مرحلة ثم إلى الجبل الأسود مرحلة ثم إلى جامان مرحلة ثم إلى هراة مرحلة.

وتأخذ من زرنج إلى زانبوق مرحلة ثم إلى سرورن مرحلة ثم إلى حروري مرحلة ثم إلى دهك مرحلة ثم إلى رباط كرودين مرحلة ثم إلى رباط قهستان مرحلة ثم إلى رباط عبد الله مرحلة ثم إلى بست مرحلة. وتأخذ من زرنج إلى جزءه مراحل ثم إلى فره أو إلى القرنين مرحلتين ومن فره إلى نه مرحلة ومن زرنج إلى الطاق مرحلة ومن زرنج إلى كش فرسخا. وتأخذ من قاين إلى تون مرحلة وتأخذ من قاين إلى يناد مرحلتين ثم إلى كندر مثلها ثم إلى طريث بريدين. ومن يناد إلى سنان مرحلة ثم إلى جايمن مرحلة ثم إلى مالن كواخرز مرحلة ثم إلى بوزجان مرحلتين ثم إلى الملاحة مرحلة ثم إلى القصر مرحلة. وتأخذ من نيسابور إلى بيسكند مرحلة ثم إلى حسيناباد مرحلة ثم إلى خسوجرد مرحلة ثم إلى النوق أو إلى يحيى أباذ مرحلة ثم إلى مزينان وبهمن أباذ مرحلة ثم إلى أسداباذ مرحلة ثم إلى هفدر مرحلة. وتأخذ من نيسابور إلى قصر الزيح مرحلة ثم إلى الرمادة مرحلة ثم إلى صاهه مرحلة ثم إلى مزدوران مرحلة ثم إلى اوكنة مرحلة ثم إلى سرخس مرحلة. وتأخذ من قصر الريح إلى فهاكرد مرحلة ثم إلى نوكداه مرحلة ثم إلى مالاكرد مرحلة ثم إلى بوزجان مرحلة ثم إلى كلنا مرحلة ثم إلى السق مرحلة ثم إلى أمده مرحلة ثم إلى هراة مرحلة.

وتأخذ من القصر إلى الملاحة مرحلة ثم إلى سنان مرحلة ثم إلى يناد مرحلتين.

وتأخذ من نيسابور إلى كلكاو مرحلة ثم إلى الدارين مرحلة ثم إلى نمخن مرحلة فمن أراد نسا أخذ إلى ريك مرحلة ثم إلى فرخان مرحلة ثم إلى بردر مرحلة ثم إلى بغداو مرحلة ثم إلى نسا مرحلة. ومن أراد اببوراد أخذ إلى دزاوند مرحلة ثم إلى حوبران مرحلة ثم إلى قلميهن مرحلة ثم إلى اببوراد مرحلة ومن قلميهن إلى كوفن مرحلة ومن كوفن إلى اببوراد مرحلة.

وتأخذ من نيسابور إلى بغيشن مرحلة ثم إلى القرية الحمراء مرحلة ثم إلى المشهد مرحلة ثم إلى طابران بريدين. وتأخذ من نيسابور إلى نشديغن مرحلة ثم إلى رباط مرحلة ثم إلى آخر مرحلة ثم إلى طريث مرحلة. وتأخذ من نيسابور إلى ريوند مرحلة ثم إلى مهرجان مرحلتين ثم إلى اسفراين مثلها، وقد اختصرنا مسافات هذا الأقاليم.

إقليم الديلم

هذا إقليم الفز والصوف به صناع حذاق، وفواكه تحمل إلى الأفاق، وبزه معروف بمصر والعراق. كثير الأمطار، مستقيم الأسعار. مصر ظريف، ولهم عمل لطيف. يجلون الشريف، ويرحمون الضعيف. كبراء في الفقه واجلة في الحديث رجال في القتال وكل عفيف، رسوم حسان وذيل نظيف، بحر عميق به مدن تطيف. به أسماك سرية وضياح جليلة وفواكه لذيذة وأشياء متضادة وأرزاق كثيرة، به تين وزيتون وأترنج وخرنوب، كثير العناب، حسن الأعناب، رساتيق رحاب، ومدن طياب، وخيش عجاب. واسم كبير، وماء غزير، ودخل كثير، وبز خطير. وإنما نسبناه إلى الديلم لأن به ديارهم وفيه ملكهم ومنه منبعمهم وهم اليوم قوم قد استولوا على ما يصاقبهم من البلدان واحتوتوا على أئمة الإسلام، وأدعن لهم الخاص والعام. ولم نجد لهذا الإقليم إسما يجمع كوره فأضفناه إليهم ولقبناه بهم لنفصل كوره ونشهر أمره وليس هو بالكبير ولا مدنه بالكثير ولولا أن إسم الجبال مشتق ولها من العراق حظا لأضفنا هذا الإقليم إليها وجعلنا الري مصرها وقومس من نواحيها. وهذا شكله ومثاله.

وقد جعلناه خمس كور أولها من قبل خراسان قومس ثم جرجان ثم طبرستان ثم الديلمان ثم الخزر، والبحيرد متوسطة فني هذه الكور غير قومس فإنها متعالية في الجبال متوسطة بين الري وخراسان تفصل بينها وبين البحيرة كورة طبرستان. فأما قومس فإنها كورة رحبة نزهة حسنة الفواكه وهي ثمانون فرسخا في سبعين وأكثرها جبال قليلة المدن خفيفة الأهل كثيرة الأنعام ثقيلة الخراج معتدلة الهواء، قصبتها الدامغان ومدنها سمنان، بسطام، زغنه، بيار، مغون. وأما خرجان فإنها كورة سهلية جبلية لولا البرد لعملت فيها النخيل ذات أترنج وزيتون وعناب وتين، غزيرة الأنهار كثيرة البساتين لها رستاق جليل والخيرات بها كثير والبحر قريب والمصر ظريف والإسم كبير والخراج ثقيل، إسم القصبه وهي مصر الإقليم شهورستان، ومن مدنها: أستراباد، وأبسكون، ألهم، آخر، لرباط. وأما طبرستان فإنها كورة سهلية بحرية ولها أيضا جبال، كثيرة الأمطار قشفة كربة وسخة ميرغثة، عامة أخبارهم الأرز كثيرة الأسماك والثوم وطير الماء، وبها مزارع الكتان والقنب قصبته أمل ومن مدنها: سالوس، ميلا، مامطير، ترنجي، سارية، طميسة، هري، بود، ممطير، نامية، تمشية. وأما الديلمان فإنها كورة في الجبال صغيرة المدن، لا ترى لهم لباقة ولا علم ولا ديانة بل ثم دولة ورجلة وهيبة، ولهم رسوم عجيبة وقرى كثيرة وقد أضفنا إليها الجبل لأن أكثر الناس لا يكادون يفرقون بينهم، فقصبه الديلم بروان ومن مدنها: ولامر، شكيرز، تارم، خشم، وللجبل: دولاب، بيلمان شهر، كهن رود. وأما الخزر فإنها كورة واسعة خلف البحيرة، قشفة كربة كثيرة الأغنام والعسل واليهود بأخرها سد ياجوج وماجوج وعلى تخومها بلدان الروم، ولها نهران أكثر مدنهم عليهما يقلبان في البحيرة، وعلى تخومها من قبل جرجان جبل بنقشله قصبته إتل ومن مدنها: بلغار، سمندر، سوار، بغند قيشوي، خملبخ، بلنجر، البيضاء. المدغان: قصبة صغيرة في حصياء خربة الأطراف ردية الحمامات لا حسنة الأسواق ولا كثيرة الأجلة غير إنها جيدة الهواء وفي أهلها وطاء، عليها حصن بثلاثة أبواب باب الري باب خراسان باب. ولهم سوقان سفلى وعلوكدار صغيرة وقف على رباط أفاوة ودهستان وأبناء السبيل ولا يخرج منه كربي ولا تقبل عليه زيادة فهم يتوارثونه، والجامع في الأزقة بهي نظيف ولهم حياض مثل حياض مرو. سمنان: على الجادة بها جامع لطيف في السوق وماء يخترقها بالنوبة وحياض تملأ منه وقد خفت، وقبلها قرية سمنانك من نحو الري بها سوق حار. بسطام: خفيفة الأهل كثيرة البساتين حسنة الفواكه نزهة الرستاق ظريفة الجامع كانه حصن وسط الأسواق، ولهم ماء جار. مغون: على سكة خراسان، وزغنة زريعة حسنة الثمار. بيار: بلدة لها قلعة وأسوار، ومزارع وأنهار، وكروم وثمار، وذكر بالإقليم والجبال ولهم بخراسان أعمال وإيسار، مع دين ورجلة وإعمار. وفي الأب أئمة وأعلام، معدن الإبل والأسمان والأغنام، وحذق في بناء وإرسام، ومروا وصدقات وإسلام، وصلاح عليه الخاص والعام. لا ترى النساء في البلدة بالنهار، ولا بها قيان ولا خمار ولا بدعة يراها الفريقان ولا غير حنفي لهم فقيه ونظار، ومع ذلك لهم إسم في الأقطار. وفي الإفروشة عندي علم وأخبار، وفي الاملاك أعاجيب وأسما. مياسير بأموال وإنعام، مشاهير بالطاق وإكرام. إلا أن لها عيوبها وأحزانها ليس بها منبر على رسم البلدان، والسوق في الدور والباعة نسوان. لا يؤدون طاعة لسلطان، والماء ضيق لأرض وبستان. بالطرجهارة يقسم على رسم أرجان، وتعصب وحش مع أصحاب كرام ومرجوعة من الديلم إلى آل سامان. والأرحية تحت الأرض والماء محدار، وكونها بمفازة غير مختار. وهي بحصنين بينهما منازل المسجد الكبير في الحصن الداخل منه باب واحد وفي سطة قلعة هائلة خراب وللحصن الخارج ثلاثة أبواب محددة والبيادر داخل الحصن، وإنما استقصينا وصفها كالقصبات لأن أصل أحوالي منها وكل قومسي تراه ببيت المقدس فأعلم أنه منها وقد كانوا عرفوا جدنا أبا الطيب الشوا وذكروا أنه رحل إلى الشام مع ثمانية عشر رجلا أيام الحميرية.

شهرستان: هي مصر الإقليم وقصبه جرجان، كثيرة الفواكه والزيتون والرمان. ومشاكله رملة فلسطين في البلدان، لها بهاء وأئين أهل مروة وإتقان. وفيهم وطاء وظرف ولطف وإحسان، حسنة الأسواق والمساجد والأتيان. جيدة البطيخ والحلواء والبادنجان، وكإنما عجن الخبز بالزيت والأدهان. بها النارنج والأترنج والعناب، والنخل لولا برد يفسد الأرتاب. وسماك عجيب شبه ثيران، فهي بلدة سرية عظيمة القدر والشان. وأنهار عليها جسور وطيقان، وبها علم ودين وأشياخ وأموال وقد زخرفوا الجامع وأزروا الحيطان. وهو بنصفين كفسا وبغداد وعلى الرسم حذاء المنبر دكان، وأزاء دار الأمير إلى ثم ميدان. وأذان بتطريب وألحان، والخطيب حنفي والأقامة إثنان. ولها البحر ورستاق دهستان، وقد غابت في رياض وأشجار وأقصاب، وخرمارود فلا تنسى فأفة العلم نسيان. به تين وزعرور ورمان، بلا منع ولا طرد ولا دفع إثمان. وأجبال عامرة على نعت لبنان، وخانات ظريفة ومسجد دينار فهذا صحيح كله ولكن فاسمع الآن. هو مصر حره شديد مع كرب وذبان، وبراغيث ضارية إليها صرفنا إسم كركان. والتين حماء والماء آكران، ومن حلها من بلده فليعدد الأكفان. فإن بها منجلا يحصد الأبدان، وتراهم على رأس الجمل يوم النحر حزبان. فمجروح ومضروب وحيران، ولا يفارقهم هرج وقتل وجيشان. جيش من الديلم والآخر من ترك سامان، وتعصب وحش عليه الفريقان، وتشيع مفرط مع خلق قرآن، لها تسعة دروب أولها درب سليمان. ثم درب القوميسيين ثم درب الشارع حيان، ثم درب كنده ثم درب البادنجان ودرب الباركاة قبله درب خراسان، فهذا ما اتقنته من وصف جرجان. بكراباد: ملتزقة بها بينهما نهر وقناطر وهي شبه مدينة عامرة بها مساجد ومشايخ وأجلة، والمقابر ممتدة تقابل المصر على نهر بجسر، ولهم نهر آخر في العراض يسمى طيفوري أنظف وأعذب من الآخر، ولهم أبار

حلوة. أستراباذ: أطيب هواء وأصح ماء من جرجان عامتهم حوكة القز حذات فيه، وقد خرب حصنها وانطم الخندق، والجامع في السوق على بابيه نهر. أبسكون: بحرية عليها حصن من آجر، والجامع في السوق، والنهر طرف البلد، وهي فرصة جرجان ومطرح الرحاب. هري: بحرية دون أبسكون وأخف أهلا وفيهم نحافة. آخر: مدينة رستاق دهستان على يمينة الطريق إلى الرباط، بها منارة ترى من البعد في وسط القرى، وجميع قرى دهستان أربع وعشرون قرية وهي من أجل أعمال جرجان. ارباط: على فم المفازة قد خرب السلطان حصنه وكان بثلاثة أبواب، وهو عامر ظريف مساجد حسنة وأسواق بهية ومنازل لطيفة وأطعمة طيبة ليس به جامع، والمسجد العتيق فيه سوارى خشب وله نور وهو أسفل الرباط بموضع يشبه الدندانقان وفي وسط ذلك الموضع مسجد بمنارة لأصحاب الحديث، وسائر المساجد لأصحاب أبي حنيفة رحمه الله. أمل: قسبة طبرستان بلدة لها ذكر وشان، بها ثياب عجيبة حسان. ومرافق وخصائص وبيمارستان، ولهم مع ذلك جامعان. في العتيق نهر وأشجار يلي في طرف الأسواق، والآخر بقربه أحاط بكل جامع رواق. ونهر يدير أرحية رفاق، حسنة وجوههم وضية رشاق، متجر مفيد وحكاة حذاق. كثير ذكره وهم تجار، ولا تسأل عن طيب نكهة ورقة أخصار. ونظر بعيد بحسن أبصار، فالثوم طيبها والأرز دقها وجل العيون أنهار، بها علم كثير لا تخلو من إمام ونظار. إلا أن خيزم أثير، وأدمهم كرية وعيبهم كثير. وبقهم عجيب وفسقهم عظيم وغيثهم مديد وحرهم شديد ودورهم حشيش ورسمهم خسيس، خبز الحنطة يسكر وطير الماء يزمن والبراغيث تقلق والبيت يكف والهواء كشف والكلام عجل والبلد وضر والسوق قدر والصيف مطر. سالوس: بها قلعة من حجارة، الجامع على جانب. سارية: عامرة لها علوم وثياب فاخرة وأسواق وأخلاق طاهرة، حصينة تخندق وجسور هائلة، في الجامع نارنجة بأروقة دائرة، وفي قنطرة الجسر تينة ظاهرة تأملها لتعرف أوصاف الباهرة، وأسبابا عاينتها لا هي بالعارية وإني صادق أريد الآخرة.

بروان: هي قسبة الديلم صغيرة لا سرية ولا جليلة ولا ظرف ولا شريفة، ولا منازة طيبة لفيها. ولا منازل رشيقة أنيفه، ولا أسواقها بالواسعة العظيمة. ولا بلدانها كبيرة طريفة، ولا جوامع بل في قرى كنيفة، غير أنهم في جلادة عجيبة ومنبع العساكر الأليفة. وحيث مستقر السلطان يسمى شهرستان قد حفر ثم بئر إلى أسفلها فيها أموالهم والآتهم. سلاروند: بها قلعة يقال لها سميروم عليها سباع ذهب وشمس وقمر وبيوتهم لين. خشم: هي مدينة الداعي لها سوق عامر وعلى طرف الأسواق جامع والنهر منها على جانب عليه جسر هائل وثم دار الأمير وهي صغيرة، كذلك تارم الطالقان: كبيرة عامرة نبيلة ليس في الكورة مثلها وقد كان يجب أن تكون حضرة السلطان وعندى إنهم كرهوا ذلك لتطرفها، بها علماء وأجلة وفيهم ظرف. دولاب: هي قسبة الجبل بناؤهم من جص وحجر والجامع على طرف، وهو بلد طيب وسوق حسن وقدام الجامع سهلة خلفه موضع يجتمع فيه المياه. كهن رود: قريبة من النهر بناؤهم بعض حجر وبعض خراكاهات والجامع وسط البلد. موعغان: قد خف أهلها وقل خيرها وبقية مدن الجبل على الساحل. إتل: قسبة كبيرة على نهر يمد إلى البحيرة يقال له إتل وإليه أضيف إسم البلد، على شطه من نحو جرجان حولها وفيها أشجار، بها مسلمون كثر، وكان ملكهم يهوديا له رسوم وحكام مسلمون ويهود ونصارى وعبدة الأوثان، وسمعت أن المأمون غزاهم من الجرجانية وملكه ودعاه إلى الإسلام ثم سمعت أن جيشا من الروم يقال لهم الروس غزوه وملكوا بلادهم. وهي بلد عليها سور وهي مفترشة الدور تكون مثل جرجان أو أكبر، أبنيتهم خيم وخشب ولبود وخرakahات إلا القليل فإنه طين، وقصر السلطان من آجر له أربعة أبواب أحدها إلى ناحية النهر يعبر إليه في السفن والآخر إلى الصحراء، وهي قشفة يابسة لا نعم ولا فواكه، خيزم الأثير وأدمهم السمك. بلغار: ذات جانبين بنيانهم خشب وقصب، واللليل ثم قصير، والجامع في السوق ومد كانوا مسلمين غزاة، وهي على نهر أتل وأقرب إلى البحيرة من القسبة. سوار: على هذا النهر بناؤهم خراكاهات ولهم مزارع كثيرة والخبز بها واسع. خزر: على نهر آخر من نحو الرحاب ذات جانب واحد وهي أرحب وأنزه مما ذكرنا وقد كانوا رحلوا عنها إلى ساحل البحر وقد عادوا الآن إليها وأسلموا بعد ما كانوا يهودا. سمندر: بلد كبير عند البحيرة بين نهر الخزر وباب الأبواب، دورهم خيم، الغالب عليها النصارى قوم أوطياء يحبون الغريب إلا أنهم لصوص، وهي أرحب من خزر لهم بساتين وكروم كثيرة بنيانهم خشب منسوجة بالقضبان وسطوحهم مسنمة وبها مساجد كثيرة.

البحيرة: بعيدة القعر مظلمة وجشة والسفر فيها أصعب منه في البحرين لا ينتفع منها بشيء غير السمك، مراكبهم بها مقيرة كبار مسمرة ليس فيها جزيرة مسكونة، ولو أن رجلا دار حولها لأمكنه لأن الأنهار الفائضة فيها ليست بالكبار إلا نهر الكر ونهر الملك، وفيها جزائر وغياض ومياه ودواب وبها جزيرة يرتفع منها الفوة الكثيرة، ويقع سد ياجوج وماجوج من ورائها على نحو من شهرين.

سد ذي القرنين: قرأت في كتاب ابن خردادبه وغيره في قصة هذا السد على نسق واحد، واللفظ والأسناد لابن خردادبه لأنه كان وزير الخليفة وأقدر على ودائع علوم خزانه أمير المؤمنين مع إنه يقول حدثني سلام المترجم أن الوثائق بالله لما رأى في

المنام كأن السد الذي بناه ذو القرنين بيننا وبين ياجوج وماجوج مفتوح وجهني وقال لي عابنه وجئني بخيره، وكان الواثق وجه محمد بن موسى الخوارزمي المنجم إلى طرخان ملك الخزر وضم إلي خمسين رجلا ووصلني بخمسين ألف دينار وأعطاني ديّتي عشرة آلاف درهم وأمر بإعطاء كل واحد من الخمسين ألف درهم ورزق سنة وأعطاني مائتي بغل تحمل الزاد والماء. فشخصنا من سر من رأى بكتاب الواثق إلى إسحاق بن إسماعيل صاحب أرمينية وهو بتقليس في أنفاننا، وكتب لنا إسحاق إلى صاحب السريير ثم كتب صاحب السريير إلى الملك اللان ثم كتب صاحب اللان إلى فيلان شاه ثم كتب فيلان شاه إلى طرخان ملك الخزر فأقمنا عنده يوماً وليلة حتى وجه معنا خمسة أدلة، فسرنا من عنده ستة وعشرين يوماً ثم صرنا إلى أرض سوداء منتنة الرائحة وكنا قد تزودنا قبل دخولنا إياها خلا نشمه، فسرنا فيها عشرة أيام، ثم صرنا إلى مدن خراب فسرنا فيها سبعة وعشرين يوماً، فسألنا عن تلك المدن فقيل هي التي كانت ياجوج وماجوج يتطرقونها فخربوها ثم صرنا إلى حصون بالقرب من الجبل الذي السد في شعب منه وإذا في تلك الحصون قوم ينكلمون بالعربية والفارسية مسلمون يقرأون القرآن لهم مساجد ومكاتب. فسألونا من أين أقبلنا فأخبرناهم إننا رسل أمير المؤمنين، فاقبلوا يتعجبون ويقولون أمير المؤمنين فنقول نعم، فقالوا: شيخ هو أم شاب فقلنا شاب، فقالوا: إين يكون، فقلنا بالعراق بمدينة يقال لها سر من رأى، فقالوا: ما سمعنا بهذا قط. ثم صرنا إلى جبل أملس ليس عليه خضراء وإذا جبل مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعاً، وإذا عضادتان مبنيتان مما يلي الجبل من جنبي الوادي عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعاً الظاهر من تحتها عشرة أذرع خارج الباب وكله مبني بلين من حديد مغيب. في نحاس في سمك خمسين ذراعاً وإذا دروند حديد طرفاه على العضادتين طوله مائة وعشرون ذراعاً قد ركب على انعضادتين على كل واحدة بمقدار عشرة أذرع في عرض خمسة، وفوق الدروند بناء بذلك اللين الحديد في النحاس إلى رأس الجبل وارتفاعه مد البصر، وفوق ذلك شرف حديد في طرف كل شرفة قرنان يثنى كل واحد إلى صاحبه وإذا باب حديد مصراعين مغلقين عرض كل مصراع خمسون ذراعاً في ارتفاع خمسين ذراعاً في ثخن خمسة أذرع وقائمتهما في الدروند على قدره، وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ باع في الإستدارة، وارتفاع القفل من الأرض خمسة وعشرون ذراعاً، وفوق القفل بقدر خمسة أذرع غلق طوله أكثر من طول القفل، وفضيزاه كل واحدة منهما ذراعان، وعلى الغلق مفتاح معلق طوله ذراع ونصف، وله إثنا عشر دندانكة كل دندانكة كيد أعظم ما يكون من الهواوين معلق من سلسلة طولها ثمانية أذرع في إستدارة أربعة أشبار والحلقة التي فيها السلسلة مثل حلق المنجنيق، وعتبة الباب عشرة أذرع في سمك مائة ذراعاً سوى ما تحت العضادتين والظاهر منها خمسة أذرع وهذا كله بذراع السواد، ورئيس تلك الحصون يركب في كل جمعة في عشرة فوارس مع كل فارس مرزبة حديد في كل واحدة خمسون منا ويضرب القفل بتلك المرزابات كل رجل ثلاث ضربات ليعلم من وراء الباب الصوت فيعلموا أن هناك حفظة ويعلم هؤلاء أن أولئك لم يحدثوا في الباب حدثاً، وإذا ضرب أصحابنا القفل وضعوا آذانهم يسمعون فترى لأولئك دوي. وبالقرب من هذا الموضع حصن كبير نحو عشرة فراسخ في مثلها، ومع الباب حصنان سعة كل واحد مائتا ذراعاً، وعلى باب هذين الحصنين شجرتان، وبين الحصنين عين عذبة، وفي أحد الحصنين آلة البناء الذي بني به السد من قدور الحديد، والمغارف على كل ديكدان أربع قدور مثل قدور الصابون، وهناك بقية من اللين الحديد قد التزق بعضه ببعض من الصدأ. وسألنا من هناك هل رأوا أحداً من ياجوج، فذكروا أنهم رأوا مرة عدداً فوق الشرف فهبت ريح سوداء فالقتهم إلى جانبهم، قالوا وكان مقدار الرجل في رأي العين شبراً ونصفاً. ثم انصرفنا بنا الأدلاء إلى ناحية خراسان فخرجنا خلف سمرقند بسبعة فراسخ، وقد كان أصحاب الحصون زودونا ما كفانا ثم صرنا إلى الواثق فاخبرناه. وهذا رد قول من زعم انه بالاندلس. رد قول من زعم انه بالاندلس.

جمل شؤون هذا الإقليم

هو إقليم حار إلا قومن، كثير المياه والأمطار ليس به نهر تجري فيه السفن إلا بناحية الخزر، أشد مياهه وهوائه بجرجان وهو قشفي مؤذ كثير الذمة ولا يعمل فيه النخيل.

ومذاهبهم مختلفة، أما قومس وأكثر أهل جرجان وبعض طبرستان فحنفيون والباقون حنابلة وشفعوية، ولا ترى ببيار صاحب حديث إلا شفعوياً، والنجارية بجرجان كثيرة، وللكرامية بجرجان وبيار وجمال طبرستان خوانق، وللشيعية بجرجان وطبرستان جليلة. فإن قال قائل ألم تقل أنه ليس ببيار مبتدع ثم قلت أن بها كرامية قيل له الكرامية أهل زهد وتعبد ومرجعهم إلى أبي حنيفة وكل من رجع إلى أبي حنيفة أو إلى مالك أو إلى الشافعي أو إلى أئمة الحديث الذين لم يغلوا فيه ولم يفرطوا في حب معاوية ولم يشبهوا الله ويصفوه بصفات المخلوقين فليس بمبتدع. وأنا عازم على أن لا أطلق لساني في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولا أشهد عليهم بالضلالة ما وجدت إلى ذلك طريقاً بعد هذا الحديث الحسن الشريف حدثنا محمد بن محمد الدهستاني ومسافر بن عبد الله الأسترابادي ومحمد بن علي النحوي وعلي بن الحسن السرخسي قالوا: حدثنا يوسف بن علي الفقيه الزاهد قال: حدثنا أبو الوليد أحمد بن بسطام الطالقاني الفقيه الزاهد قال: حدثنا يوسف بن علي الأبار السمرقندي قال:

حدثنا علي بن إسحاق الحنظلي قال: أخبرني بشر بن عمارة قال: قال مسعر بن كدام قال: ما أدركت من الناس من له عقل كعقل ابن مرة جاءه رجل فقال عافاك الله جئتكم مسترشداً أني رجل دخلت في جميع هذه الأهواء فما ادخل في هوى منها إلا القرآن أدخلني فيه ولم أخرج من هوى إلا القرآن أخرجني منه حتى بقيت ليس في يدي شيء، قال: فقال له عمرو بن مرة الله الذي لا إله إلا هو لقد جئت مسترشداً، فقال: والله الذي لا إله إلا هو لقد جئت مسترشداً، قال: نعم رأيت هل اختلفوا في أن محمداً رسول الله وأن ما أتى به من الله حق، قال: لا، قال: فهل اختلفوا في القرآن أنه كتاب الله، قال: لا، قال: فهل اختلفوا في دين الله أنه الإسلام، قال: لا، قال: فهل اختلفوا في الكعبة أنها القبلة، قال: لا، قال: فهل اختلفوا في الصلوات أنها خمس، قال: لا، قال: فهل اختلفوا في رمضان أنه شهرهم الذي يصومونه، قال: لا، قال: فهل اختلفوا في الحج أنه بيت الله الذي يججونه، قال: لا، قال: فهل اختلفوا في الزكوة إنها من مائتي درهم خمسة، قال: لا، قال: فهل اختلفوا في الغسل من الجنابة أنه واجب، قال: لا، قال: فذكر هذا وأشباهه ثم قرأ: " هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات " . قال: فهل تدري ما المحكم، قال: لا، قال: فالمحكم ما اجتمعوا عليه والمتشابه ما اختلفوا فيه شد نيتك في المحكم وإياك والخوض في المتشابه، قال: فقال الرجل: الحمد لله الذي أرشدني على يدك فوالله لقد قمت من عندك وأنا لحسن الحال؛ قال: فدعا له واثني عليه ثم قال عمرو وأن السلطان دعا أهل الكتاب إلى أمره فأجابوه فطرحهم فيما قد علمتم وهو داعيكم كما دعاهم وطارحكم في مثل ما طرحهم فيه فعليكم بالأمر الأول. فإن قال قائل ما الأمر الأول فهو ما اجتمع عليه المتقدمون. فرحم الله عبداً تدبر هذه الحكاية ولزم إحدى المذاهب الأربعة الذين هم أهل السواد الأعظم وكف لسانه عن تمزيق المسلمين والعلو في الدين. وشهدت مجلس القاضي المختار يوماً وهو أجل امام لقيته وأعقلهم وأدينهم وقد جرى فيه ذكر اختلاف الأمة وتعصب أهل الفرق فأشار بيده إلى القبلة ثم قال: من صلى إلى هذه القبلة فهم إخواننا المسلمون، ورأيت أبا زيد المروزي وكان إماماً متديناً بوتر بثلاث ويستعمل مذهب أبي حنيفة في مسائل عدة، وسمعت أبا الطيب بن أحمد يقول كل قد اجتهد وكل معدود. واعلم أن هذا التعصب الذي ترى إنما ثوره الجهال والمتسرفون من القصاص وغيرهم وأما الأمة فعلى ما ذكرت لك. ونواحي الديلم شيعة وأكثر الجبل سنة.

وأكثر ما يحمل من هذا الإقليم خصائص أما قومس فلهم المناديل البيض من القطن المعلمة صغار وكبار وسواج ومحشاة ربما يبلغ المنديل منها ألفي درهم، ولههم أيضاً أكسية وطيالسة وثياب رفاق من الصوف. ولأهل جرجان المقانع القزيات تحمل إلى اليمن والعناب ولههم ديباج دون وتين وزيتون. ومن طبرستان الأكسية التي تفضل على الفارسية وطيالسة وثياب الخيش المحمولة إلى الأفاق وبياع منها بمكة شيء كثير صغار الدراهم وكبار تسمى بالغرب المكبة والمفائف. ومن بيار بز وسمن كثير ولههم خاصية في عمل الطين حتى لا ترى رئيساً ولا عالماً إلا وله فيه حذق ولقد كان أبو الطيب الشوا مع يساره وعدالته ابداً تراه في ضياعه يبني خصاً أو يرفع حائطاً وكذلك أولاده وحفدته لهم هندسة وفطنة في عمل البناء من غير تعلم. وما رأيت الطف من بناء دور بيار قد صاغوها صباغة وأكثرها مرافقها.

ومياه هذا الإقليم أنهار تنحدر من الجبال، ونهر جرجان طيفوري ولههم آخر ونهر. في الديلم يجتمع إليه مياه كثيرة ويفيض في البحر، ونهر إتل يخرج من نحو السد، ومياه الجبل تنحدر من جبال الديلم، ومياه طبرستان من الجبال أو من خرمارود. وبها مشاهد رباط دهستان يقصد من خراسان له نور وفضائل، وعلى يوم من بسطام موضع يقصد وبه مجاورون وبظاهر بسطام قبر أبي يزيد، وبنواحي الخزر رباطات فاضلة. ومن العجائب بطبرستان دويبة صغيرة لها ألف قائمة أصغر من الجرادة وادق من الدودة إذا تحركت تحتها أمواجاً تظهر من عناقيد العنبر، ودويبة أخرى لها جناحان كجناحي السنم نية على عظم الثعلب تقضم الثمار قضمًا، ولههم أسماك مثل فلق الجميز واجترت يوماً في سوق السماكين بجرجان فرأيت رأساً على قدر رأس الثور فقيل لي هي رأس سمكة. بنواحي جرجان بئر تظهر فيه شجرة كل سنة ثم تغيب وقد احتال بعض السلاطين وشدها بالسلاسل الغليظة ففكتها وكسرتها وغابت.

ولسان قومس وجرجان متقاربان يستعملون الهاء يقولون هاده وهاكن وله حلاوة، ولسان طبرستان مقارب له إلا أن فيه عجلة، ولسان الديلم مخالف منغلق، والجبل يستعملون الخاء، ولسان الخزر شديد الأنغلاق. وفي الوانهم أهل قومس ابتلاء، والديلم حسان اللحي والوجوه أيضاً ولههم طلل، وفي أهل جرجان نحافة، أهل طبرستان أحسن وأصفى، وفي الخزر مشابه من الصقالية. وأكثر أسامي أهل جرجان أبو صادق وأبو الربيع وأبو نعيم وأهل طبرستان أبو حامد. ورسومهم بجرجان أن التذكير للفقهاء وأهل الروايات ولا يكثر التظالم، وللديلم رسوم عجيبية لا يزوجون إلى غيرهم وكنت في بعض الخانات فإذا بصبيبة تعدو ورجل شاهرسيفه يعدو خلفها يروم قتلها فقلت ما فعلت حتى استوجبت القتل قال: أنها زوجت إلى غيرنا وقتل من فعل ذلك واجب عندنا. وإذا كان لهم ماتم كشفوا رؤوسهم واجتمعوا وقد التف المعزي والمعزي في الأكسية وأداروها على رؤوسهم ولحاهم، ولههم مجالس في السكك، والأسواق مرتفعة يجتمعون بها بأيديهم الزوبينات وعليهم الأكسية الطبرية، يسمون

العالم معلما وربما تعلقوا بي وقالوا لوك معلم واللوك هو الجيد. ولا رسم لهم في بيع الخبز، ويخفرون من تساءل وإنما ينبغي للغريب أن يقصد دورهم فيأخذ من الطعام ما يحتاج إليه. ولهم أسواق على أيام الجمعة في السهل لكل قرية يوم فإذا فرغوا إنحاز الوجل والنساء إلى معزل يتصارعون فيه ورجل جالس معه حبل كل من غلب عقد له عقدة، فإذا هوى الرجل امرأة راح معها فيتلقاه أهلها بالبشر والترحيب ويتباهون به إذ رغب في كرمهم فيضيفونه ثلاثة أيام ثم ينادي المنادي بعد ما اجتمع معها أسبوعا في عمارة له بمعزل فيجتمعون ويختطون وسألت أبا نابتة الأنصاري قلت: هل يصيبها قبل العقد، قال: لو علموا بذلك قتلوه. وكثيرا ما حضرت عقود أهل بيار يجتمع الناس بعد العتمة مع كل رجل قارورة من ماء ورد والنيبران تقد على باب الختن والحروس فيبدأ بعض المشايخ فيخطب خطبة بليغة يطلب فيها الزوجين وبطلب المرأة ثم يجيبه آخر من قبل العروس في خطبة باحسن جواب وا أكثرهم خطباء أدياء ثم يعقدون النكاح ويقوم أصحاب القوارير فيضربون بها الحيطان ثم يعطي صاحب كل قارورة طبقا من أفروشة ولا ترى مثل أفروשתهم في الدنيا. وسمعت أن بعض الملوك استدعى برجل منهم يجيد عملها وبدقيق من دقيقهم وشيء من سمنهم ودشابهم وامرأة تعملها فلم تكن كالتى تعمل ببيار، ورأيت من حمل منها إلى مكة ثم رده ولم يتغير. ومكنت أربعة أشهر أحضر دعواتهم وأعراسهم فما رأيتهم يزيدون على ثردة بعد لحم قد أخرج عظامه ثم الأرز ثم الأفروشة الرطبة. وإذا وقعت عندهم الثلوج أرسلوا النهر في الشوارع فحملت الثلج بأجمعه وغسلت الأزقة. ولا ترى امرأة بالنهار إنما يخرجون بالليل في أكسية سود، ولا تتزوج امرأة مات عنها زوجها فإن فعلت ضرب الصبيان على بابها بالخزف.

ماء جرجان يقتل الغرباء وبطبرستان سمك يضر الأسنان وطير لحمه ردي. المملكة للديلم ويقع على جرجان حروب بينهم وبين صاحب خراسان. خراج قومس ألف درهم ومائة ألف وستة وتسعون ألف درهم، وخراج جرجان عشرة آلاف ألف ومائة ألف وستة وتسعون ألف وثمانمائة درهم، وكان خراج بيار ستة وعشرين ألف درهم فخرج رجل منهم إلى بخارا فبنى قصرا من طين حسن ثم حمله على رقاب الرجال إلى أن وضعه قدام الأمير نصر بن أحمد فأعجب به وقال له سل حاجتك، قال: ترد خراجنا إلى ستة آلاف وتضيف دواويننا إلى نيسابور فهي اليوم من أعمال نيسابور الا ترى أن بينها وبين نيسابور قرية خراجها إلى قومس، أولا ترى أنهم يسمون أهل بيار القومسيين.

ويقع بجرجان عصبيات على المذهب، وبينهم وبين البكر اواذيين قتل على رأس الجمل يوم العيد، يقع بين الحسينيين والكراميين حروب وحشة وعصبيات عجيبة. ولأهل طبرستان ثلاث خصال بثلاث طيب النكهة من أجل أكل الثوم وحدة الأبصار وحسنها من أكل الخضرة ودقة الأخصار من أكل الأرز. وأما المسافات فإنك تأخذ من الدامغان إلى الحدادة مرحلة ثم إلى بدش مرحلة ثم إلى مرجان مرحلة ثم إلى هفدر مرحلة ثم إلى أسداواز مرحلة. وتأخذ من الدامغان إلى جرمجوى مرحلة ثم إلى رباط مرحلة ثم إلى سمنان مرحلة ثم إلى أس الكلب مرحلة ثم إلى قرية الملح مرحلة ثم إلى خوار المري مرحلة. وتأخذ من الحدادة إلى بسطام مرحلة ثم إلى قرية مرحلة ثم إلى زرداباذ مرحلة ثم إلى خرماروذ مرحلة ثم إلى جهيئة مرحلة ثم إلى جرجان مرحلة. وتأخذ من زرداباذ مرحلة إلى قرية مرحلة ثم إلى القباب مرحلة ثم إلى بيار إلى الحوض مرحلة ثم إلى اسداواز مرحلة ومنها إلى طرثيث فرسخا. وتأخذ من جرجان إلى دينازاري مرحلة ثم إلى أملوتا مرحلة ثم إلى أجغ مرحلة ثم إلى سيداست مرحلة ثم إلى أسفراين مرحلة ومنها إلى أبسكون أو إلى رباط حفص أو إلى رباط علي مرحلة مرحلة. وتأخذ من رباط علي إلى رباط الأمير مرحلة ثم إلى بيلمك مرحلة ثم إلى رباط دهستان مرحلة آخر فيها. وتأخذ من أمل إلى بلور مرحلة ثم إلى أسك مرحلة ثم إلى بامهر مرحلة ثم إلى برزيان مرحلة ثم إلى الري مرحلة. وتأخذ من أمل إلى مامطير مرحلة ثم إلى سارية مرحلة ثم إلى ترنجي مرحلة ثم إلى رأس الحد ثلاثا. وتأخذ من سارية إلى أبارست مرحلة ثم إلى أبادان مرحلة ثم إلى طميسة مرحلة ثم إلى أستراباذ مرحلة ثم إلى جرجان مرحلتين. وتأخذ من جرجان إلى الديلمان مرحلة ثم إلى أردبيل مثلها. ومن أبسكون إلى أستراباذ مرحلة ثم إلى سارية فراحل. وتأخذ من أمل إلى نائل مرحلة ثم إلى سالوس مرحلة ثم إلى كلار مرحلة ثم إلى جبال الديلم مرحلة. وتأخذ من سالوس إلى إسبيروذ مرحلة ثم إلى قرية الرصد مرحلة ثم إلى خشم مرحلة ثم إلى بيلمان مراحل ثم إلى الدولاب مراحل ثم إلى كهن رود مراحل ثم إلى موغان مرحلتين ثم إلى الكر مثلها ثم إلى هشتاندر مثلها ثم إلى الشماخية مثلها.

إقليم الرحاب

لما جل هذا الإقليم وطاب، وكثرت فيه الثمار والأعشاب. وكانت مدنه من أنزه البلاد كموقان وخلاط وتبريز التي شاكلت العراق ورخصت به الأسعار، واشتبتك فيه الأشجار، وجرت خلاله الأنهار. وحوت جباله الأعسال، وسهوله الأعمال. وبواديه الأغنام. ولم نجد له إسما عاما يجمع كورة سميناه الرحاب وهو إقليم للإسلام فيه جمال وعلى المسلمين من الروم

حصار، منه ترتفع الأصواف المعمولة والتكك العجيبة ديدانه قرمز، وعن وصفه أعجز. ثمن الخروف درهمان، والخبز بدانق لبنان، والفواكه بلا عد ولا ميزان. وهو مع هذا ثغر جليل وإقليم نبيل به كان أصحاب الرس تحت الحويرث والحارث فيه من الطائف سهم ومن الجنات شبه وهو للإسلام فخر وللغازين دار. به المتاجر المفيدة والكور القديمة والأنهار الغزيرة والقرى النفيسة والخصائص العجيبة والثمار اللذيذة. أهل جماعة وسنة وفصاحة وهيبة. لهم المن والفوة والزنيق والقسيويه والبحر والبحيرات، والباب والرباطات، والدين والخيرات. الا أن كلا في مذهبه غال، ومع ذلك هم ثقيل. وفي لسانهم تكلف، وفيهم تصلف. والطرق إليها صعبة، وللنصارى بها غلبة. وهذا شكله وصورته. وقد جعلنا هذا الإقليم ثلاث كور أولها من قبل البحيرة الران ثم أرمينية ثم أذربيجان. فأما الران فإنها تكون نحو الثلث من الإقليم في مثل جزيرة بين البحيرة ونهر الرس ونهر الملك يشمقها طولاً، قصبته برذعة ومن مدنها: تقليس، القلعة، خنان، شمكور، جنزة، يرديج، الشما خية، شروان، باكوه، الشا بران، باب الأبواب، الأبخان، قبلة، شكى، ملازكرد، تبالا. وأما أرمينية فإنها كورة جليظة رسمها أرميني بن كنظر بن يافت بن نوح ومنها ترتفع الستور والزلاي الرفيعة كثيرة الخصائص قصبته دبيل ومن مدنها: بدليس، خلاط، أرجيش، بركري، خوي، سلماس، أرمية، داخرقان، مراغة، أهر، مرند، سنجان، قاليقلا، قندرية، قلعة يونس، نورين. وأما أذربيجان فإنها كورة اختطها اذرباد بن بيوراسف بن الأسود بن سام بن نوح عليه السلام قصبته وهي مصر الإقليم أربديل بها جبل مساحته مائة وأربعون فرسخا كله قرى ومزارع يقال أن به سبعين لسانا كثرة خيرات أربديل منه. أكثر بيوتهم تحت الأرض ومن مدنها: رسية، تبريز، جابروان، خونج، الميا نج، السراة، بروى، ورثان، موقان، ميمذ، برزند. فإن زعم زاعم أن بدليس من إقليم أقور واستدل بأنها كانت في ولايات بني حمدان أجيب بأنه لما ادعاها أهل الإقليم جعلناها من هذا لانا وجدنا لها نظيرا في الاسم وهي تقليس، وأما الولايات فليست حجة في هذا الباب الا ترى أن سيف الدولة كانت له قنشرين والرقعة ولم يقل أحد أن الرقعة من الشام.

برذعة: قسبة كبيرة مربعة، في سهلة لها حصن وسعه. أسواقها قد ظللت مجتمعه على ظهر السوق مسجد الجامع، هي بغداد هذا الإقليم، دورهم بهية من أجر وجص طيبة حسنة كثيرة الفواكه بعض أساطين الجامع بجص وأجر وبعض بخشيب. ولها نهر يتخللها ونهر الكر منها على فرسخين، الأنهار متقاربة منها نفيسة غير أن أطرافها قد خرجت وقد خفت من أهلها وتشعمت حصنها. تقليس: حصنة بقرب الجبال يخرقها نهر الكر وهي جانبان بجسر قد بني حيطانه بالحجارة ثم طرح عليها الخشب. القلعة: مدينة بلا حصن في سهلة بقرب جبل لكران. الشماخية: على أسفل جبل بنياهم حجارة وجص ولها ماء جار وبساتين ونزه. شروان: كبيرة في سهلة بناؤهم حجارة والجامع في الأسواق ولها نهر يخرقها. موغكان: على رأس الحد وقد كانت أهلة والآن قد خف أهلها وهي على السكة. باكوه: على البحيرة هي إحدى فرض الإقليم. شابران: بلا حصن الغلبة فيها للنصارى رأس حد. قبلة: حصينة النهر خارج البلد والجامع ناء على تل. شكى: في سهلة الغلبة للنصارى الجامع في سوق المسلمين. ورثان: في سهلة عامرة سوقها خلفه النهر والجامع متباعداً. بيلقان: صغيرة قومها جيد وبها ناظف موصوف. ملازكرد: حصينة لها منابر عدة كثيرة البساتين الجامع على حافة السوق. تبالا: للمسلمين بها خمس مائة بيت والغلبة فيها للنصارى نزهة. الأبخان: نزيهة وكذلك مدن هذه الكورة. قرية يونس: هي بلد الديراني بها مسلمون. باب الأبواب: على بحر الخزر محصنة في الحائط الذي من قبل الخزر لها ثلاثة أبواب باب الكبير وباب الصغير وباب آخر نحو البحر مسدود لا يفتح وعدة أبواب من قبل البحر، وقيل للإسلام والحائط قد مد من الجبل إلى وسط البحيرة عليه أبرجة فيها مساجد وحراس، والجامع وسط الأسواق به عين ماء، بناؤهم حجارة ودورهم حسنة ولهم ماء جار. دبيل: بلد جليل عليه حصن منيع والخير به كثير، اسمه كبير. وصوفه خطير، ونهره غزير. قد حف به البساتين ذات ربض عتيق، وحصن وثيق. أسواقه صليب، وسواده عجيب. الجامع على رابية كبيرة إلى جنبه كنيسة يضبطه الأكراد به قلعة، بنيانهم طين وحجارة، له أبواب عدة منها باب كيدار باب تقليس باب آنى، إلا أن الغالب عليه مع نبلة النصارى وقد خف من أهله وتشعث حصنه. بدليس: في واد عميق يجري فيه نهران، في المدينة يجتمعان. وهي جانبان، فيها قلعة من حجارة شبه ثوران. أخلاط: مدينة في سهلة لها بساتين حسنة وعليها حصن من طين والجامع في الأسواق وبها نهر. سلماس: طيبة عليها حصن من طين وحجارة وبها نهر غزير والجامع على طرف السوق قد أحاط بها الأكراد. أرمية: حسنة بقلعة عامرة والجامع في البزازين ولها حصن وبها نهر. مراغة: سرية لها حصن وبها قلعة ولها ربض وحصونها طين. مرند: حصينة يحدق بها البساتين لها ربض عامر والجامع في الأسواق. قندرية: مدينة أحدثها الأكراد بها جامع لطيف. نورين: حصينة بها قلعة وعلى باب الجامع عين ماء كثيرة البساتين نزهة. قلعة يونس: هي مدينة الديراني بها مسلمون. أربديل: هو قسبة أذربيجان ومصر الإقليم عليه حصن منيع، وهو أصغر من دبيل، أسواقه مصلبة إلى أربعة دروب، والجامع وسط الصليب على نشرة، خلف الحصن ربض عامر، الغالب على بنيانهم الطين، كثير الرواشز والفواكه والبلاذات به مياه جارئة وعساكر راتبة وخيرات كثيرة وحمامات طيبة إلا أنهم بخلاء ثقلاء قليل العلماء وبلد وحش متنن أحد كنف الدنيا أهل مكروغفلة لا ينظرون في العواقب، ولا يعذرون أهل المذاهب. ولا مذكر فقيه، ولا رئيس وجيه. ولا معدل أديب، ولا حاذق طبيب. تبريز: وما يدريك ما تبريز، هي الذهب الأبريز، والكيمياء العزيز، والبلد

الحرير. يختار على مدينة السلام، وتباهي بها أهل الإسلام. تجري خلالها الأنهار، وتميد في سوادها الأشجار. ولا تسأل عن رخص الأسعار، وكثرة الثمار. الجامع وسط البلد، وطيبها لا يحد. موقان: مدينه قد أحاط بها نهران، وحولها حدائق حسان، كأنها في رحبها جنان، هي مع تبريز روضتان، وللرحاب في الإسلام مفخران، موضوعه بين أردبيل وجيلان، ومنها إلى بردعة ثمان، طيبة نزيهة السواد والنهران يجريان، والوجه كاللؤلؤ والمرجان، ثم أسخياء وهم كرام. برزند: صغيرة وهي سوق الأرمن وفرضة الكورة طيبة مفيدة. ميانه: صغيرة في سهلة كثيرة الخير. زجان: هي على رأس الحد قد تشعت لهم نهر وفيها السكة. وكل مدن هذا الإقليم طيبة كثيرة الخيرات ومعادن الرخص والثمار واللحوم والنعم والطيبة.. وكل مدن هذا الإقليم طيبة كثيرة الخيرات ومعادن الرخص والثمار واللحوم والنعم والطيبة.

جمل شؤون هذا الإقليم

هو إقليم بارد كثير والأمطار وفيه أدنى ثقل وأهله أبرد وأثقل، كبار اللحى وليس لسانهم بحسن، وبارمينية يتكلمون بالأرمنية، وبالران بالرانية، وفارسيتهم مفهومة تقارب الخراسانية في حروف. ومذاهبهم مستقيمة إلا أن أهل الحديث حنابلة والغالب بدبيل مذهب أبي حنيفة رحمه الله ويوجدون في بعض المدن بلا غلبة. وكنت يوما في مجلس أبي عمرو الخوى يسمع الحديث فقال هاتوا مسألة وكان معي رفيق فسألنا مسألة هبة المشاع، فتكلمنا فيها صدرا ثم ضعفنا، فأخذ الكلام كهل ثم فجوده فلما وقف الكلام قلت لله درك لقد بالغت وأشرت إلى أن أختلف إليه. فقال: لست من أصحابكم. قلت: وكيف هم لا يزيدون على ما أوردت لأنها مسألة ضيقة علينا. قال: هذا الذي أوردته من كلام الحاكم أبي نصر بن سهل نظار خراسان لأنني كثيرا ما ناظرته. وأما علم الكلام فلا يقولون به ولا يتشيعون وكان بدبيل خانقاه وعندهم معرفة بعلم التصوف مع أدنى رزق. ووقفت يوما على مجلس أبي. الأردبيلي وقد غص بالناس قياما وقعودا يسألونه مسائل المعاملة، فقلت: ما تقول رحمك الله في رجل كان له قلب يأنس به فضاغ منه أين يطلبه، قال: يعود إلى السبب الذي ناله به فيعتصم به، قلت: قد حيل بينه وبين السبب، قال: يسأل صاحب السبب أن ينيله إياه، قلت: لم يبق له جاه عند صاحب السبب فيسأله، قال: يلزم قرع الباب حتى يفتح له ويصرخ في ظلم الليل حتى يرحمه. والأنهار المذكورة به ثلاثة نهر الرس ونهر الملك ونهر الكر وهو اخفين يخرج من ناحية الجبل على حدود جنزة وشمكور إلى قرب تفليس ثم يقع في بلدان الكفر، ويليه في العذوبة والخفة نهر الرس وهو ماد على تخوم الران يخرج من أرمنية حتى ينتهي إلى وراثان ثم ينتهي إلى خلف موقان فيقع في البحر، وأما نهر الملك فخرجه من بلد الروم من ورائه كورة الران حتى يقلب في البحر، ولا يتصل بهذا الإقليم غير بحر الخزر، وبهذا الإقليم بحيرتان إحداها بارمية طولها نحو أربعة أيام سير الدواب تقطع باقلاص يوم وليلة، وبارمينية أخرى تعرف ببخيرة أرجيج. وبها تجارات يحمل من بردعة الأبريسم الكثير ومن باب الأبواب ثياب الكتان والرقيق والزعفران والبغال الجياد ومن دبيل ثياب الصوف والبسط والوسائد والأنماط والتكك الرفيعة، ومن بردعة الستور ويقع إليه البغال الجياد ويقوم ببردعة يوم الأحد سوق يسمى الكركي يجتمع إليه أهل الكورة والنواحي حتى أن أحدهم يقول يوم السبت يوم الكركي ويوم الأثنين يباع فيه الأبريسم والثياب. ولا نظير لتككهم ومخفورياتهم وقرمزهم وأنماطهم وصبغهم وفاكهة تسمى الزوقال وقسبويه وسمك يقال له الطريخ ولهم تين وشاه بلوط في غاية الجودة. ومن العجائب الباب وهو حصن على ما ذكرنا من صور وعكا بسلسلة قد بني من الصخر وجعل ملاطه الرصاص. بتفليس حفامات على ما ذكرنا في طبرية بلا وقيد. جبل الحارث متعال على الإسلام. ويمكن أحدا صعوده يقال أنه مع الحويرث من جبال الطائف وأنه كان على نهر الرس ألف مدينة هي الآن تحتها. بجامع أردبيل حجر كبير لو ضربت عليه المرازب ما عملت فيه وقع من السماء على مسافة من البلد ثم حمل إلى الجامع وسمعت ظريفا الخادم يقول بينا نحن نسير بقرب أردبيل إذا بشيء ينزل من السماء كالدرقة العظيمة حتى وقع إلى الأرض فإذا به حجر فيجوز أن يكون هذا وهو على مثال مصقلة الصباغين دقيق الطرفين. على مرحلة من موقان قلعة عظيمة تسمى الحسرة فوقها بيوت وقصور فيها ذهب عظيم صورطيور ووحوش قد احتال عدة من الملوك عليها فلم يتمكنوا من صعودها على ثلاثة فراسخ من دبيل دير أبيض من حجر منقور مثل فلنسوة فيه صورة مريم من داخل على ثمانية أعمدة بينهن أبواب من أي باب دخلت رأيت صورة مريم. وبالقرب منه صخرة سوداء عرقها دهن يستشفى به. وعندها يوجد القرمز وهي دودة تظهر في الأرض تخرج إليها النسوان ينقرنها بنحاسة معهن ثم يجعلنها في فرن. وفي رساتيق أردبيل يحترقون بثمانية ثيران وأربعة سوانق لكل ثورين سائق وسألتهم أهذا لصلابة الأرض قالوا لا ولكن من أجل الثلوج. ومن أردبيل ألف ومائتان ورطل خوى ثلاثمائة ومنهم ستمائة وكذلك بأرمية ثم سائر الأرتال بغدادية. قفيز مراغة ومدها عشرة أماء والكيلجة سدس القفيز. بتبريز من رسم أصحاب السلطان أنهم يتختمون بالذهب. في بحر أرمية جبال مسكونة يربطون أرجل الصبيان بالسلاسل والحبال كي لا يتدحرجوا إلى البحيرة. ولأرمية عقبة في طريق الموصل يركب الناس فيها أعناق الرجال كما تركب الدواب لصعوبتها. وأما المسافات فإنك تأخذ من بردعة إلى يونان أو إلى برديج أو إلى جنزة أو إلى قلاطوس مرحلة مرحلة. وتأخذ من يونان إلى البيلقان مرحلة ثم إلى وراثان مرحلة ثم إلى تلخاب مرحلة ثم إلى برزند مرحلة ثم إلى أردبيل مرحلتين. وتأخذ من برديج إلى الشماخية مرحلتين

ثم إلى شروان مراحل ثم إلى الأبخان مرحلتين ثم إلى جسر سمور مرحلتين ثم إلى باب الأبواب مراحل. وتأخذ من جنزة إلى شمكور مرحلة ثم إلى خنان مراحل ثم إلى قلعة ابن كندمان مرحلة ثم إلى تفليس مرحلتين. وتأخذ من قفاطوس إلى متريس مرحلتين ثم إلى ديميس مرحلتين ثم إلى كيلكوني مرحلتين ثم تقع في الأرمن إلى دبيل. وتأخذ من دبيل إلى نشوى مراحل ثم إلى خوى أيام ثم إلى سلماس مرحلتين ثم إلى أرمية مرحلة ثم إلى خرقان مرحلتين ثم إلى مراغة مثلها ثم إلى أردبيل فرسخا. وتأخذ من مراغة إلى قندرية مرحلتين ثم إلى قرية مراحل ثم إلى قلعة الحسن بن علي مرحلة ثم إلى شهرزور فرسخا. تأخذ من مراغة إلى نورين مرحلة ثم إلى مرند. وتأخذ من خوى إلى قلعة يونس مراحل ثم إلى قرية العصبيات مرحلة ثم إلى. ثم إلى تفليس مرحلة ثم إلى تبالا ثم إلى شكي ثم إلى لكزان مرحلتين ثم إلى الباب مراحل. وتأخذ من مراغة إلى الخرقان مرحلتين ثم إلى تبريز مرحلة ثم إلى مرند مرحلة. وتأخذ من أردبيل إلى النير مرحلة ثم إلى سراة مرحلة ثم إلى كولسره مرحلة ثم إلى مراغة مثلها. وتأخذ من مراغة إلى خره رود مرحلة ثم إلى موسى أباذ مرحلة ثم إلى برزة بريدين ثم إلى تفليس بريدا ثم إلى جابروان مرحلة ثم إلى نريز بريدين ثم إلى أرومية مرحلة. وتأخذ من مرند إلى النشوى مرحلتين يقال ثم إلى دبيل مثلها وتأخذ من مراغة إلى سابرخاست مرحلة ثم إلى برزة مرحلة ثم إلى البيلقان مرحلة ثم إلى سيسر مرحلة ثم إلى تل وان مرحلة ثم إلى الخبارجان مرحلة ثم إلى الدينور مرحلة. وتأخذ من أردبيل لي الميانج مرحلتين أو إلى قنطرة سبيذروذ. ومن القنطرة إلى السراة مرحلة ثم إلى نوى مرحلة ثم إلى زنجان مرحلة. وتأخذ من الميانج إلى خونج مرحلة ثم إلى كولسره مرحلة ثم إلى مراغة مرحلة ومن مراغة إلى خرقان أو إلى أرمية مرحلتين ثم إلى سلماس مثلها ثم إلى خوى مرحلة ثم إلى بركري خمسا ثم إلى ارجيش مرحلتين ثم إلى أخلاط، أو إلى بدليس ثلاثا ثلاثا ومن بدليس إلى آمد أو إلى ميفارقين أربعا أربعا. ومن مراغة إلى الدينور فرسخا. ومن اردبيل إلى تبريز..... ثم إلى برقوى..... ثم إلى ملازكرد أيام ثم إلى أرزن ثم إلى آمد. حبال كي لا يتدحرجوا إلى البحيرة. ولأرمية عقبة في طريق الموصل يركب الناس فيها أعناق الرجال كما تركب الدواب لصعوبتها. وأما المسافات فإنك تأخذ من بردعة إلى يونان أو إلى برديج أو إلى جنزة أو إلى قفاطوس مرحلة مرحلة. وتأخذ من يونان إلى البيلقان مرحلة ثم إلى ورتان مرحلة ثم إلى تلخاب مرحلة ثم إلى برزند مرحلة ثم إلى أردبيل مرحلتين. وتأخذ من برديج إلى الشماخية مرحلتين ثم إلى شروان مراحل ثم إلى الأبخان مرحلتين ثم إلى جسر سمور مرحلتين ثم إلى باب الأبواب مراحل. وتأخذ من جنزة إلى شمكور مرحلة ثم إلى خنان مراحل ثم إلى قلعة ابن كندمان مرحلة ثم إلى تفليس مرحلتين. وتأخذ من قفاطوس إلى متريس مرحلتين ثم إلى ديميس مرحلتين ثم إلى كيلكوني مرحلتين ثم تقع في الأرمن إلى دبيل. وتأخذ من دبيل إلى نشوى مراحل ثم إلى خوى أيام ثم إلى سلماس مرحلتين ثم إلى أرمية مرحلة ثم إلى خرقان مرحلتين ثم إلى مراغة مثلها ثم إلى أردبيل فرسخا. وتأخذ من مراغة إلى قندرية مرحلتين ثم إلى قرية مراحل ثم إلى قلعة الحسن بن علي مرحلة ثم إلى شهرزور فرسخا. تأخذ من مراغة إلى نورين مرحلة ثم إلى مرند. وتأخذ من خوى إلى قلعة يونس مراحل ثم إلى قرية العصبيات مرحلة ثم إلى. ثم إلى تفليس مرحلة ثم إلى تبالا ثم إلى شكي ثم إلى لكزان مرحلتين ثم إلى الباب مراحل. وتأخذ من مراغة إلى الخرقان مرحلتين ثم إلى تبريز مرحلة ثم إلى مرند مرحلة. وتأخذ من أردبيل إلى النير مرحلة ثم إلى سراة مرحلة ثم إلى كولسره مرحلة ثم إلى مراغة مثلها. وتأخذ من مراغة إلى خره رود مرحلة ثم إلى موسى أباذ مرحلة ثم إلى برزة بريدين ثم إلى تفليس بريدا ثم إلى جابروان مرحلة ثم إلى نريز بريدين ثم إلى أرومية مرحلة. وتأخذ من مرند إلى النشوى مرحلتين يقال ثم إلى دبيل مثلها وتأخذ من مراغة إلى سابرخاست مرحلة ثم إلى برزة مرحلة ثم إلى البيلقان مرحلة ثم إلى سيسر مرحلة ثم إلى تل وان مرحلة ثم إلى الخبارجان مرحلة ثم إلى الدينور مرحلة. وتأخذ من أردبيل لي الميانج مرحلتين أو إلى قنطرة سبيذروذ. ومن القنطرة إلى السراة مرحلة ثم إلى نوى مرحلة ثم إلى زنجان مرحلة. وتأخذ من الميانج إلى خونج مرحلة ثم إلى كولسره مرحلة ثم إلى مراغة مرحلة ومن مراغة إلى خرقان أو إلى أرمية مرحلتين ثم إلى سلماس مثلها ثم إلى خوى مرحلة ثم إلى بركري خمسا ثم إلى ارجيش مرحلتين ثم إلى أخلاط، أو إلى بدليس ثلاثا ثلاثا ومن بدليس إلى آمد أو إلى ميفارقين أربعا أربعا. ومن مراغة إلى الدينور فرسخا. ومن اردبيل إلى تبريز..... ثم إلى برقوى..... ثم إلى ملازكرد أيام ثم إلى أرزن ثم إلى آمد.

إقليم الجبال

هذا إقليم حشيشه الزعفران، وشراب أهله العسل والألبان، وأشجاره الجوز والأتيان، نزيه بهي خصيب وله شان، به الري الجليلة وهمدان، والكورة النفيسة إصبهان، وسيظهر لك فضله إذا وصفنا البلدان، وذكرنا الدينور الظريفة وكرمان شاهان، ونعتنا نهاوند وقم وقاشان، ووصفنا دماوند وقرج وقصران، لا حربه ولا براغيث ولا ذبان، ولا أفاعي ولا عقارب ولا ديدان، في الصيف جنة وروضة وبستان، وفي الشتاء الحطب والفحم مجان، ونمكسود يحمل إلى خراسان، وأغتاب وتفاح إلى الحول يدومان، وعلم كثير وعقل وحذق واتقان. غير أنه شديد البرد ترى خدودهم في الشتاء مشققة، وأطرافهم أبدا مخضرة، ووجوههم مصفرة. وأنوفا سائلة، إما غوال حنابلة. يفرطون في حب معاوية، أو نجارية غالية، يقطعون بالكفر على الطوائف

الهادية. وكم ترى به من خسف وزلزلته، وجورسلطان وبلبله، أبدا في انجلاء وغلغله، ومن حلة من معلاه اومسقله، تراه من بردهم والهواء في مشغله، وأفهم ما أقول ثم اعقله. كلما أشرف على العراق من حد الصيمره فهي الجبال المنعوتة المصورة، وفي أصفهان لي مقالة منورة، يعرفها الفقيه أن تدبره، لارفع الخلاف والمناظرة. وهذه صورته.

وقد جعلنا هذا الإقليم ثلاث كور وسبع نواح وأدخلنا أصفهان في العدد وألحقناها بطرف الصورة وأفردنا وصفها وزدنا فيه الأشكال التي فيها والمعاني التي نذكرها. فأول الكور من قبل الرحاب الري ثم همدان ثم إصفهان والنواحي: قم، قاشان، الصيمرة، كرج، ماه الكوفة. ماه البصرة، شهرزور.

فأما الري فإنها كورة نزيهة كثيرة المياه جلييلة القرق حسنة الفواكه واسعة الأرض خطيرة الرساتيق وهي التي أهلكت عمر بن سعد الشقي حتى قتل الحسين بن علي ثم أختارها مع النار حيث يقول اخزاه الله:

أترك ملك الري والري رغبة ... أم أرجع مذموما بقتل حسين

وفي قتله النار التي ليس دونها ... حجاب وملك الري قررة عين

وفي الأخبار أنها كانت منابت شؤم وإلى ذلك تعود الري ملعونة وهي على بحر عجاج وتربتها لعينة تأبى أن تقبل الحق. وقال هارون الرشيد الدنيا أربعة منازل دمشق والرقعة والري وسمرقند. ورسم الري روي بن بيلان بن أصفهان، وفي الخبر أن الري باب من أبواب الأرض وإليها مستجره الخلق. وقال الأصمعي الري عروس الدنيا وسكة الأرض طيبة الهواء واسطة. محراسان وجرجان والعراق ما عرفت لقصبتها اسما آخر ولها من المدن: أوة، ساوة، قزوين، أبهر، شلنبة، الخوار، ومن النواحي: قم، دماوند، شهرزور. ومن الرساتيق: قوسين، قصران الداخل، قصران الخارج، سر، بهزان، كرج، جنى، سيرا، فيروزرام.

وأما همدان فإنها كورة متوسطة في الإقليم جلييلة المدن قديمة الرسم. أختطها همدان بن الفلوج بن سام بن نوح عم. وقد قيل الجبال عسكر وهمدان أميره، وهي عذبها ماء واسعة الأقطار غزيرة الأنهار ملتفة الأشجار لذيدة الثمار كثيرة المقاتلة وأعجبني رستاقها غاية الإعجاب. وقرأت في بعض الكتب أن الري وأصفهان ليسا من بلاد البهلويين وإنما هي: همدان، وماسبدان، ومهرجاتنق وهي الصيمرة، وماه البصرة وهي نهاوند، وماه الكوفة وهي الدينور. ولها من المدن: أسداوآذ، أوه، بوسته، رامن، وبه، سيراوند، رودراور، طزر، والنواحي: ماه الكوفة، ماه البصرة، ماسبدان.

وأما أصفهان فإن قياسها من مسائل الشريعة ونظيرها على هذه الطريقة سور البغل والحصار على مذاهب شيوخنا أهل العراق. قالوا لما أخذوا الشبه من أصلين مختلفين وشاكلا حكمين متباينين احتيط في بابهما وأعطى كل أصل حظا منهما، ألا ترى أنهما قد شاكلا السنور في سكتاهما البيوت وتعذر التحرز من اسارهما وشابها الكلب في تحريم لحومهما فأعطيا من كل أصل حكما. فكذا أصفهان لما شاكلت هذا الإقليم في اللسان والرسوم ودخلت في حدود فارس وتربعت بها التخوم وجب أن نعطيها من كل إقليم حظا ونجعل لها مزية وحكما، فحظها من هذا الإقليم الذكر والوصف وسهمها من فارس الخطة والرسم. فإن قيل فهلا جعلتها كالأذنين في قول الشافعي لما وقع الإختلاف هل هما من الرأس أو الوجه جعل لهما حكما ثالثا وماء جديدا ومسحا مفردا. فكذا أصفهان لما قيل هي من فارس وقيل هي من الجبال وجب أن تميز عنهما ويفرد رسمها وتجعل حاجزا بينهما. فالجواب أن هذا القياس فاسد لأنك لم تجمع بينهما بعلة وكل من قاس فرعا على أصل بلا عفة جامعة فقياسه فاسد. فإن قيل العلة الجامعة بينهما أن كل واحد منهما يتجاذبانه شيء محدود بسبب قوي: فالجواب أن النبي صلى الله عليه وسلم " قال الأذنان من الرأس " فرفع عنا الشك والاشكال فكيف نجعله أصلا لما نحن منه في شك. فإن قيل معنى قوله من الرأس أي هي في الرأس، فالجواب حاشى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول ما لا فائدة فيه لأن كل احد يعلم أنها في الرأس وإنما أراد الحكم الذي يختلف فيه لا الموضوع، ألا ترى أن أحدا لا يقول هي في الرقية أو الكتف، وأيضا لوصح هذا الأصل لم يصح قياس أصفهان عليه لأن ذلك يخالف الأصول وتصير أربعة عشر إقليما وكورة فتبقى الكورة بلا نظير، كما قلنا لايجوز البرتر بركة لأنه لا نظير لها في الأصول. فإن قيل وما نظير الأربعة عشر إقليما التي ابتدعتها وقسمت مملكة الإسلام عليها، فالجواب نظيرها وضع المنجمين العالم كله أربعة عشر إقليما سبعة عامرة وسبعة غامرة فلو أنهم ميزوا منها قطعة أو فضلوا عنها ناحية لصح قياس أصفهان عليها. فإن قيل فهلا جعلتها كالأذنين أنهما من الرأس لا محالة فقلت هي من فارس لا محالة، فالجواب التعارف أصل في مذهبنا وهو مقدم على القياس كما قدمنا وقد تعارف الناس أنها من الجبال. فإن

قبل فاجعلها من الجبال إذا، فالجواب أن أختطاط الملوك وتسمياتهم ووضعهم عندنا وفي علمنا من الأصول أيضا ومثلهم. في هذا الفن كالصحابة في علم الشريعة فكما أنه ليس للفقهاء أن يخالفوا الصحابة فيما رأوه كذلك ليس لنا أن نخالف الملوك فيما رسموه وهم قد أدخلوا أصفهان في رسوم فارس وربعوا بها وبالروذان التخوم فصار هذان أيضا أصليين يتجاذبان أصفهان من هذا الوجه فلم نر وجها غير حملنا إياها على القياس المذكور.

اليهودية: قسبة اصفهان كبيرة عامرة أهلة كثيرة الخيرات، وبلد التجارات.

حلوة الأبار، لذيدة الثمار. جيدة الهواء، خفيفة الماء. عجيبة التربة، حسنة البقعة. بها تجار كبار وصناع حذاق، ويز يحمل إلى الأفاق. أهل جماعة وسنة، وحقق ووطنه. جامعهم عامر بالجماعات على الدوام، ولا بها حر ولا براغيث ولا هوام. ويقال أن بخت نصر لما جلا بني إسرائيل من الأرض المقدسة جاسوا بقاع الأرض فلم يروا بلدا تشاكله أرضهم غيرها فسكنوها. إلا أنها جنة يرعاها بقرقوم غتم لاسخاوة ولا ظرافة تحت عمانهم مخاد، وفي معاملتهم فساد. يقددون الرنة، غوال حنابلة، يرى أحدهم بخفية وبزته وفي كمه رغيغ يكدمه أو زبيب يقضمه، تكون مثل دمشق بناؤهم طين واي طين، طين مارأيت له من نظير، وبعض أسواقهم مغلاة وبعض مكشوفة، والجامع في الأسواق حسن على أساطين مدورة وله منارة في قبلته طول سبعين ذراعا كلها من طين لم يتغير منها شيء، ونهرهم يشق البلد غير أنهم لا يشربون منه وقد تبلذ مما يلقي فيه من النجاسات، لها اثنا عشر دربا. المدينة: على نحو ميلين من اليهودية عليها حصن وهي متعالية ودونها جسر عظيم وبها جامع وهي أقدم وأحكم. الخولجان: من نحو خوزستان كبيرة عامرة كثيرة الفواكه. سميرم: عند سفح جبل كثيرة الجوز والفواكه بها جامع حسن محدث ناء عن الأسواق وبها ماء جار في السوق والشوارع ينحدر عليهم من عين في الجبل على طريق اليهودية، وثم قلعة مذكورة فيها عين ماء، ما وما زالت خزائن الملوك في هذه القلعة. الزيز: مدينة صغيرة في الجبال على نهر طاب إشنرينا الخبز فيها ثمانية امناء بمنهم بدرهم واللحم والجوز وسائر الفواكه بها رخيص، قد بني بها جامع لطيف سنة . أردستان: أكبر من هذه المدائن من نحو المفازة كبيرة الأسم قديمة الرسم حولها مزارع حسنة وبها قني عدة ولهم حذق في عمل القماقم، ورأيت بها طلخونا مثل المرسين ناعما ما رأيت مثله وهي من معادن الخوخ الجيد وبها عقارب عجيبة. سمعت أن أبا موسى الأشعري لما عجز عن فتحها حمل إليها من عقارب نصيبين في الجرار ثم رماها إلى داخل الحصن فأشغلتهم وأذتهم فسلموا البلد. اصفهان: كورة نفيسة وقد كانت قم وكرج منها إلا أن بعض الخلفاء أضافهما إلى الري وهذان وما زالت دواوين هذه الكورة مفردة وذكرها مقدم لجلالته عند الملوك والسلاطين.

الري: بلد جليل بهي نبيل كثير المفاخر والفواكه فسيح الأسواق حسن الخانات طيب الحمامات كثير الأدامات قليل المؤذبات غزير المياه مفيد التجارات، علماء سراة وعوام دهاة ونسوان مدبرات، بهي المحلات خفيف ظريف نظيف، لهم جمال وعقل وأئين وفضل، وبه مجالس ومدارس وقرائح وصنائع ومطارح ومكارم وخصائص، لا يخلو المذكر من فقه ولا الرئيس من علم ولا المحتسب من صيت ولا الخطيب من أدب، هو أحد مفاخر الإسلام وأمهات البلدان، به مشايخ واجلة وقراء وأئمة وزهاد وغزاة وهمة، كثير الجليد والتلج ولفقاعهم ذكر وليزهم اسم ولمذكرهم فن ولرساتيقيهم شأن، به دار الكتب الاحدوثة وعرضة البطيخ العجيبة والروذة البهية، وبه قلعة ومدينة، حسن الخانات كامل الآلات نفيس سري. ودخلنا يوما على أبي العباس اليزدادي وقد أنزله ناصر الدولة موضعا نزيها بنيسابور. فقال: ما علمت أن نيسابور بهذه الطيبة فهل الري مثلها. فتكلم كل أحد بما عنده. فقلت: أيد الله الشيخ، نيسابور أكبر وأهلها أيسر والري أبهى وأنزه وماؤها أغزر. فالري فوق ما وصفنا إلا أن ماؤهم يسهل وبطيخهم يقتل وعالمهم يضل، أكثر ذبائحهم البقر قليل الحطب كثير الشغب، لحوم عاسية وقلوب قاسية وجماعة منكورة وأئمة الجامع مختلفة يوم لنحفين ويوم للشفيعيين وقال بعض الرجاز:

اري فيها درهم كدائق ... والخبز في أعلى علو الخائق

واللحم قد علق بالشواهق

وكم بها من قاطع وسارق ... أسرق للحبات من عقاق

وليس بالمأمون من تراق

يحلف بالطور وبالمشارك ... إنني على حق فغير صادق

وهو إذا خصك عين الفاسق

وهو بلد كبير نحو فرسخ في مثله إلا أن أطرافه قد خربت والجامع على طرف المدينة الداخلة عند القلعة ليس خلفه عمارة والقلعة خربة والمدينة الخارجة عامرة بلا أسواق، والأسواق والعمارات بالربض والمياه تتخلله وفيه قني ودار الكتب بأسفل الرودة في خان ودار البطيخ عند الجامع. قزوين: كبيرة كثيرة الكروم لها مدينة وعلى الربض حصن، شربهم من آبار ومطر ونهر، وهي ثغر الكورة ومن معادن الفقه والحكمة.

همذان: هومصر الإقليم كبير حسن قديم بارد الماء كثير العيون، به جامع رشيق وبنيان عتيق، وهم قوم فيهم ملق يحبون الغرباء، قد أهدقت به البساتين تفجرت منه المياه طيب في الصيف رقيق في الشتاء، والجامع في السوق شديد العمارة وأسواقهم ثلاثة صفوف، والمدينة وسط البلد خربة يدور الربض حولها. فهمذان بلد نفيس والخبز به رخيص جيد الحلواء كثير اللحوم له خصائص ومنازة إلا أن برده موصوف وحسدهم معروف ومكرهم مذكور وغلوهم مشهور معدن الرعد والبرق والتلج والدمق قال الشاعر:

النارفي همذان يببرد حرها ... والبرد في همذان داء مسقم

والفقريكم في بلاد غيرها ... والفقري همذان ما لا يكتم

قد قال كسرى حين أبصرت لهم ... همذان فانصرفوا فتلك جهنم

وليس لها اليوم تلك العمارة والري أطيب وأهل وأعمارها، قد انجلى أهلها وقل العلماء بها وأذهبت الري دولتها، وهي بقرب الجبل بناؤهم طين. وقرأت في بعض الكتب أنها كانت بريدين في مثلها إلا أن بخت نصر لما رجع من فتح بيت المقدس ام فتحها فعجز عنه صاحبه فكتب إليه صورها لي فلما رأى صورتها جمع الحكماء فاستشارهم فيها فقالوا تحبس عنهم العيون سنة ثم تخليها فإنها تغرق، فلما طاف عليها الماء خرب أكثرها وملكها. فالى اليوم فيها مكامن ومخابي والمدينة متعالية. أسد: مدينة صغيرة إلا أنها شديدة العمارة حارة السوق كثيرة الخير والعسل، على فرسخ منها إيوان كسرى، والعقبة بينها وبين همذان، وبها ماء جار، والجامع في زقاق لطيف عامر. طزر: نائية عن الجادة بها قصر لكسرى، رخيصة الأسعار والخيز، أسواقها مظلمة. الرة وبوسته: معادن اللوز من قلوب بأربعة دوانيق، وثم نهر عظيم وهي بين الجبال. قرماسين: نزيهة يحدق بها بساتين والجامع في الأسواق لطيف. وقد بنى عضد الدولة ثم دارا حسنة وهي على الجادة وفقاعها موصوف. قصر اللصوص: صغيرة بها قصر من حجارة على إسطوانات وأعمال عجيبة. نهاوند: هي ماه البصرة مدينة كبيرة ذات أنهار وثمار طيبة، بها جامعان ومزارع الزعفران، ولها مدينتان، الجامع الذي وسط البلد ليس بالإقليم مثله عمارة وحسنا، مدينتها، روذاور، بها مزارع الزعفران. سيراوند: مدينة على لحف جبل شربهم من عيون كثيرة البساتين والفاوكة. الدينور: هي ماه الكوفة طيبة عامرة ظريفة الأهل مجتمعة الأسواق باردة الماء، لا ترى أنظف منه قد جعلوا على أفواه العيون مزملات وانطونيات يخرج منها الماء وهي تتفخر عيوننا، وقد أهدق بها بساتين، والجامع ناء عن الأسواق على المنبرقة حسنة ومفصورة مارأيت أحسن منها مرتفعة عن أرض المسجد. الصيمرة: هي ماسبذان، كبيرة عامرة كثيرة الخير يتصل لها رستاق في الجبال عمل واسع في طريق صعب. كرج ابي دلف: مدينة مرتفعة متقطعة العمارقى بجامع واحد ومياههم كما ذكرنا بالدينور. ولها كرج أخرى.

جمل شؤون هذا الإقليم

هو إقليم بارد كثير الثلوج والجليد خفيف على القلب، في أهله لطافة ولباقة إذا افردت عنه اصفهان. واليهود به أكثر من النصارى والمجوس به كثير وللفقهاء والمذكرين به ذكر وصيت وبالخيرات معروف.

ومذاهبهم مختلفة أما بالري فالغلبة للحنيفيين وهم نجارية إلا رساتيق القصبة فإنهم زعفرانية يقفون في خلق القرآن، وسمعت بعض دعاة الصاحب يقول قد لان لي أهل السواد في كل شيء إلا في خلق القرآن، ورأيت ابا عبدالله بن الزعفراني قد عدل

عن مذهب آبائه إلى مذهب النجار وتبرأ منه أهل الرساتيق، وبالري حنابلة كثير لهم جلبة والعوام قد تابعوا الفقهاء في خلق القرآن، وأهل قم شيعة غالبية قد تركوا الجماعات وعطلوا الجامع إلى أن ألزمهم ركن الدولة عمارته ولزومه، وهمذان وأجنادها أصحاب حديث إلا الدينور فإن بها خاصاً وعماماً وجلبة لمذهب سفیان الثوري، والإقامة في الجامع مثنى وعلى ذلك كان أهل اصفهان في القديم. ويختارون قراءة أبي عبيد وأبي حاتم وإدغام أبي عمرو، وابن كثير.

وتجاراتهم مفيدة يحمل من الري البرود والمنيريات والقطن والقصاع والمسال والأمشاط، ومن قزوين الاكسية والجوارب والقسي، ومن قم الكراسي واللحم والركب وبز وزعفران كثير، ومن همذان ونواحيها البز والزعفران والاسبذروي والثعالب والسمور والخفاف والأجبان، ومن سر الطيالسة الرفيعة والاكسية الحسنة.

ومن خصائصهم بطيخ الري وخوخها وحلل اصفهان واقفالها ونمكسودها وألبانها وقماقم قاشان وطلخونها وجبن الدينور وترذوخ قزوين وقسيها.

يقع بالري عصبية في خلق القرآن، وبقزوين أيضاً بين الفريقيين، وبهمذان لاعلى المذهب.

ومياهم أبار اصفهان ردية. وماء الري سهل، ومن شرب من نهر قزوين من الفر بإسقطت أصابع رجليه، ومم زندرود صحيح وهواها عجب، وفواكه الري ردية وبه عجائب بقرب ببستون صورة عجيبة يزعمون أنها كانت دابة كسرى.

ولنهر اصفهان مغيض عجب لا يقربه إلا الطير. في رستاق رويدشت رمال مثل الجبال لا يعمل فيها الريح ولا تؤذي. بناحية قاشان حصن حوله خندق وقد احرق به الرمل ترفرف حوله الريح ولا يقع في الخندق شيء من الرمال فإن ألقى فيه رمل هبت في الوقت ريح فأخرجته. وفي وسط الرمال صحراء فرسخ في مثله مزارعهم فيها على سبيل ما ذكرنا من الخندق وتلقى السباع مواشيهم في تلك الصحراء فلا تبدأها بسوء. وبنواحي قاشان جبل يرشح كرشح العرق ولا يسيل فإذا كان شهر تير يوم تير من كل سنة اجتمع إليه الناس بالأواني ويقرعه صاحب الانية بفهر ويقول اسقنا من مائك لعله كذا وكذا فيجتمع لكل واحد قدر الحاجة. بنواحي قاشان نبات ينبسط على وجه الأرض فيصير زجاجا ابيض يبرق يستعمل في الأدوية. بنواحي اصبهان مرج فيه حبات ما بين ذراع إلى خمسة. في رستاق قهستان حبات يتلاعب بها الصبيان فلا يلدغن. في رستاق الزارجانان قرية يقال لها مائة بها دويبة في حلقة الخنفسة تدب في الليلة المظلمة تنقذ مثل السراج وترى موضع الوقيد بالنهار أخضر، وبهذه الناحية حجارة شبه السكر محببة إذا ضرب بعضها ببعض اخراج النار. بقاشان ماء يسقي الزروع ثم يعود حجارة ويقهستان من شرب منه وبحلقه علقه ماتت في الوقت، وكهف يقطر منه ماء ثم يعود حجرا، وشجرة تمد شيئا عظيما بها ملاعق ومرود. برستاق الغامدان عين يخرج أيام الربيع منها سمك ثم تخرج منها حية سوداء فإذا خرجنا غارت إلى الحول. بزيادة جامع اليهودية شجر ذكروا أنه يشاكل الواقواق.

وبه معادن برستاق قهستان وبالتيمة الصغرى وبالكبرى معادن فضة وذهب وبقهستان معدن موميا. وبساغند زاج جيد يقارب المصري. وجبل الكحل بكورة اصفهان.

وأمنانهم مختلفة، من الري ستمائة ورطلهم ثلاثمائة، ومن سائر الإقليم أربعمائة، ويزن اللحم بالري بالرطل وآلات الصيادلة تزن بمن خراسان. ومن أجناد اصفهان ثلاثمائة ومن اليهودية همذاني.

ومكاييلهم مختلفة، الجريب عشرة اقفزة وسنة اكف، وجريب أردستان سبعة عشر منا، وجريب اليهودية ثلاثة عشر بالأردستاني.

وسنجم خراسانية وسنجة الري تزيد في كل مائة درهما وربعا، وسنجة طبرستان أرجح.

أهل الري يغيرون أسماءهم يقولون لعلي وحسن وأحمد علكا حسكا حمكا، وأهل همذان احمدلا ومحمدلا وعيشلا، وبساوة أبو العباسان حسنان جعفران، وأكثركنى أهل قم أبو جعفر وأهل اصفهان أبو مسلم وبقزوين أبو الحسين. وألسنتهم مختلفة أما بالري فيستعملون الراء يقولون راده راكم، وأهل همذان يقولون واتم واتوا، وبقزوين القاف وأكثرهم يقولون للجيد نج، ولسان

الأصفهانيين وحش وفيه مد، ولا يرى في السنة الأعاجم أقرب مأخذا من لسان أهل الري. وأحسنهم ألوانا أهل الري والباقون مخضرون.

وبه جبال شاهقة ممل بيستون منيع أملس لا يرتقى وبه غار فيه عين تجري، وجبل دماوند ممتنع جدا يرى من نحو خمسين فرسخا وسمعتهم يقولون أن احدا لا يرتقيه. وجبال الخرمينية ممتنعة وهم قوم مرجئة بلا خلاف لا يغسلون من جنابة ولا رأيت في قراهم مساجد وجرى بيني وبينهم مناظرات. فقلت: ألا يغزوكم المسلمون وأنتم تعتقدون هذا المذهب. قالوا: ألسنا موحدين. قلت: كيف وقد أنكرتم فرائض ربكم وعطلتم الشريعة. قالوا: إنا ندفع إلى السلطان في كل سنة أموالا جمة.

ولا أعرف به مشاهد بلى به من عجائب الأكاسرة ومواضع الفراغة مثل قصر شيرين ودار خسرو وقصور كسرى وقتاة قد رفعت بالصخر من نحو فرسخ كان يجري فيها الخمر واللبن ونحو هذا.

ومن عيوبهم ما قدمناه في عنوان الإقليم وفي أهل اصفهان بله وغلو في معاوية. ووصف لي رجل بالزهد والتعبد فقصدته وتركت القافلة خلفي وبت عنده تلك الليلة وجعلت اسائله إلى أن قلت ما قولك في صاحب فجعل يلعنه ثم قال أنه أتانا بمذهب لا نعرفه. قلت: وما هو. قال: يقول معاوية لم يكن مرسلًا. قلت: وما تقول أنت. قال: أقول كما قال الله عز وجل " لا تفرق بين أحد من رسله " أبو بكر كان مرسلًا وعمر كان مرسلًا حتى ذكر الأربعة ثم قال ومعاوية كان مرسلًا. قلت: لا تفعل أما الأربعة فكانوا خلفاء ومعاوية كان ملكًا وقال النبي صلى الله عليه وسلم " الخلافة بعدي إلى ثلاثين سنة ثم تكون ملكا " . فجعل يشنع علي وأصبح يقول للناس هذا رجل رافضي فلو لم تدرك القافلة لبطشوا بي، ولهم في هذا الباب حكايات كثيرة وتراهم يقددون الرثة وينادمون بها والنساء يحرسن الحمامات وترى عائمهم مثل المخاد مع خلق وحش ورسوم منكرا يخرج الدجال من سوقهم. والولايات فيه للدليم والري من أجل ممالكهم أول من غلب عليه ونزعه من يد خلفاء آل سامان الحسن بن بويه ولقب نفسه بركن الدولة ثم ابنه بويه لقب نفسه بمؤيد الدولة ثم أخوه علي لقب نفسه بفخر الدولة وصاحب جيشهم يكون بالدامغان وقد غلبوا العوام على دورهم وضياعهم وانجلى أكثر الناس من جورهم وهم الآن أصلح، ولهم سياسة عجيبة ورسوم ردية غير أنهم لا يتعرضون للتركات وإذا أجازوا بجائزة أجروها إلى الممات. مع صولة وهيبة وصبر في الحروب ونصرة ومملكة واسعة ودولة قوية قد خطب عليهم بالصين واليمن وقاوموا ملوك الزمن وملك المشرق قد عجز عنهم وخلفاء بني العباس في حجرهم وسبعة أقاليم جليية في قبضتهم.

والضرائب في هذا الإقليم غير كثيرة ولا ثقيلة إلا باصبهان وأعمالها. يؤخذ من كل حمل دخل اليهودية ثلاثون درهما. وخراج الري عشرة آلاف درهم، وخراج الدينور ثلاثة آلاف درهم، وخراج قم ألفا درهم، وقزوین وأبهر وزنجان ألف ألف وستمانه ألف وثمانية وعشرون ألفا، والصيمرة ثلاثة آلاف ألف ومائة ألف، قاشان ألف ألف، دماوند عشرة آلاف ألف. وأما المسافات فإنك تأخذ من الري إلى كيلين مرحلة ثم إلى كيس مرحلة ثم إلى الخوار مرحلة. وتأخذ من الري إلى قسطن مرحلة ثم إلى مشكوية مرحلة ثم إلى درنو مرحلة ثم إلى ساوة مرحلة ثم إلى سونقين مرحلة ثم إلى المصدقان مرحلة ثم إلى الروذة مرحلة ثم إلى الدكان مرحلة. وتأخذ من همدان إلى بوزنجد مرحلة ثم إلى قرية الجن مرحلة ثم إلى الدكان مرحلة. وتأخذ من همدان إلى اشداواذ مرحلة ثم إلى قصر اللصوص مرحلة ثم إلى قنطرة النعمان مرحلة ثم إلى جبل بيستون مرحلة ثم إلى قرماسين مرحلة ثم إلى قصر عمرو بريدین ثم إلى الزبيدية مرحلة ثم إلى طزر نصف مرحلة وإلى المرج تمامها ثم إلى خلوان مرحلة. وتأخذ من كرج إلى سواد مقولة مرحلة ثم إلى خوزن مرحلة ثم إلى برزانيان مرحلة ثم إلى أوه مرحلة ثم إلى قرية جرا مرحلة ثم إلى رباط جرا مرحلة ثم إلى ورامين مرحلة ثم إلى كسكانة مرحلة ثم إلى الري مرحلة. وتأخذ من كرج إلى فراونده مرحلة ثم إلى دارقان مرحلة ثم إلى خروذ مرحلة ثم إلى سابرخواس مرحلة ثم إلى كركویش مرحلة ثم إلى الخان مرحلة ثم إلى رزمانان محلة ثم إلى اللور مرحلة. وتأخذ من قصر اللصوص إلى كيز حراس مرحلة ثم إلى نهاوند بريدین. وتأخذ من همدان إلى الديمر مرحلة ثم إلى راکاه مرحلة ثم إلى نهاوند مرحلة. ومن نهاوند إلى راکاه مرحلة ثم إلى جوراب مرحلة ثم إلى الكرج مرحلة. وتأخذ من همدان إلى طاق سعيد مرحلة ثم إلى جوراب مرحلة. ومن الكرج إلى جراناباد مرحلة ثم إلى ابتعه مرحلة ثم إلى جريادقان مرحلة ثم إلى قنوان مرحلة ثم إلى مرج وزهر مرحلة ثم إلى الماريين بريدین ثم إلى ازميران مرحلتين ثم إلى اليهودية نصف مرحلة.

إقليم خوزستان

هذا إقليم أرضه نحاس نباتها الذهب، كثير الثمار والأرزاق والقصب، وفيه الإنجاص والحبوب والرطب، والأترنج الفائق والرمان والعنب، نزيه طيب أنهاره عجب. بزه الديباج والخز، والرقاق من القطن والقر. معدن السكر، والقند والحلواء الجيدة وعسل القطر. به تستر التي اسمها في المشرقين، والعسكر التي تميز الدولتين، والأهواز المشهورة في الخافقين. وبصنا التي ستورها في الدنيا إلى سدره المنتهى، ومثل خز السوس لا ترى. ومع هذا به معادن النفط والقار، ومزارع الرياحين والأطيار. ثم واسطة بين فارس والعراق به كانت وقائع الإسلام وثمان ممالك القوم وقبردانبال لا يخلو من فقيه وأستاذ ولا في الثمانية أفصح منهم لغات، به الدواليب الظريفة، والطواحين الغريبة، والأعمال العجيبة. والخصائص الكثيرة، والمياه الغزيرة. دخله كان يعضد الخليفة، وله أنين وطيبه. لم يطب لي في الثمانية غيره، فما أجله من إقليم لولا أهله، وما أحسن قصبته لولا مصره. لأنه يعني الأهواز مزبلة الدنيا، وأهله فمن شر الوري. وسنذكر فيه كل خبرروي أو مثل ضرب. قال ابن مسعود رضه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " لا تتكاحوا الخوز فإن لهم أعرافا تدعوا إلى غير الوفاء. وقال علي بن أبي طالب رضه ليس على وجه الأرض شر من الخوز ولم يكن منهم نبي قط ولا نجيب. وقال عمررضه أن عشت لأبيعن الخوز ولأجعلن أثمانهم في بيت المال.

وفي حكاية أخرى من كان جاره خوزيا فاحتاج إلى ثمنه فليبعه. وسئل فقيه عن رجل حلف أن يطبخ شر الطيور بشر الحطب ويطعمه شر الناس قال ينبغي أن يطبخ رخمة بحطب الدفلى ويطعمه خوزيا. ولا تراهم مع تلك الأموال الجمدة والتجارات العجيبة والصناعة النفيسة عندهم من التمييز والتدبير ماعد غيرهم، إذا ترعرع أولادهم طرحوهم في الغربية وابلوهم بالأسفار والكسب فيتيهون من بلد إلى بلدا ولا حظ لهم في علم ولا أدب. والخوز ما علا عن الأهواز لأن أكثر أهل الأهواز ناقلة من البصرة وفارس. وكنت يوما أسير مع أبي جعفر بن محسن بالأهواز فشاجره بعض السوقة فقال له أنتم معاشر الخوز لا خير فيكم، فقال له السوق الخوز ما كان فوق الأهواز مثل العسكر وجندی سابور والسوس وأما نحن فعراقيون. وسمعت أن أهل بصنا وبيروت وما يقع في ذلك الصقع لهم اذنان بين القبل والدير مثل الأصابع، ألا ترى أن أهل العراق يقولون لهم في الشتيمة يا خوزي يا ذنباي، والرجل الذي وجد في الخوارج حين قاتلوا أمير المؤمنين عليا رضه ودل عليه وقال له ثدي كثدي النساء كان من هذه البقعة التي ذكرنا. وتراهم مصفرين من غير علة أصحاب غل وحسد وغلو في المذهب غفر الله لنا ولهم ولا وأخذنا بما ذكرونا من عيوبهم فأنا لم نرد هتك سترهم ولا إبداء عيوبهم ولكن أوضحنا ما روي فيهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. وهذا شكله ومثاله مبلغ جهدها وغاية علمنا وبالله نستعين ونستوقف ونعتصم ونستهدي.

أعلم أن هذا الإقليم كان يعرف قديما بالأهواز وسبع كورها والآن قد تعطلت بعض تلك الكور واختلف في بعض وناقض أصولنا بعض، وقد قلنا أن مثل الملوك في علمنا مثل الصحابة في علم الشريعة إذا قال أحدهم قولاً لم يعلم له مخالف من الصحابة عمل بقوله وكان حجة، وكان عضد الدولة من اجلة ملوك زمانه لأن له في الإسلام آثارا وعجائب ألا ترى إلى مدنه التي بناها وأنهاره التي كراها والأسماء التي اخترعها والأشياء التي ابتدعها. وقد كان يسمى هذا الإقليم سبع الكور وتعارف الناس ذلك فاتبعناه في ذلك إذ لم نجد له مخالفا. فأولها من قبل الجبال السوس ثم جنديسابور ثم تستر ثم عسكرمكرم ثم الأهواز ثم رام هرمز ثم الدورق هذه الأسامي تجمع الكور والقصبات وهن قليلات المدن والإقليم قريب الأطراف.

فأما السوس فإنها كورة من تخوم العراق وحد الجبال بها مزارع الرز والأقصاب ويطبخ بها سكر كثير. من مدنها: بصنا، منوت، بيروت، البذان، قرية الرمل، كرخة. وأما جنديسابور فإنها كورة عمرها سابور بن فارس وأضافها إلى نفسه متصلة بتخوم الجبال نزيهة ويقال إنها كانت مركز الملوك في القديم يطبخ بها سكر كثير. من مدنها: الدز، الروناش، بايوه، قاضيين، اللور. وأما تستر فإنها كورة كثيرة الفواكه والأعشاب والأترنج والثمار عامتها تحمل إلى الأهواز والبصرة، لم أر لها مدينة بعد البحث، ولذلك قدمنا الإحتجاج في بابها وذكرنا أنها تخالف أصلنا لأنه لا بد لكل قصب من مدن كما أنه لا بد لكل قائد من جند فإن قيل قد نقصت ما أوردته في سرخس فالجواب سرخس لا تسمى كورة وهذه تسمى كورة والأسماء في هذا الباب للملوك وأما العسكر فإنها كورة جليظة يشقها ويحيط بها ثلاثة أنهار وبها رستاق المشرقان لها من المدن: جوبك، زيدان، سوق الثلاثاء، حيك، ذو قرطم، برجان خان طوق، سوق العسكر، يوم الجمعة، ثم إلى خان طوق ست مدائن على اسامي أيام الجمعة لكل يوم سوق. وأما الأهواز فإن سابور لما بناها جانبين سمى أحدهما باسم الله عز وجل والآخر باسمه ثم جمعهما باسم واحد فاسمها هرمزداراوشير ثم طرح اسمه وبقي داراوشير ثم سمتها العرب الأهواز، وهي كورة يدخل فيها ما خرب وتعطل من الكور القديمة وهي منادر الكبرى، ونهر تيرى، وبلد، اجترنا بها في نهر الريان فرأيت بناء عجيبا وسمعت أنها كانت من دجلة الى نهر خوزستان. فقلت لقاضي الخوزية وكنت معه في المركب ما الذي دهاها. قال: نزل عليها المبرقع لما استجاب له

الزنج فجأوبوه فجعلوها كما ترى قال: وكانت أجل من البصرة وذكر أن الناس إلي اليوم ينيشون منها أموالا كانوا قد كنزوها وأواني من الصفر وغير ذلك. والذي عرفت من مدن الأهواز نهر تيرى، مناذر الكبرى، مناذر الصغرى، جوزدك، بيروه، سوق الأربعاء، حصن مهدي، باسيان، شوراب، بدم، الدورق، وسنة، جبي. وأما الدورق فإنها كورة تتاخم العراق على القرنة من مدنها: أزر، أجم، بخساباذ، الذر، اندبار، ميراقيان، ميراثيان. وأما رامهرفز فإنها كورة تتاخم فارس نزيهة عامرة الجبال كثيرة النخيل والزيتون والحبوب لا حظ لها في السهل إلا اليسير ولا مزارع فيها لقصب السكر ولا يبلغ إليها أنهار الإقليم ولهم نهر على حدة. من مدنها: سنبل، إيذج، تيرم، بازنك، لاذ، غروة، بابج، كوزوك، كلهن جليلات جبليات.

السوس: قصبة عامرة طيبة ولهم في الخير رغبة، بها أسواق بهية وأخباز حسنة ومياه جارية تدبير في البلد الأرحية، ولها حمامات جيدة وحلاوات رخيصة نزيهة ونعم كثيرة وسواد حسن وقصب عجب وعلم وقرآن وحديث وأدب سنة وجماعة وجامع سوي على أساطين مدورة غير أنهم حنابلة، وفي الصيف غير طيبة. ثم ترى دور الزناء عند أبواب الجامع ظاهرة ثم لا ترى لقرائهم ولا لمشايخهم هيبة ولا لمذكريهم قيمة ولا حسبة، ويقطعون أوقاتهم بالرقص وأكثرهم حبية والمدينة خربة والناس يسكنون الربض، وقد كانت حصينة على نشرة عجيبة إلا أن جيوش عمر حاربهم حربا عظيما فهدموها. وقبر دانيال في نهر خلف المدينة وعلى حافة النهر قبالة القبر مسجد حسن والقبر لا يدري إنما ينزل في الماء وله قصة. بصنا: صغيرة غير أنها عامرة رجالهم ونسائهم ينسجون الأنماط ويغزلون الصوف، ولهم نهر يسمونه دجلة فيه سبعة أرحية في السفن، والجامع حسن على باب المدينة من نحو النهر، والنهر منها على رمية سهم وعليها حصنان محكمان مصلى العيد بينهما. بيروت: كبيرة بها نخل كثير يسمونها البصرة الصغرى، ويقال أنها كانت قصبة كورة في القديم ورأيها من البعد وأنا سائر من البذان أريد بصنا. كرخة: عامرة طيبة صغيرة سوقها يوم الأحد شربهم من نهر وعليها حصن ولها بساتين. وسائر المدن نزاهات عامرات والإقليم كله أنهار تجري.

جنديسابور: كانت قصبة عامرة جليلة وبلدة قديمة وكانت مصر الإقليم والآن قد اختلت وغلب عليها الأكراد، وظهر فيها الجور والفساد. غير أنها كثيرة السكر وسمعتهم يذكرون أن عامة سكر خراسان والجبال منها، وهم أهل سنة ولهم نهران وطرز كثيرة وضياع جليلة ومزارع الأرزاز والرخص والخيرات وبها فقهاء ومياسير. اللور: على حد الجبال ويقال أنها مضافة منها إلى هذا الإقليم وبها طرز كثيرة غير أن سكرها ليس بالجيد. ولم أدخل بقية المدن.

تستر: ليس بالإقليم أطيب ولا أحسن ولا أجل من هذه، يدور حولها النهر ويحرق بها البساتين والنخل، معدن كل حائق في عمل الديباج والقطن، قد جمعت الأضداد، وفاقت البلاد، واشتهرت في العباد. وهي التي قيل أنها جنة ترعاها الخنازير، ولا تسأل عن الفواكه والخيرات ولقد استطبتها واستحسنتها ترى أسواقا سوية وخصائص كثيرة يرحل إليها من المشرق والمغرب ولهم مياه باردة تجري تحت الأرض إلا أن جامعهم لطيف والحر عندهم شديد وجسرهم طويل وليس غيره طريق وكثيرا ما يضل في أسواقها الغريب، وبالجانب الآخر عمارة يسيرة ومقابرهم وسط البلد والجامع وسط الأسواق في البزازين وعلى باب البلد سوق بز آخر، وعند الجسر موضع نزيه به القصارون ومن أراد ركوب السفينة إلى العسكر احتاج أن يمشي نحو فرسخ، ولها قرى يا لك من قرى بلا منابر. العسكر: كان للحجاج بن يوسف غلام إسمه مكرم نزل بعسكره هذا الموضع فاستطابه وانحاش الناس إليه وعمر فسمى عسكر مكرم. وهي قصبة لا يرى بالأعجام أنظف منها، ثم طيب بهي الأسواق كثير الخير رخيص الحلواء حسن الأخباز، ولهم خصائص وبه متاجر، ولهم عقلاء فهما وأكثرهم علماء تراهم يدرسون في المسجد إلى ضحى غير أنهم قد بغضوا أنفسهم إلى الناس بعلم الكلام، وخالفوا بالإعتزال الإسلام، حتى ذمهم المذكرون والعوام. وبها علة دواءها الأثام، وكزودا تقتل بالسمام، فليس للغريب بها مقام. دخلتها صلاة الغداة وخرجت منها المغرب وهي جانبان أعرهما الذي يلي العراق وبه الجامع ومعظم الأسواق، وبين الجانبين جسران من سفن. وسائر المدن على أنهار وبهن طرز كثيرة بخاصية المشرقان وما يدريك ما المشرقان. والأصوب أن تكون خان طوق من مدن الأهواز.

الأهواز: هو مصر الإقليم ضيق منتن ذميم، لا دين ولا لهم أصل كريم، ولا فقيه إمام ولا مذكر حكيم، ولا وقت طيب ولا قلب سليم، الغريب به في حيرة سقيم، ولا عيش هنيء فيه أيضا للمقيم، بق وبراغيث وكرب عظيم، في الليل دبس وفي النهار حر السموم. أبدا يرقبون الشمال ويخافون الجنوب عقارب وحيات وماء حميم، وقوم سوء في شر مضر وضيق وشؤم. يجبى إليه الفواكه من مكان سحيق، ومن البعد يجلب إليه الدقيق. ثم سواد يابس، وجبل عابس، وسوق طفس. وتراب سبخ ليس لقارئهم طيبة، ولا لجامعهم حرمة. ولا لبلدهم رئيس، ولا لفتيهم مجلس. أهل مباراة وتعصب، ومماراة وتقلب. ترى أهل البلد حزبين، وفي الصحابة فريقين. إلا أنه خزانة البصرة ومطرح فارس واصفهان وبه قياسير حسنة وأخباز نظيفة وأدام تجتمع الخروز والديباج وإليه تحمل البضائع والأموال وهو مغوثة وفرجة للتجار، ومنهل عامر لكل مار، واسمه كبير في الأقاليم

والأمصار. شتاؤه طيب والخريف لولا الذباب، والربيع أيضا لولا براغيث كالذئاب، وهو مع ذلك رفق بالضعيف في الثياب. يكون مثل الرملة ذو جانبيين إلا أن الجامع ومعظم الأسواق في الجانب الفارسي، والجانب العراقي جزيرة خلفها عمود النهر على ما ذكرنا من فسطاط مصر، بينهما قنطرة هندوان من الأجر عليها مسجد يشرف على النهر حسن، وقد كان عضد الدولة هدمها وبنائها مع المسجد بناء عجيبا لتضاف إليه، فأبى الناس أن يسموها إلا قنطرة هندوان، وعلى هذا النهر دواليب عدة يديرها الماء تسمى النواعير ثم يجري الماء في قني متعالية إلى حياض في البلد وبعض يجري إلى البساتين، ويمد العمود من خلف الجزيرة نحو صيحة إلى شاذروان قد بني من الصخر عجيب يتبحر الماء عنده، وثم فوارات وعجائب، والشاذروان يرد الماء ويفرقه ثلاثة أنهار تمده إلى ضياعهم وتسقي مزارعهم وهم يقولون لولا الشاذروان ما عمرت الأهواز ولا انتفع بأنهارها، وفي الشاذروان أبواب تفتح إذا كثرت الماء لولاها لغرقت الأهواز وتسمع للماء المنحدر صوتا يمنع من النوم أكثر السنة وزيادته تكون في الشتاء لأنه من الأمطار لا من الثلوج، ونهر المشرقان يشق في أسفل البلد إلا أنه يجف عامة السنة ويتبحر الماء بموضع يسمونه الدورق. والأهواز بهذه الأنهار طيبة والسفن تذهب وتجيء وتعبّر مثل بغداد، ويفترق الأنهار في أعلى البلد وتجتمع بأسفله في موضع يقال له كارشنان ومن ثم تركب السفن إلى البصرة، ولهم طواحين على الماء عجيبة. سوق الأربعاء: على شعبة من هذا النهر ذات جانبيين بينهما قنطرة من خشب تجري تحتها السفن والجانب العراقي أعمر وفيه الجامع. حصن مهدي: عامرة بها تجتمع أنهار الإقليم كلها ثم تفيض إلى البحر وبها حصن بناه مهدي وهي ثغر لقرية من البحر، وهناك رباطات وعباد الجامع على الشط وبها مجتمع الطرق. وسائر المدن على أنهار لها جزر ومد وبها نخيل ومزارع، وأعمر سواد الأهواز نحو سوق الأربعاء وما يدخل في ذلك الصقع.

الدورق: قسبة عامرة منطرفة من نحو العراق على نهر، ذات رستاق واسع، وسوق كبير وخصائص وخيرات حسنة الوضع، ومعدن الخيش، وهي أصغر من السوس وسوقها منتشعب والجامع على طرفه، شربهم من النهر، وإليها يقصد حجاج فارس وكرمان. ميراثيان: ذات جانبيين ولها أسواق عامرة في كل جانب جامع. ميراثيان: لها رستاق واسع على نهر يصل إليه المد والجزر وبه قرى كثيرة وأعمال نفيسة. جبي: عمل واسع ذو قرى عامرة وأنهار ونخيل ومنها كان أبو علي رأس المعتزلة. ومن الناس من جعل عبادان من هذه الكورة وإنما هي من العراق. فإن قيل إنما جعلناها من هذا الإقليم لاتفاقهم في اللسان ولأن لها نظائر في هذا الإقليم في القافية، ألا ترى أنك تقول عبادان مثل ما تقول باسيان ميراثيان البذان. فالجواب أما اتفاقهم في اللسان فليس بحجة لأن سواد البصرة كلهم عجم، وأما موافقتها هذه المدائن في آخر أساميها فإن لها أيضا نظائر من مدن البصرة في هذا المعنى مثل بدران رومان وشق عثمان. فإن قيل ما قلناه أول لأن هنا ترجيحا ليس معكم وذلك أنها توافق الإقليم أيضا في هذه العلة ألا ترى أنك تقول خوزستان. فالجواب يجب أن تجري العلة في جميع المعلولات وتعم سائر النظائر. فنقول أن شامان وسليمانان أيضا من خوزستان. فإن ارتكبت ذلك قيل له فما تنكر على قائل يقول أن عبادان من جزيرة العرب لأن لها نظائر فيها وهي عمان نجران سمران. فإذا لم يجر أن نجعلها من الجزيرة من أجل هذه العلة علمت أنها لا تشبه بدليس لما قسناها على تفليس لأننا لم نجد بأقور موضعا على هذه القافية ووجدنا بالرحاب عدة من مدن وقرى.

رام هرمز: قسبة كبيرة بها أسواق عامرة وخيرات كثيرة وجامع بهي عنده أسواق في غاية الحسن. بناها عضد الدولة ما رأيت أعجب منها نظيفة ظريفة قد زوقت وبربقت وبلطت وظللت وجعل عليها دروب تغلق في كل ليلة. يسكنها البزازون والطارون والحصارون، وفي سوق البرز قياسير حسنة شربهم من نهر وأبار والنهر بالنوب. وقد حفت بها النخيل والبساتين، وبها دار كتب كالتي بالبصرة والداران جميعا اتخذهما ابن سوار وفيهما اجراء على من قصدهما ولزم القراءة والنسخ، إلا أن خزانة البصرة أكبر وأعمر وأكثر كتبا، وفي هذه ابدا شيخ تدرس عليه الكلام على مذاهب المعتزلة، ومصلي العيد على طرف البلد بين الدور. وهو بلد نفيس إلا أنهم يحتاجون في ليالي الصيف إلى الكلل مع كثرة البق، يد خفت اطرافها وغلب السلطان على ضياعها. ودخلت على رئيسها ابي الحسن بن زكرياء وقد كان سكن فلسطين مدة مديدة. فقال: لقد ندمت على مفارقة تلك الديار ورجوعي إلى بلد لا أرى به قرّة عيني وإذا به يتوسل ويجتهد أن يعطى من ضياعه التي اخذت منه مقدار قوت فلا يعطى. ثم الطرق إليها صعبة والعرب بها محيطة وترى طباعا ردية ورؤساء وحشية. إيذج: هي اجل مدن الكورة وسلطانها يقوم بنفسه، تكون مثل اسداواذ وسط الجبال يقع بها تلج كثير يحمل إلى الاهواز والنواحي وشربهم من عين شعب سليمان ومزارعهم على الامطار ولهم ماء اخر، كثيرة البطيخ والخيرات وهي في هودة. كوزوك: جبلية أيضا لا يئ تمطع منها العنب كثيرة البنفسج والريحان طيبة. غروة: من المذكورات على ما ذكرنا من العفارات. لاذ: جبلية أيضا. وكل مدن هذه الكورة من هذا الجانب " الواحد وسائر الوجوه بواد.

جمل شؤون هذا الإقليم

هو إقليم حار مياهه معتدلة إلا ماء جنديسابور فانه مع صحته خشن، وهواء السوس غير صحيح وكلما قرب من دجلة بغداد فهو أصح، وبه نخل كثير، وليس به جبل شاهق ولا رمل دهس إلا بين البذان ونهر تيرى ولا يقع به ثلج ولا يتجدد الماء إلا بسواد رام هرمز ويشق أكثره الأنهار يجري في جميعها السفن. قليل النصارى غير كثير اليهود والمجوس، وبه مذكرون لهم جلبة وأدى صيت، وبه متقرون إلا الاهواز ورباطات وتصوف إلا العسكر. وقبلتهم غير صحيحة بخاصة بصنا، ولما عدت منه إلى البصرة قال لي أصدقائي يمزحون أعد الصلوات التي صليتها بخوزستان فانهم يصلونها إلى غير القبلة.

ومذاهبهم مختلفة هو أكثر الإقليم معتزلة أما العسكر فكلهم وأكثر أهل الاهواز ورام هرمز والدورق وبعض أهل جنديسابور، وأما السوس واجنادها فحنابلة وحبية، ونصف الاهواز شيعة، وبه أصحاب ابي حنيفة كثير ولهم فقهاء وأئمة وكبراء، وبالاهاوز مالكيون. ولما دخلت السوس قصدت الجامع في طلب شيخ اسمع منه شيئاً من الحديث وعلى جبة صوف قبرصية وفوطة بصرية فدفعت إلى مجلس الصوفية فلما قربت منهم لم يشكوا إلا وأنا صوفي، فتلقوني بالترحيب والتحية وأجلسوني فيما بينهم وجعلوا يسألونني، ثم بعثوا رجلاً فأتى بطعام فجعلت انقبض عن الاكل وما كنت صحبت هذه الطائفة قبل ذلك، فجعلوا يتعجبون من انقباضي وعدولي عن رسومهم، وقد كنت احب أن اخاط هذه الطائفة وأعرف طريقتهم وأعلم حقائقهم، فقلت في نفسي هذا وقتك هذا موضع أنت به مجهول فانبسبت إليهم فكشفت ثوب الحياء عن وجهي، فمرة كنت ارسلهم وكرة ازعق معهم وتارة اقرأ لهم القصائد وأخرج معهم إلى الرباطات واذهب الى الدعوات حتى والله حللت من قلوبهم وقلوب أهل البلد بحيث لا غاية ووقع لي بها اسم وقصدي الزوار وحملت إلي الثياب والصرر وكنت اخذه وادفعه إليهم برمته في الوقت لأنني كنت غنيا في وسطي نفقة وافرة وأنا كل يوم في دعوة وأي دعوة وكانوا يظنون أنني أفعله زهدا وجعل الناس يتمسحون بي ويذيعون خبري ويقولون لم نر فقيرا قط افضل من هذا حتى إذا وقفت على سرائرهم وعرفت ما أردت منهم هربت منهم في سجو ليلة فأصبحت وقد قطعت ارضا. فبينما أنا يوما بالبصرة وعلي ثوبي و غلام يتبعني إذ رأني رجل منهم فوقف ينظر إلي شبه المتعجب فجزت عليه شبه المنكر. ورسومهم لا يتطلس إلا وجيه أكثرها اردية مربعة والعوام بالمناديل والقوط، ولهم لباقة، وإذا صلى الإمام الغداة بجوامعهم اجتمع عليه الناس فختم بهم ودعا وكذلك بشيراز، والخطباء به يلبسون الاقبية والمناطق على رسم العراق ولا يهللون بعد الجمعة ويلتفت الخطيب يمينا وشمالا ويضجون بالدعاء خلف الصلوات على رسم الشام ومصر. ويدخلون الحمامات بلا ميازر، ويكثرون خبز الارز وركوب البقر ووضع حباب الماء في الشوارع والطرق بين الاجناد على كل فرسخ وربص حمل إليها الماء من بعد. ورسومهم قريبة من رسوم العراق يختارون ما كبر من الفصوص وجل من اللؤلؤ، ولا يرى في الاسلام أصح من موازين العسكر ثم الكوفة.

والتجارات به مفيدة لأن كل سكر تراه ببلدان الاعاجم والعراق واليمن فمن ثم يحمل، ويرتفع من تستر الديباج الحسن والانماط وثياب مروية حسنة وفواكه كثيرة، ومن السوس السكر الكثير وبز والخزوز، ومن العسكر مقانع القز تحمل إلى بغداد وبز جيد له بقاء وثياب القنب والمناديل وغير ذلك مما يرتفق به أهل الاهواز، وستور بصنا وانماط قرقوب معروفة، وتعمل بناحي واسط ستور يكتب عليها مما عمل ببصنا وتخرج خروجها وليست مثلها، ويعمل بالاهاوز فوط من القز حسنة تلبسها النساء، ويعمل بنهر تيرى أزر كبار.

ولهم خصائص ليس مثل مري جنديسابور وحلواء الإقليم، وخز السوس غير العمائم لأن شكب الكوفة لا نظير له، وسكر العنب، وببصنا الانماط والستور الجيدة، وبقول حسنة، ودستنبوي تستر، وقصب السوس، ورطب نهر تيرى في غاية الجودة.

ويقع عصبيات في الاهواز بين المروشييين وهم شيعة وبين الفضليين وهم سنة حروب، وبين أهل البذان وبصنا، وبين أهل تستر والعسكر، وبين أهل تستر والسوس عصبيات من أجل تابوت دانيال عليه السلام، وذلك أنهم ذكروا لما ظهر قبر دانيال عليه السلام جعل في تابوت، فكان يحمل إلى المواضع يستسقي به، قالوا فتباعد التابوت عنا ثم عاد إلى تستر، فضبطوه فبعثنا إليهم عشرة من المشايخ رهائن إلى وقت رده، فلما حصلوه شقوا له هذا النهر وبنوا هذا الازج وخلوا عليه الماء وبقي اولئك الرهائن عندهم، فمن ثم وقعت بيننا هذه العصبيات ومن أجل هذا ذهب قدر مشايخنا إلى اليوم. ومن الإقليم في اللحم والسماك غير الاهواز أربعة أرتال ومن الخبز مكي ومن الاهواز بغداد وفي كل شيء. ونقودهم مثل المشرق الذهب بالدوانيق كل دانق ثمان وأربعون تمونة وهي الارزة، وكل ألف درهم وزنت باصفهان فانها تنقص بتستر خمسة وعشرين، ثم التسترية تزيد على الاهوازية بستة دراهم، وكل مائة دينار وزنت بقزوين فانها تزيد بتستر خمسة وأربعة دوانيق، وكل مائة درهم وزنت بخراسان نقصت بخوزستان درهمين، وليس يعرفون القيراط.

ومكاييلهم المكوك والكر والمختوم والكف والقفيز. فمكوك جنديسابور ثلاثة اماء ونصف، والكر أربعمئة وثمانون، ومختوم الاهواز صاعان وهو ثلاثة أكف، والقفيز سبعة اماء من الحنطة، وكرهم ألف ومائتان وخمسون منا حنطة ويكون ألفا من الشعير.

وليس في اقاليم الأعاجم أفصح من لسانهم وكثيرا ما يمزجون فارسيتهم بالعربية ويقولون أين كتاب وصلا كن وأين كار قطعاً كن، وأحسن ما تراهم يتكلمون بالفارسية حتى ينتقلون إلى العربية، وإذا تكلموا بأحد اللسانين ظننت أنهم لا يحسنون الآخر، وفي كلامهم ظنين ومد في آخره، وإذا قالوا اسمع قالوا ببخش، وشممون الكباد خيمال. ورووس أهل رام هرمز مبلطحة وليس لهم صفاء ولهم لسان لا يفهم. وأخبرنا أبو الحسن مطهر بن محمد الرام هرمزي قال: حدثنا منصور بن محمد قال: حدثنا إسحاق بن أحمد قال: حدثنا محمد بن خالد بن ابراهيم قال: حدثنا أبو عصمة قال: حدثنا اسماعيل بن زياد قال: حدثني مالك الفطان عن خلود بن عمير المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابغض الكلام إلى الله الفارسية، وكلام الشياطين الخوزية، وكلام أهل النار البخارية، وكلام أهل الجنة العربية.

وخراج الاهواز ثلاثون ألف ألف درهم، وكانت الفرس تقسط على جميع الإقليم خمسين ألف ألف درهم. وأما المسافات تأخذ من السوس إلى قرقوب مرحلة ثم إلى الطيب مرحلة.

وتأخذ من السوس إلى بصنا بريدين ثم إلى البذان مثلها. وتأخذ من جندی سابور إلى اللور مرحلة ثم إلى الدز مرحلتين ثم إلى رايكان مرحلة ثم إلى كل بايكان فرسخاً مفازة ثم إلى كرج أبي دلف مرحلة. وتأخذ من تستر إلى قرية الرمل مرحلة ثم إلى بصنا مرحلة. وتأخذ من العسكر إلى الحصن مرحلة ثم إلى الحصن أيضاً مرحلة ثم إلى رام هرمز مرحلة. وتأخذ من العسكر إلى تستر أو إلى الاهواز مرحلة مرحلة. وتأخذ من جنديسابور إلى السوس أو إلى تستر مرحلة مرحلة ومن بيروت إلى السوس أو البذان مرحله مرحلة. وتأخذ من الاهواز إلى شوراب بريداً ثم إلى مندم مرحلة ثم إلى قصبه الدورق مرحلة. وتأخذ من الاهواز إلى سوق الاربعاء مرحلة ثم إلى حصن مهدي مرحلة ثم إلى فم العضدي مرحلة ثم أنت في دجلة العراق. وتأخذ من حصن مهدي إلى بيان في سبخة على الظهر مرحلة. وأعلم أن نهر الاهواز ودجلة يفيضان إلى بحر الصين بينهما هذه السبخة، وكان الناس في القديم يذهبون في النهر إلى البحر ثم يعودون فيدخلون من البحر إلى دجلة ثم إلى الابله، وكانوا على خطر وفي تعب حتى شق عضد الدولة نهراً عظيماً من نهر الاهواز إلى نهر دجلة طوله أربعة فراسخ والطريق اليوم فيه. وتأخذ من الاهواز إلى أجم مرحلة ثم إلى أزر مرحلة ثم إلى رام هرمز مرحلة. وتأخذ من الاهواز إلى الدورق مرحلة ثم إلى خان مرحلة ثم بصنا مرحلة ثم إلى قرية الرمل مرحلة ثم إلى قرقوب مرحلة. ولها طريقان اخراوان. وتأخذ من الاهواز إلى نهر تيرى مرحلة ثم إلى نهر العباس رحلة ثم إلى الخوزية مرحلة ثم تركب الماء إلى الابله مرحلة. وتأخذ من الاهواز إلى الاسحاقية مرحلة ثم إلى الجسر المحترق مرحلة ثم إلى حصن مهدي مرحلة. وتأخذ من نهر العباس إلى عسكر ابي جعفر مرحلة ثم تعبر إلى الابله وهي طريق الدواب. وتأخذ من رام هرمز إلى سنبل مرحلتين ثم إلى ارجان مرحلة. وتأخذ من رام هرمز إلى تيرم مرحلة ثم إلى غروة مرحلة ثم إلى البازير بريدين ثم إلى إيذج مرحلة ثم إلى الدز مرحلة ومن الدز إلى الدولاب مرحلة ومن الرام إلى الزط مرحلة. وتأخذ من رام هرمز إلى بده مرحلة ثم إلى جسر جهنم مرحلة.

إقليم فارس

هذا إقليم تراهه معادن وجباله مشاجر شوكة العنزروت ومن أغنامه البازهر الموصوف، وعيونه الموميائي المعروف. وإليه تنسب الثمانية اقاليم به نخل واترنج وزيتون وربياس واقصاب وعكوب، وجوز ولوز وخرنوب. وبه تعمل الايراد والخزوز، والبسط الصنيعة واليزوز. والاكسية العجيبة والستور وثياب كتان تشاكل القصب وديباج وأنواع من الحال. به المنازه المذكورة، والقصبات المشهورة. والمدن الطبية كفسا وشعب بوان، وسابور ونوبندجان. ودارابجرد الجليلة الشأن، ولا يخفى فضل سيراف وارجان. وباصطخر العجائب والبنيان وقد جلت جور على البلدان. بماورد واسباب، وشابهت سابور سغدا باضراب، وزادت عليها بزيتون واترنج واقصاب. فهي اشجار وأثمار وأنهار. ففارس إقليم جليل طيب كثير الخيرات، ومعدن التجارات. وقال لي يوماً أبو الحسن المؤملي كيف وجدت فارس. قلت: وجدتها اشبه الاقاليم بالشام لانها تجمع اعداد الثمار وبه جروم وسرود ومعدنات، وجبال مشجرة عامرة وعسل وزيتون وبركات، لم ارها بعد الشام إلا بفارس إلا انه معدن الجور والفساد كثير العقارب وحش اللسان ثقيل الضرائب حار الأطراف بارد الصرود، ورسوم المجوس به ظاهرة وأكثر الضياع مقطعة عمره فارس بن طهمورث. وهذا شكله ومثاله.

وقد جعلنا فارس ست كور وثلاث نواح فالولها من قبل خوزستان أرجان ثم أردشير خرة ثم درابجرد ثم شيراز سابور ثم إصطخر والنواحي: الرودان، نيريز، خسو. فأما أرجان فانها كورة جليلة سهلية جبلية بحرية كثيرة النخيل والتين والزيتون والدخل والخيرات. يحكى عن عضد الدولة انه قال غرضي من العراق الاسم ومن أرجان الدخل. وأرجان كان ابن قرقيسيا بن فارس غضب على ابيه ورحل من اقور فكورت له هذه الكورة وأضيف إليها بعض مدن أردشير خره وغيرها، وان قويت مقالة من جعل رام هرفز من فارس فيجوز أن تكون من المضافات وقد ردت الآن إلى خوزستان. وقصبة أرجان على اسمها ومن مدنها نحو البحر: قوستان، داريان، مهربان، جنابة، سينيز، وفي الجبال جومة، هندوان. وأما أردشير خره فانها كورة قديمة رسمها نمرود بن كنعان ثم عمرها من بعده سيراف بن فارس اكثرها ممتد عثى البحر شديدة الحر قليلة الثمار قصبها سيراف ومن مدنها: جور، ميمند، نابند، الصيمكان، خير، خورستان. الغندجان، كران، سميران، زيرباذ، نجيرم، نابندون، سورو، رأس كشم. وأما درابجرد فانها كورة نفيسة عمرها درابجرد بن فارس وبها كان المصر في القديم، وكان ينزلها الملوك، كثيرة المعادن جليلة الخصائص طيبة الهواء، قصبها على اسمها ومن مدنها: طبستان، الكردبان، كرم، يزدخواست، المسكانات، زم، شهریار، كدر، وا، اوجين، إيك، ولها ناحية نيريز مدنها: خيار، المريزجان، المادوان، وناحية خسو مدنها: روبنج، رستاق الرستاق، فرج، تارم، ومن المدن ذات الرستاق الجليلة جويم ابي احمد، الإصبهانات، سنان، برك، ازبراه. وأما شيراز فانها لم تكن في القديم كورة وانما كانت مدينة بناها شيراز بن فارس إلا أن المسلمين مصروها لما فتحوا الاقليم واستطابها الملوك فنزلوها وهي في الدواوين إلى اصطخر مضافة غير اني قد اضفت إليها مدنا كثيرة وكورتها لأن بها المصر الأعظم والدولة لها والدواوين إليها، وهي كثيرة الجبال معتدلة الهواء قصبها على اسمها ومدنها: البيضاء، فسا، المص، كول، جور، كارزين، دشت بارين، جم، جوبك، جمكان، كورد، بجه، هزار، أبك. وأما سابور فانها كورة نزيهة قد اجتمع في البستان الواحد منها النخل والزيتون والاترنج والخرنوب والجوز واللوز والتين والعنب والسدر وقصب السكر والبنفسج والياسمين. وترى الأنهار جارية والثمار دائية والقرى ممتدة تمشي الفراخ تحت ظل الأشجار مثل سغد وعلى كل فرسخ خباز ويقال قريبة من الجبال اسم قصبها شهرستان ومن مدنها: دريز، كازرون، خره، النوبندجان، كاريان، كندران، توز، زم الأكراد، جنبد، خشت. وأما إصطخر فانها اوسع الكور كثيرة المدن كبيرة الاسم عمرها اصطخر بن فارس ومن مدنها: هراة، ميذ، مائين، الفهرج، الحيرة، فاروق، سروسن، أسبا نجان، بوان، كرمان، شهربايق، اورد، الرن، خرمة، ده أشران، ترك نيشان، صاهه، شبابك.

أرجان: قصبة شديدة العمارة كثيرة الخيرات جليلة المدن سرية الأهل تجمع الثلج والرطب، والليمو والعنب. هي معدن التين والزيتون، وبها يعمل الدبس الفائق والصابون. خزانة فارس والعراق ومطرح خوزستان واصفهان بها نهر غزير يشق البلد وجامع حسن عامر على طرف الأسواق به منارة طويلة ظريفة، بنيانهم حجر غير مؤلف وبه سوق البزازين على عمل سوق سجستان عليه أبواب تغلق كل ليلة وهو صفوف مصلبة والأبواب من الأربعة جوانب يقابل بعضها بعضا ولا ترى أحسن من سوق الحنطة بها، نظيفة طيبة في الشتاء قد غابت في النخيل والبساتين وأبارها حلوة وقل ما شئت في الخبزات والأسماك والثلج والرطب إلا انها في الصيف جهنم ويملح ماء النهر من وقت العنب إلى وقت المطر، ولا ترى النساء في بلد اغن منهن بها. لها ستة دروب درب الأهواز درب ريشهر درب شيراز درب الرصافة درب الميدان درب الكيالين. وهي من فتوح عثمان بن أبي العاصي والجامع من بناء الحجاج. جومة: صغيرة شربهم من نهر، اسم رستاقها بلا سابور، وهي جبلية نزيهة شبه غوطة دمشق. يقال أن سابور بن فارس كان يختارها على جميع البلدان التي عمرها بخراسان وخوزستان وثم مات وقبر.

الديرجان: مدينة رستاق ريشهر متولسطة رحبة. بيران: مدينة سنبل وكانت من خوزستان في القديم. هندوان: من نحو البحر ذات جانبين الجامع والسوق من قبل أرجان وبقية الدور وسوق السمك في الجانب الاخر من نحو البحر. داريان: لها سوق عامر ورستاق واسع. سينيز: على نصف فرسخ من البحر فوق مهربان لها سوق طويل يدخل إليها خور تجري فيه المراكب والجامع ناء عن السوق ودار الامارة متقابلة كثيرة القصور. مهربان: على البحر والجامع على الشط ولهم ماء ضعيف وهي فرضة الكورة وخزانة البصرة عامرة جيدة الأسواق. جنابة: أيضا على خور أسواقها بازقة والجامع وسط البلد شربهم من آبار مالحة وبرك ومنها كان أبو سعيد وأبو طاهر القرمطي.

سيراف: هي قصبة أردشير خره وكان أهلها حين عمارتها يفضلونها على البصرة لشدة عمارتها وحسن دورها وظرف جامعها ولباقة اسواقها ويسار أهلها وبعد صيتها وكانت حينئذ دهليز الصين دون عمان، وخزانة فارس وخراسان. وعلى الجملة ما رأيت في الإسلام أعجب من دورها ولا أحسن قد بنيت من خشب الساج والأجر شاهقة تشتري الدار الواحدة بفوق المائة ألف درهم ثم أنها خفت لما ولى الديلم وانجلوا إلى سواحل البحر وعمرها قصبة عمان ثم جاءت زلزلة سنة و فقلقتا وحركتها سبعة أيام حتى هرب الناس إلى البحر وتهدم أكثر تلك الدور وتقطرت وصارت آية لمن تأملها وعبرة لمن اتعظ بها. وسألتهم

ما الذي صنعتم حتى رفع الله حلمه عنكم. قالوا: كثر فينا الزنا، وفشا فينا الربا. قلت: فهل اعتبرتم بما أرى. قالوا: لا. وحدثت عن نسانهم بشيء قبيح. ورأيت أهل فارس مع كثرة فسقهم يضرّبون بهم الأمثال وأخبرت أنهم قد أخذوا في العمارة وقد بدت ترجع إلى ما كانت، وهي باب جهنم من شدة الحر، والماء يحمل إليها من البعد ولهم قناة صغيرة عذبية، وفواكهم قليلة موضوعة بين الجبل والبحر وما حولها فأرض قفر، بالقرب منها نخيلات. زيرباد: على رأس الحد من قبل كرمان على البحر بها قلعة مارأيت أعجب منها، شربهم من آبار ضعيفة ما كان أحلى منها فعليه باب لخاصية الأميركلما نضب بئر تحولوا إلى آخر.

نجيرم: بحرية أيضا بها جامعان قد نقر قاعة أحدهما في الصخر، وعنده سوق خارج البلد، شربهم من آبار وبرك تملأ من المطر. كركم: عامرة والجامع على رابية على رأس السوق يصعد إليه في درج خشب. كاريان: صغيرة إلا أن رستاقها عامر وبها بيت نار يعظمونه ويحملون ناره إلى الأفق. رأس كشم: صغيرة لها سوق واسع الجامع فيه يصعد إليه بدرج. سورو على رأس حد كرمان بحرية صغيرة وقد بدت تعمر لأن حمولات عمان إليها ونفر كرمان ترفع منها، شربهم من ماء يقبل من الجبل فيجتمع في موضع فإذا انقطع حفروا ذلك الموضع نحو خمسة أذرع فيخرج عليهم ماء حلو.

دراجرود: قسبة نفيسة لها مدينة حصينة ذات بساتين ونخيل وثلج وأضداد عدة، حسنة الأسواق معتدلة الهواء، ولهم آبار وقني في وسطها قبة المومياء وتل فيه مسجد الجامع وبعض الأسواق في المدينة وبقيتها بالربض وهو جانب واحد، وسوق البز شبه خان له بابان، وللمدينة أربعة أبواب، دورها فرسخ مكسر، وعلى قبة المومياء باب حديد وقد وكل رجل بحفظه فإذا كان شهر مهرماه صعد العامل والقاضي وصاحب البريد والعدول وأحضرت المفاتيح وفتح الباب ثم دخل رجل عريان فيجمع ما نزل في تلك السنة ولا يبلغ رطلا على ما سمعت من بعض العدول ثم يجعل في شيء ويختم عليه ويبعث مع عدة من المشايخ إلى شيراز ثم يغسل الموضع فكل ما ترى في أيدي الناس فأنما هو معجون بذلك الماء ولا يوجد الخالص إلا في خزائن الملوك. فرج: مدينة غير كبيرة إلا أن بها جامعا وحماما ليس لهما بالإقليم نظير وهي كثيرة الخير وسط البلد قلعة على تل والماء من ناحية. برك: في هودة على فرسخين من الجبل والجامع على جانب السوق حسن نظيف شربهم من قني. جويم أبي أحمد: من الأمهات سعة رستاقها عشرة فراسخ تحوطه الجبال كله نخيل وبساتين شربهم من قني ونهر صغير جانب السوق وبين الجامع والسوق زقاق طويل وهو على تشرة حسن يصعد إليه بخمس درجات وسطه حوض يملأ من ماء المطر يخرج منه في كل يوم قدر الحاجة ظريف. رستاق الرستاق: صغيرة ليس لسوقها ذلك الكبر إلا أن رستاقها أربعة فراسخ في مثله كله بساتين ومياه وأشجار شربهم من نهريدخل عليهم. تارم: على رأس حد كرمان جامعهم ناء عن السوق وشربهم من شعبة نهريدخل عليهم لها بساتين ونخيل وبها عسل كثير. نيريز: كبيرة الجامع إلى جانب السوق شربهم من قني ورستاقهم عشرون فرسخا في مثلها. ولم أدخل بقية المدن ولكن أخبرت إنهن سريات طبيبات جليلات الرسوم.

شيراز: هو مصر الإقليم بليذ ضيف حديث، لسان وحش ورسم سخيف لا رئيس معتمد ولا شارع فسيح ولا عالم أديب. عدولهم لوطية، وتجارهم فسقه، وسلاطينهم ظلمة. من الضيق في الأسواق يزدحمون، وأكثرهم يقولون ما لا يفعلون. تراهم يدخلون الحمامات بلا ميازر وتنطح رؤسهم الرواشن ولا ترى على مجوسي غيارا، ولا لصاحب طيلسان مقدارا. ولقد رأيت أهل الطيالس سكارى، ويلبسه المكدون والنصارى وبه دور الزنا ظاهرة، ورسوم المجوس مستعملة. ولا تسمع الخطبة من صباح السؤال، وفي المقابر مجتمع الفساق، وفي أعياد الكفرة تزين الأسواق. وضربت على الحوائث الضرائب الثقيل. ومنع الخارج منه إلا بجواز، وحبس الداخل والمجتاز. وصعب العيش به وضعف الخراج، لم يذوقوا برد العدل ولا سلوكوا المنهاج. مزارعهم تسقي بالدلاء، والأعاب والتين فبالغلاء. وخبزا حسنا فلا ترى، وهم من قصر الرواشن في بلاء. وسير بهيمتين في سوق واحد فلا، أهل طنز ومراء إلا أنه معتدل الهواء، طيب في الصيف وفي الشتاء. وماء خفيف إذا شربت مما جرى، ومياه الأبارحولة قريية المستقى. أهل يسار وتجارة وتعطف على الغرباء، لهم خصائص وصناعات وعقل ودهاء. ومعروف وصدقات وبهاء، ومشايخ ووجوه وتناء إسناد لولا لحن المستملي وصاحب الإملاء، كثير الصوفية ومجالس القراء. ولهم غدوات الجمع ختمات لها نور وبهاء، وجامع لا نظير له في الثمانية أقاليم له يوم الجمعة سماء. باساطين على عمل المسجد الأقصى، وبه دار إمارة إليها المنتهي. ولهم كشيستان نيسابور بيت قري، نظيفة الأطعمة والهرانس لا الشواء، قد اشتهر بالاكسية والبرود ودار المرضى. ولها ثمانية دروب باب اصطرخ درب تستر درب بنداستانه درب غسان درب سلم درب كوار درب مندر درب مهنذر، وهي نحو دمشق في الرقعة وضيق الدور، قريب من بناء الرملة بالحجارة، وشبه بخارا في البلاذة، الجامع في الأسواق وجانب منه إلى البزازين والبيمارستان بعيد منه له وقف جليل وبه آلات حسنة وأطباء حذاق، وباصفهان آخر أعمر منه، وباب اصطرخ يشبه أبواب منى بمكة وله مياه تجري غير نظيفة، فلا آبارهم بالخفيفة. أحسن موضع منه باب اصطرخ وباب الجامع، وأخف مياههم القناة التي تجري من جويم وتدخل دار عضد الدولة وأبعد الجبال إليها

على فرسخ وأقرب الحطب إليها على مرحلة، وكان عضد الدولة قدأضاف إليها محلة كبيرة فسيحة بأسواق حسنة وقد تعطلت. كرد فناخسرو: فناخسرو هو عضد الدولة وقد خط على نصف فرسخ من شيراز مدينة وشق إليها نهرا كبيرا أجراه من مرحلة أنفق عليه الأموال العظيمة وهو الذي يجري في سفلى داره وجعل إلى جنبها بستانا سعته نحو فرسخ ونقل إليها الصوافين وصناع الخز والديباج وكل بركان يعمل اليوم بها. ألا ترى إلى اسمها عليه مكتوب واتخذ بها القواد دورا حسنة وعقارات جلييلة وجعل لها عيدا في كل سنة يجتمع فيه للفسوق واللهم والآن قد خفت بعد موته وأشرفت على الخراب وبطل سوقها. فسا: ليس في الإقليم أنزه ولاأطيب ولا أجود أهلا ولاأحسن فواكه منها لها مدينة كبيرة فيها سوق كله من خشب، الجامع فيه وهو من أجر أكبر من جامع شيراز له صحنان على عمل جامع مدينة السلام بينهما سقيفة، وقل في طيبها وخيراتها ما شئت، وبها خشب سرو مثل ما بيلد الروم. نسا: يسمونها البيضاء نظيفة نظيفة طيبة على الوجه الآخر بها جامع حسن ومشهد يقصد. دشت بارين: مدينة لا رستاق لها ولا بساتين ولا نهر ولا آئين شربهم من مياه ضعيفة بجه: كبيرة وسط الجبال بناؤهم حجارة والجامع في السوف سعة رستاقها مرحلتان يقع بها تلوج. هزار: صغيرة لها رستاق واسع شربهم من قني ظاهرة. كول: عامرة الجامع في اليزازين والقصابين والخبازين ومن الوجه الآخر ميدان شربهم من نهر. جور: مدينة طيبة نزيهة حسنة رحبة نظيفة، معدن الورد والخصائص اللطيفة. بها منارة محكمة أنيفة، ومع ذلك فهي بلدة حصينة وسطها قلعة عالية نظيفة. رستاقها نحو من مرحلة خفيفة، ضياعها محدقة بها ليفة. شربهم من نهروقني لهم نظيفة، هي أحد المنازل والمنازل الأليفة. ومع ذلك بالخافقين بزورها معروفة. وكان اسمها بالفارسية كور يوافق اسم القبر فكان إذا خرج إليها عضد الدولة قبل ملك بكور رفت يعني قد ذهب الملك إلى القبر فكره ذلك فقلب اسمها إلى أحسن ما يكون وسماها بيروزاباد - يعني في أتم دولة.

شهرستان: هي قسبة سابور وقد كانت عامرة أهلة طيبة واليوم قدأختلت وخرب أطرافها إلا أنها كثيرة الخيرات ومعدن الخصائص والأضداد بلد الأترنج الحسن والأدهان والقصب والزيتون والعنب أسعار رخيصة البان كثيرة وبلدة نزيهة وبساتين وعيون غزيرة ومساجد محفوظة وحمامات طيبة وخانات عدة وزهد ومعرفة وتلج وفواكه متضادة. قد اعبقت بساتينها بروائح الياسمين، واجتمع بها الرطب والتين. ووجد بها الخرنوب الغريب بناؤهم حجر وجص والجامع خارج البلد وسط البساتين حسن لطيف. لها أربعة أبواب باب هرمز باب مهر باب بهرام باب شهر. وعليها خندق والنهر دائر على القسبة كلها يعبر على جسور وعلى طرف البلد قلعة تسمى دنبلا قدامها مسجد وفي وسطها أخربه حجر أسود مفروش وسطه محراب يروون أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه، وثم مسجد الخضر عم بقرب القلعة حبس جاهلي حيطانه بالمرمر، وهي موضوعة في لحف جبل لها شعبان كلاهما بساتين وأشجار وقرى. وخارج البلد قنطرة عظيمة كانت وقت كوني بها منقطعة، ولهم سوق يسمونه العتيق. قد اختل وخرب وخف البلدوقل أهلها واذهبت كازرون دولتها. ومع ذلك ماؤهم ثقيل، وكل مصفر عليل، وليس بها عالم جليل. دريز: مدينة صغيرة بها سوق جيد وصناع كتان كثير. كازرون: عامرة كبيرة هي دمياط الأعاجم وذلك أن ثياب الكتان التي على عمل القصب وشبه الشطوي، وأن كانت من عطب تعمل بها وتباع فيها إلا ما يعمل بتوز، ثم هي كلها قصور وبساتين ونخيل ممتدة عن يمين وشمال، وبها سماسرة كبار وسوق كبير جاد وخيرات وثمار وعمارات وأشجار، ومعظم الدور والجامع على تل يصعد إليه والأسواق وقصور التجار تحت. وقد بنى عضد الدولة دارا جمع فيها السماسرة دخلها على السلطان كل يوم عشرة آلاف درهم. وللمسامسة في البلد قصور حصينة حسنة. وهذا الرستاق تشابهه رساتيق سجستان كله مزارع وحصون متصلة ونخيل وليس بها نهر مداد إلا قني وأبار. خره: مذكورة على رأس جبل كثيرة النخيل، والنهر تحت البلد، معدن التمر والناطف. النوبندجان: مدينة نزيهة لها ذكر وشان، قد زانه قصر أبي طالب عيان. والجامع والمياه والبستان، وعشرون عينا تنبع في كل مكان. وأسواق كبيرة عامرة حسان، وأعشاب وأرطاب و نارنج ورمان. وعلى فرسخين منها شعب بوان، وعلى منزل مدينة تمدح بأسمان. وهي في سهلة قريبة من الجبال ورايتهم قد زادوا في الجامع من قدام. إلا أن أمامهم جاهل والقضاة اثنان، فهذا ما عرفناه من جديدة بندجان ثم لا ينظرون مع ذاك في عواقب الزمان. خوراواذان: صغيرة إلا أنها عامرة رقيقة والعيش بها هنيء. ألا ترى كيف جمعت اسمين الهون والعمارة، ابها سوق جاد والجامع عامر وخيرات وأشجار وأنهار تخترقها حتى أن بعض الحوانيت علتها. جنب ملغان: مدينة وسط النخيل لها سوق طويل وجامع بهي يصعد إليه في درج إلى جنب السوق ليس حوله بناء، شربهم من قني وفي البلد حياض وهي على رأس الحد في سهلة تحت الجبال. ملغان قرية من حدازجان خربة. كندران: كبيرة فيها قلعة ينزلها السلطالت، شربهم من ماء المطر ومن آبار، والجامع إناء عن السوق. توز: صغيرة الرسم كبيرة الاسم من أجل الثياب التي تعمل بها من الكتان ألا تراه يسمى توزيا وأكثره يعمل بكازرون هؤلاء أحقق وأحسن عملا، لهم نهر كبير يجري على جانبها وبين الجامع والسوق زقاق، وهي بعيدة عن الجبال. خشت: وسط الجبال لها رستاق واسع وقلعتها مذكورة وسوقها عامر شربهم من نهر كبير. زم الأكراد: لها رستاق ونهر وهي وسط الجبال ذات بساتين ونخيل وفواكه وخيرات.

إصطخر: قصبة قديمة مذكورة في الكتب مشهورة في الخلق كبيرة الاسم جليلة الرسم إليها كانت الدواوين في الأصل غير إنها حاجب في هذا العصر خفيفة الأهل صغيرة الوضع شبهتها بمكة لأن لها شعبين ويتصل بها جبلان، الجامع في الأسواق على عمل جوامع الشام باساطين مدورة على رأس كل أسطوانة بقرة ذكروا إنه كان في القديم بيت نار، والأسواق محدقة به من ثلاثة جوانب، وفي وسط البلد شبه واد وعلى باب خراسان قنطرة عجيبة وبستان حسن ومن ثم يقبل النهر، بناوهم طين ولهم مشارع إلى النهر وحياض في البلد وليس الماء في أعلى البلد بوسع وماؤهم غير صحيح لأنه يجري على مزارع الأرز، كثيرة الحبوب والرمان والخيرات إلا أن فيهم حمقا. هراة: مدينة صغيرة فيها الجامع وحوانيت يسيرة ودور قليلة ومعظم الأسواق والعمارة بالربض، ولهم نهر كبير يتخلله، وللمدينة باب واحد، وقد أحرق بالجميع البساتين الحسنة، بها تفاح جيد وزيتون وسائر الفواكه، إلا أن ماءهم ثقيل ويقال أن نساءهم يغتلمن إذا أزهرت أشجار الغبيراء كما تغتلم السنانير. جرما: كبيرة لها سوق عامر الجامع بقربه، على السوق بابان شربهم من قتي ظاهرة على وجه الأرض. ده أشتران: صغيرة قربها قرية ولها جامع به منارة طويلة في سوق صغير، والنهر تحت البلد وحولها بساتين حسنة. بوان: واسعة الرستاق وسط الجبال يشقها نهر وهي جانبان بلا بساتين. تركنیشان: صغيرة سعة رستاقها نحو مرحلة شربهم من نهر. كورد: عامرة معدن الجوز والثمار جبلتة شربهم من نهر. مهرجاناواذ: لها رستاق واسع شربهم من أنهار. مائين: على جادة أصفهان عامرة كثيرة الفواكه. سرورستان: الجامع وسط البلد جبلية وقيهم ظاهرة. صاهه: صغيرة وهم قوم جيد فيهم رفق بالغرباء وحذف في كتبة المصاحف. كته: على طرف المفازة شديدة البرد قليلة الفواكه. خرمة: لها رستاق واسع وثم رخص وبها قلعة شربهم من قني وتحتها نهر. برقوه: محصنة مشتبكة العمارة كثيرة الأهل وجامع جيد. فرعا: بقرب هراة رخيصة الأسعار. كره: مثل هراة، ولم ترتب مدن هذا الإقليم. جرمق: أخصب هذه المدن وأرخصها أسعارا وأكثرها أشجارا على جادة المفازة. برم: في سهولة لها رستاق يسقي من الأبار وهي حصينة القصور. أرد: فيها حصن عظيم ولها ربض عامر يسمنونها الحر وتعد في مدن أصفهان. الروذان: كانت من نواحي كرمان وكان لها ثلاث مدائن: أناس أذكان أبان. فأما أناس فقد بقيت على رأس الحد ومدينتها بكرمان ليعتدل حدود الإقليم وتستوي التخوم، وقد أعتدل هذا الإقليم وتربع بهذه الناحية من هذا الجانب وبأصفهان من الجانب الآخر وبقيت أكثر كورة اصطخر بينهما وعلى قصبة الروذان حصن منيع بثمانية أبواب باب أناس باب بيروي باب خور مرداواذ باب نسرين باب مهمان باب شيراز باب كيخر والثامن باب مايفنا ورايته مسدودا، وبها جامع لطيف حسن يصعد إليه بدرج مبسوط بالحصى وكل مساجدهم عالية كثيرة الأساكفة والمعتزلة، وحماماتهم وسخة، وهي معدن القصارين والحاككة، حولها بساتين حسنة ومقابر عالية بقباب عجيبة وألبان كثيرة وقني عدة منها ما يدخل المدينة وثم عين يستشفى بمانها، وعلى السور شرف وليس لها ربض وهي خفيفة الأهل وقد أحاط بها الرمال.

جمل شؤون هذا الإقليم

أعلم أن بفارس صرودا لا يثمر فيها الأشجار من شدة البرد ولا يعيش فيها الزرع مثل الأردالرون والرهنان وأطراف أصطخر، وجروم لا يمكن النوم فيها بالنهار من شدة الحر مثل سيراف وأرجان، وما بينهما ويقع الأعتدال بين الحدين وما فيها من البلد مثل شيراز ومدنها وأطراف سابور، والتلج موجود في جميعه يحمل من القرب والبعد الغالب عليه الجبال أكثرها مشجرة والزريعة قليلة وفيه خفة، وبه منازة حسنة وقلاع منيعة وعجائب كثيرة وخصائص غريبة ومعادن جليلة وفواكه لذينة. المجوس به أكثر من اليهود وبه نصارى قليل وبه مجذمون قليل. ولم أر بلدا أكثر عورا من كازرون والمفاليج بشيراز كثير.

والعمل فيه على مذهب أصحاب الحديث وأصحاب أبي حنيفة رحه كثير، وللدواوية دروس ومجالس وغلبة ويتقلدون القضاء والأعمال، وكان عضد الدولة يعتقد أكثر الفقهاء من الثلاثة مذاهب معتزلة، والشيعية بسواحله كثير.

ومن رسومهم إذا صليت العصر كل يوم جلس العلماء للعوام إلى المغرب وكذلك بعد الغداة إلى ضحى، وأيام الجمع يجتمعون في غير موضع، وطابت شيراز بجامعها والصوفية به كثير ويكبر في جوامعهم بعد الجمعة ويلتقت على المنبر بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويؤذن بين يديه جميعا بلا تطريب، ولا يشهد إلا عدل. ويلبس العوام ثياب السود ويكشفون الصوف ويكثرون التللس ويسطلون العمائم وليس لأهل الطيالسة بشيراز مقدار إنما هو لأصحاب الدرايع، وكما يرفع بالمشرق العلماء هاهنا ترفع الكتبة. وللشوائين دكاكين على حدة. وبنينهم إذا ألقت الحجارة حسن وإذا كانوا في عملها وحش. وجلست يوما إلى بعض البنائين أعني بشيراز وأصحابه ينقشون بمعاول وحشة وإذا حجارتهم على نخانة اللين فإذا اعتدلت قدروها ثم خطوا خطأ وقطعوه بالمعول فرما انكسرت البلاطة فإذا اعتدلت أقاموها على حدها. فقلت لهم لو أتخذتم مسفنة وربعم الأحجار وأحكيت لهم بناء فلسطين وطارحتهم مسائل في البناء. فقال لي الأستاذ أنت مصري قلت: لا بل فلسطيني. قال:

سمعت أن عندكم تخزم الأحجار لهما يخرم الخشب. قلت: أجل. قال: أحجاركم لينة ولصناعكم لطافة. ورأيت لهم أعمالاً عجيبة وخفاً واتقاناً لم أرها بسائر الأقاليم مثل رأس السكر وجسر دخويذ وأبي طالب عملت في هذا العصر يعجز عن مثلها كل بناء بالشام واقور. وأكثر جوامعهم بأساطين. والبيت الداخل من الحمام لا يمكن فيه المكث من الحر. وسمعت بعض غلمان والدي رحه يقول: تبغس أبو الفرج الشيرازي في الحمام الذي بناه بأبواب الأسباط لأنه أدخل النار تحت بعض البيت الداخل وليس كما قال ولكنه رأى رسوم الشام في هذا الباب تخالف رسوم فارس فجعل بعض البيت على رسوم إقليمه وبقيته على رسوم الشام. وقل ما يلبسون الميازور وربما حرسه النساء ولا يطرح القضة إلا في موضع واحد. ويأخذون الميت سلاً ويمشي الرجال قدام الجنازة والنسوان خلف، وبخوزستان يمشون من الناحيتين ويقومون الزمر والطبل في المواتيم وفي المقابر. ولا يعرف في أقاليم الأعاجم الخروج إلى المقابر لختم القرآن وإنما يجلسون للتعزية في المساجد ثلاثة أيام ويكثر فيه لبس الشمشكات والنعال ويلين فيه القلب أدنى شيء ببوسة. ويصلون التروايح في مرتين ويقدمون فيها الصبيان ويعيدون مع المجوس في النيروز والمهرجان. ودور الزنا بشيراز ظاهرة بقبالات.

وعدهم على شهور الفرس أولها فرودين ماه، أردبهشت، خرداذ، تيرماه، مرداذ، شهرير، مهر، آبان، آذر، دي، بهمن، أسفندارمذ. ولكل يوم من الشهر اسم عليها تاريخات الدواوين مثل أيام الجمع بسائر الأقاليم أولها هرمز، بهمن، أردبهشت، شهرير، أسفندارمذ، خرداذ، مرداذ، ديباذر، آذر، آبان، خور، ماه، تير، جوش، ديبهر، مهر، سروش، رشن، فرودين، بهرام، رام، بادوأمأ التجارات فيرتفع من أرجان الدبس الفائق والصابون الجيد والتين والزيت والقوط وثياب الكندكية والبريهار. ومن مهربان الأسماك والتمور والقرب الجياد. ومن سينيز ثياب تشاكل القصب ربما حمل إليهم الكتان من مصر وأكثر ما يعمل اليوم من الذي يزرع عندهم. ومن سيراف الفوط واللؤلؤ وأزر الكتان والموازين والبريهار. ومن درابجرد كل شيء نفيس من الثياب المرتفعة والوسط والدون وما يشاكل الطبرستان وحصر تشبه العباداني والبسط الجيدة وستور سوزن جرد والبزر الكثير والتمر والدوشاب والزنبق الطيب. ومن فرج الثياب والبسط والستور والدبس الجيد والبزر والكتان. ومن تارم الدوشاب والتمور والقرب والسطائح والدلاء الحسان والمراوح الكبيرة. ومن جهرم البسط والستور والأنماط المحكمة. ومن شيراز الأكسية البركانات لا موضع لها غيره والمنيرات التي لا شبه لها في الكد مع رقة وحسن والأبراد الجياد ويعمل به خز وديباج وقصب وحلل. ومن فسا ثياب القز تحمل إلى الأفاق وأكسية حسان رفاق وأنماط وبسط وفوط ومنيرات تشاكل الأصفهانية والوشي والستور المثمنة والفروش الرفيعة والستور الأبريسمية والعصفر والموائد والخركاهات ومناديل الشرايية وغير ذلك. ويعمل بسابور عشرة أدهان دهن بنفسج ونيوفر ونرجس وكارده وسوسن وزنيق ومرسين ومرزنجوش وبإدرنك ونارنج وفواكه كثيرة وجوز وزيت وأترنج وقصب سكر والصفصاف تحمل الأدهان إلى البعد والفواكه إلى مصر. ومن كازرون ثياب القصب وكذلك من توز ودريز وتلك النواحي وديقي ومناديل مخملة تحمل إلى الأفاق الثمانية وبينها وبين الشطوية بون عظيم. ومن جور وكول الماورد الذي لا نظير له وثياب كثير. ومن إسطرخر الأرز والمأكولات. ومن الرودان ثياب تشاكل اليمي وأديم أجود من الاطرابلسي والقرب والشمشكات. ولا نظير بشيراز للإجاص العمري والبركانات والمنيرات ودوشاب أزجان وبها شجر مثل الشوك العنزروت نواره. وكذلك بنواحي سابور وبها هملختات جياد. ومن درابجرد ملح الطبرزد والنفطي وجميع الألوان. وفي نهرهم سمك لا عظم له. وفي جبال نيريز عنزروت أيضاً ومنها الشنباذة وحجر المغنيسيا. وبنواحي شيراز ربحان ورقه مثل ورق السوسن دخلة يشبه النرجس وخيار له مثل شوك القنفذ وبنيت بها زعفران وأرزن. وبفساتين حسن وسرو عجيب وسفرجل نادره معادن الموميائي بدرابجرد وبارجان أيضاً موضع آخر. وبنيريز معادن حديد وطن أبيض يكتب به الصبيان الواهم وطن أسود للختم. بين شيراز وسابور حلتيت كثير. وبه عجائب بطرف أرجان نار تشتعل بالليالي وتدخن بالنهار. يخرج من آبار في جبال فسا ماء ينبع من جبل من مثل ضرع تحته حفرة يجتمع فيها ينفع من قد يبس من الريح. ثم مياه إذا شرب منها الإنسان عناه كما يعني الدواء. ولهم طلسم متى ما ظهر بدابة داء حمل إلى ذلك الموضع فتطوف في الأرض طوفة ثم تنام على الأرض وتضع بطنها عليها فإما أن تموت أو تستريح في الوقت. على فرسخ من أصطرخ ملعب سليمان يصعد إليه في مدرجة حسنة من حجارة وشم أساطين سود وتمائيل ومحاريب وأعاجيب على عمل ملاعب الشام تحته عين ماء قالوا من شرب منها خرج منه بقايا الخمر منذ أربعين يوماً، وبين الأساطين حمام ومسجد سليمان إذا جلس الإنسان في هذا الملعب كانت الضياع والمزارع بين يديه مد البصر. قد سكر عضد الدولة النهر الذي بين شيراز وأصطرخ بحائط عظيم جعل أساسه بالرصاص فتبخر الماء خلفه وارتفع، فجعل عليه من الجانبين عشرة دواليب على ما ذكرنا من خوزستان وتحت كل دولا ب رجا فهو اليوم من عجائب فارس، وبنى ثم مدينة وجرى الماء في قني فاسقى ثلاثمائة قرية. وفي هذا الرستاق تفاح بعضه حلو وبعضه حامض. بسابور خادم من حجر أسود متوشح بازار مكتوب على عضده بالفارسية قائم وسط الطريق وسطه تسعة أشبار وطوله قامة وذراع. على فرسخ من النوبندجان صورة سابور على باب كهف عليه تاج تحته ثلاثة أوراق خضر طول مشط رجليه ثلاثة عشر شبراً ومن رأسه إلى قدميه أحد عشر ذراعاً خلفه ماء واق لا مد له ولا منفذ وشم ريح تخرج شديدة. وعلى نصف فرسخ من باب شهر حوض ينبع منه ماء ثم

يفترق أنهارا ماء صاف كالزلال يسمى سروشير. بقرية عبد الرحمان اشبه بئر أيوب بابليا. بسابور جبل قد صور فيه كل ملك ومرزبان بعرف للعجم. بمورجان كهف يقطر من سقته ماء أن دخل رجل لم يخرج إلا بما يكفي لرجل وأن كانوا ألفا فيما يكفيهم. بجور بركة على باب البلد وثم قدر نحاس عظيمة يخرج من فيه أعلى تلك القدر ماء عظيم. بصاهك بئر لا يقف له على قعريفور منه ما يديررحا ويسقي تلك القرية. بالغندجان نهر بين جبلين يخرج منه دخان لا يمكن أحدا أن يقربه وأن أجتاز به طائر سقط فيه فاحترق.. في بحر سيراف موضع عبرنا به فانحدر بعض الملاحين فغاصوا في البحر ومعهم قرب ثم خرجوا وقد ملؤها ماء عذبا فسألتهم فقالوا عين تخرج في قعر البحر. على نصف فرسخ من كازرون قبة قالوا هي وسط الدنيا. بنواحي اصطخر تلال زعموا إنها رماد نار إبراهيم عم. وبه قناطر عجيبة محدثة وجاهلية، ومياهه غزيرة و. به أنهار عدة فأما نهر طاب فإنه يخرج من جبال أصفهان ويمد على تخوم الإقليم إلى أرجان وعليه السكة تعبر على قناطر غير مرمرة. ونهر شيرين ونهر الشاذكان ونهر درخيد ونهر خوبدان ونهررتين ونهر إخشين ونهر سكان ونهر جرسيق ونهر الكر ونهر فرواب ونهر تيرزة هذه أمهات الأنهار. وأما البحيرات فخمس بحيرة البختكان نحو عشرين فرسخا مالحه بكورة اصطخر، وبحيرة دشت أرزن بكورة سابور عشرة فراسخ عذبة ربما جفت وعمامة سمك شيراز منها، وبحيرة كازرون عشرة فراسخ مالحه منشعبة فيها صيد ومنافع، وبحيرة الجنكان نحو اثني عشر فرسخا يعملون في أطرافها الملح بكورة أردشير خرة، وبحيرة الباشفوية ثمانية فراسخ مالحه عليها بردي وأجام. وأما بحر الصين فإنه يمد على تخوم الإقليم الجنوبية كلها. وبه من أحياء الأكراد ثلاثة وثلاثون الكرمانية الرامانية مدثر حي محمد بن بشر الثعلبية البندامهرية حي محمد بن إسحاق الصباحية الإسحاقية الأدركانية السهركية الطهمادنية الزبادية الشهروية المهركية البنداقية الخسروية الزنجية الصفرية المباركية استامهرية الشاهونية الفراتية السلمونية الصيرية الازدادختية المطلبية الممالية الشاكانية الجليلية، وهم خمس مائة بيت. وأما القلاع فباصطخر قلعة عظيمة سعة رأسها فرسخ فيها حياض ماء وأميرراتب وباعة وبها خزائن عدة من الملوك وأموال جاهلية. وبشيراز قلعة بناء عضد الدولة أنفق عليها أموالا جمة وحفر فيها بئرا في الجبل إلى أسفله. وبنسا وكنه وفسا وقرية اللأس ودرابجرد وجنبد وأرجان وزيرباد وبعض وسط الجر وذكر إبراهيم بن محمد الفارسي إنها تبلغ خمسة آلاف قلعة. وزمومه خمسة أكبرها زم أحمد بن صالح يعرف بالديوان ثم زم شهريار يعرف بزم البازنجان وهم الذين في ناحية أصفهان من هذا القوم ناقلة من هذا الزم ثم زم أحمد بن الحسن ويعرف بزم الكاريان وهوزم اردشير خرة. يخرج منه دخان لا يقف له على قعريفور منه ما يديررحا ويسقي تلك القرية. بالغندجان نهر بين جبلين يخرج منه دخان لا يمكن أحدا أن يقربه وأن أجتاز به طائر سقط فيه فاحترق.. في بحر سيراف موضع عبرنا به فانحدر بعض الملاحين فغاصوا في البحر ومعهم قرب ثم خرجوا وقد ملؤها ماء عذبا فسألتهم فقالوا عين تخرج في قعر البحر. على نصف فرسخ من كازرون قبة قالوا هي وسط الدنيا. بنواحي اصطخر تلال زعموا إنها رماد نار إبراهيم عم. وبه قناطر عجيبة محدثة وجاهلية، ومياهه غزيرة و. به أنهار عدة فأما نهر طاب فإنه يخرج من جبال أصفهان ويمد على تخوم الإقليم إلى أرجان وعليه السكة تعبر على قناطر غير مرمرة. ونهر شيرين ونهر الشاذكان ونهر درخيد ونهر خوبدان ونهررتين ونهر إخشين ونهر سكان ونهر جرسيق ونهر الكر ونهر فرواب ونهر تيرزة هذه أمهات الأنهار. وأما البحيرات فخمس بحيرة البختكان نحو عشرين فرسخا مالحه بكورة اصطخر، وبحيرة دشت أرزن بكورة سابور عشرة فراسخ عذبة ربما جفت وعمامة سمك شيراز منها، وبحيرة كازرون عشرة فراسخ مالحه منشعبة فيها صيد ومنافع، وبحيرة الجنكان نحو اثني عشر فرسخا يعملون في أطرافها الملح بكورة أردشير خرة، وبحيرة الباشفوية ثمانية فراسخ مالحه عليها بردي وأجام. وأما بحر الصين فإنه يمد على تخوم الإقليم الجنوبية كلها. وبه من أحياء الأكراد ثلاثة وثلاثون الكرمانية الرامانية مدثر حي محمد بن بشر الثعلبية البندامهرية حي محمد بن إسحاق الصباحية الإسحاقية الأدركانية السهركية الطهمادنية الزبادية الشهروية المهركية البنداقية الخسروية الزنجية الصفرية المباركية استامهرية الشاهونية الفراتية السلمونية الصيرية الازدادختية المطلبية الممالية الشاكانية الجليلية، وهم خمس مائة بيت. وأما القلاع فباصطخر قلعة عظيمة سعة رأسها فرسخ فيها حياض ماء وأميرراتب وباعة وبها خزائن عدة من الملوك وأموال جاهلية. وبشيراز قلعة بناء عضد الدولة أنفق عليها أموالا جمة وحفر فيها بئرا في الجبل إلى أسفله. وبنسا وكنه وفسا وقرية اللأس ودرابجرد وجنبد وأرجان وزيرباد وبعض وسط الجر وذكر إبراهيم بن محمد الفارسي إنها تبلغ خمسة آلاف قلعة. وزمومه خمسة أكبرها زم أحمد بن صالح يعرف بالديوان ثم زم شهريار يعرف بزم البازنجان وهم الذين في ناحية أصفهان من هذا القوم ناقلة من هذا الزم ثم زم أحمد بن الحسن ويعرف بزم الكاريان وهوزم اردشير خرة.

وتأخذ من التيز إلى قصدار على الساحل في طول مكران مرحلة. ومن المنصورة إلى ديبيل مراحل ومن المنصوشة إلى الملتان مرحلة ومن المنصورة إلى أول حد البدهة مراحل ثم إلى التيز مرحلة.

ومن الملتان إلى غزنين فرسخا في براري ومفاوز يلحق الحمل مائة وخمسون درهماً غير الكراء وربما قطعوها في ثلاثة أشهر. ومن الملتان إلى المنصورة الطريق في قرى وعمارات فرسخا ومائة في مفازة قليلة العمارة.

وتأخذ من المنصورة إلى قزدار فرسخا ثم إلى كنكابان مثلها ثم إلى سيوه مثلها ثم إلى مدينة ولاشتان مثلها ثم إلى ساغن فرسخا وسطها منبر ثم إلى غزنين مرحلة.

وتأخذ من قزدار إلى مشكى فرسخا ثم إلى جالق فرسخا ثم إلى خواص مثلها ثم إلى سراي شهر فرسخا ثم إلى نهر سليمان مثلها ثم إلى درهفان فرسخا ثم إلى جبرفت مثلها. ومن الملتان إلى بالس مراحل ثم إلى قنابيل ثم إلى قصاروه ومن قنابيل إلى المنصورة أو إلى الملتان مفاوز ومن المنصورة إلى قامهل مراحل ثم إلى كنباية مراحل ثم إلى سوبارة مثلها وهي على فرسخ من البحر، ومن سندان إلى سيمور مراحل ثم إلى سرنديب مرحلة. ومن الملتان إلى بسمد مرحلتان ثم إلى الرور مراحل ثم إلى أنرى مراحل ثم إلى قلري مرحلتان ثم إلى المنصورة مرحلة ثم إلى قامهل مرحلة.

المفازة التي بين هذه أقاليم

أعلم أن بين أقاليم الأعاجم إلا الرحاب وخوزستان مفازة قد توسطتها، طولانية ليس بها نهر يجري ولا بحيرة ولا رستاق ولا مدينة، قليلة السكان كثيرة الدعار صعبة المسلك مبعضة الأعمال وحشة الجبال متباعدة القرى، مكامن ممتنعة وسبل منقطعة وعيون ضعيفة إلا أن الحياض والقباب في طرقها كثيرة وفراسخها قريبة وفي مواضع منها سبخا ورمال ومياه وغدران، قفرة مخيفة أكثرها من خراسان وبعضها من كرمان وبعض من فارس والجبال ومن بلد السند وسجستان، ومن أجل هذا كثر الدعار بها لأنهم إذا قطعوا في عمل هربوا إلى آخر وكمنوا في جبل كركسكوه أو سياه كوه حيث لا يقدر عليهم ولا يمكن الوصول إليهم، وليس بها من المدن إلا أسفيد وهي في حدود سجستان ويحيط بها من المدن المعروفة من كرمان خبيص زاور نرماسير كوه بيان، ومن فارس يزد كثة عقدة زرد، ومن أصفهان أردستان، ومن الجبال قم قاشان دزه، ومن قهستان طبس كري قاين خور، ومن الديلم بيار.

ومثلها كمثل البحر كيف ما شئت فسر إذا عرفت السمك إلا أن الطرق التي قد مثلناها في الشكل قد اشتهرت وسلكت من أجل الحياض والقباب المعمولة فيها. ولو أنا ... حتى نذكر جميع طرقها ومخارجها لتعجب الناظر من ذلك، وأن منها لطرقا تخرج إلى بيار وخسر وجرود ومواضع لا يؤبه بها. ولقد خرجنا من طبس نريد فارس فمكثنا فيها سبعة أيام نعدل من ناحية إلى ناحية مرة نفع في طريق كرمان وتارة نقرب من أصفهان فرأيت من الطرق والمعارج ما لا أحصيه وهي جبال كلها رمال قليلة وعقاب هينة وسبخا صعبة وسرود وجرود ونخيل وزروع، ورأيت أسهلها وأعمرها طريق الري، وأصعبها طريق فارس، وأقربها طريق كرمان، وكلها مخيفة من قوم يقال لهم الففص يسيرون إليها من جبال كرمان قوم لا خلاق لهم وجوه وحشة وقلوب قاسية وبأس وجلادة لا يبقون على أحد ولا يقتنعون بالمال حتى يقتلوا من ظفروا به بالأحجار كما تقتل الحيات، تراهم يكسون رأس الرجل على بلاطة ويضربونه بالحجارة حتى يصدع. وسألتهم عن ذلك قالوا لا تفسد سيوفنا ولا يفلت أحد إلا ندر. ولهم مكامن وجبال يمتنعون بها وكلما قطعوا في عمل هربوا إلى آخر قتالهم بالنشاب ومعهم سيوف. وكان البلوص أشد منهم حتى أبادهم عضد الدولة وأنكى في هؤلاء أيضا وعند صاحب فارس منهم أبدا أمة رهائن يذهب قوم ويرجع آخرون وإذا كان مع القوافل بذرة من قبل سلطان فارس لم يتعرضوا لهم. وهم اصبر خلق الله على الجوع والعطش، زادهم شيء مثل الجوز يتخذ من النبق ينقوتون به. يدعون الإسلام وهم أشد على المسلمين من الروم والترك، إذا أسروا الرجل أمره بالعدو معهم نحو عشرين فرسخا حافي القدم جائع الكبد. ولا يرغبون في الدواب ولا يتعاطون الركوب إنما هم رجالة وربما ركبوا الجمازات، حدثني رجل كان من أهل القرآن وقع في أيديهم. قال: وجدوا كتبنا وطلبوا في الأسارى رجلا يقرأ فقلت أنا فحملوني إلى رئيسهم فلما قرأت الكتاب قربني وجعل يسألني عن أشياء إلى أن قال ما تقولون في ما نحن فيه من قطع الطريق والقتل. قال: قلت من فعل هذا أستوجب من الله المقت والعذاب الأليم في الآخرة. قال: فتنفس الصعداء وأنقلب على الأرض وقد أصفر وجهه ثم أعتقني مع جماعة. وسمعت جماعة من التجار يقولون أن عندهم أنهم لا يظفرون إلا بأموال لا تزكى ويرون أن ما يأخذونه حق لهم واجب. والجبال أعظمها وأمنعها كركسكوه إليه ينسب ما واجه الري من هذه المفازة وليس هو بالكبير غير إنه منقطع المرتقى ذو معاطف ومخابئ خفية. ويليها فيما ذكرناه سياه كوه وهو دونه في الكبر غير أنه منيع ويقع طريق الري بينهما عند قصر الجص وثم جوف وبها من العجائب على فرسخين من رأس الماء نحو خراسان حجارة سود صغار نحو أربعة فراسخ. عند قبر الحاجي نحو بارسك حصى صغار بعضها في لون الكافور بياضا

وبعضها في لون الزجاج خضرة. بين خراسان وكرمان صورة لوز وتفتح وعدس وباقلى من حجارة وصورة عدة من الناس وقصر عجيب فيه تماثيل وعقود دقيقة وهو أعجوبة لم أر مثله.

وأما صفة المنازل التي ابتدأنا بذكرها دير الجص: وهو من أجر كل اجرة مثل اللبنة العظيمة واسع كثير المرافق عليه أبواب حديد وعلى بابه بقال مقيم وحياض الماء خارج منه مدورة يجتمع فيها ماء المطر غير أني رأيته شعنا. كاج: كانت قرية على رابية وقد خربت وانجلى أهلها أظن من الققص، وتفترق منها الطرق واحدة هي التي ذكرنا وفيها عبرنا والأخرى إلى قم مرحلة ثم إلى قرية المجوس مرحلة. بدرة: حصن لها مزارع وبها نحو من خمسين دارا. رباط ابن رستم: به ماء جار إلى حوض في الرباط. دانجى: قرية كبيرة عامرة. وهذه أعمار طرق المفازة لأنها على تخوم الجبال. ومن كركسكوه إلى الدير أربعة فراسخ ومنه إلى سياه كوه خمسة. ولم أسلك طريق نيسابور إلى أصفهان إلا أنهم يذكرون أنها أنيسة مسلوكة وبها رمال صعبة. رباط كوران: حصن به من يحفظه وخارج منه عين مالحه يشربونه. أرزمة: ثلاثة أبار لا تقي بالقوافل الكبار. الهلبي: عين ضعيفة عندها رباط خرب. رباط آب شتران: هو معدن الخوف ومأوى الكوج به قناة عذبية تصب إلى بركة. والرباط حسن، ما رأيت ببلدان الأعاجم أحسن منه من الحجارة والجص على عمل حصون الشام عليه أبواب حديد وهو شديد العمارة وفيه قوم يحفظونه، بناه ابن سيمجور صاحب جيش ملك المشرق. بشت بادام: شبه قرية كل شيء فيه موجود به مزارع واسعة وأغنام كثيرة وقناة غزيرة وجمال مسافر وفيه فرج ومغوثة. ساغند: قرية عامرة أهلة. خزانة: قرية فيها حصن ومزارع وزرع وضرع ونحو مائتي رجل وبيساتين. الزاور: قرية عامرة عليها حصن وبها ماء جار من حد كرمان. دركوجي: بها عين ضعيفة وليس بها عمارة. شور دوازده: رباط قد خرب وثم واد فيه أشجار ونخيل بلا ساكن مخوف جدا. در بردان: صحراء بها أبار بلا أنيس وبعده منزل به حوض يمتلى من الأمطار بلا أنيس. نابند: رباط يسكن وحوله بيوت عدة وماء يدير رحي صغيرة ومزرعة ونخيل. بئر شك: بها بئر حلوة بلا أنيس وقباب متصلة وحياض عامرة وقيل نابند نخيلات وخرب قباب. دارستان: قرية فيها نخيل بلا عمارة. نيمه: رباط فيه من يحفظه. قرية سلم: بها أبنية مد البصر متهدمة ليس بها عين ولا حوض ولا أنيس وهي من كرمان. رأس الماء: به عين تنز إلى حوض وتسقي مزرعة. كوكور: قرية عامرة من قهستان. بيرة: قرية صغيرة بها نفر من الناس. معزل: عين ماء ولا ترى به ديارا ولا عمارة. جاه بر: بئر عندها قباب مثل بئر شك وثم حوض. ومعزل أخرى وهي قباب وحوض ماء. وأما أسفيد فأنها من مدن سجستان في الدواوين غير إنها في حدود هذه المفازة بها قني ومزارع كثيرة عامرة أهلة فهذا المعروف من المنازل المشهورة في الطرق المذكورة وأن ذكرنا البنيات وما فيها من القرى والمياه طال الكتاب وأقل مرحلة مما ذكرنا إلا وفيها حياض وقباب على كل فرسخ منها حوض أو قباب على بيوت يلجأ إليها في الأمطار. ولا ترى في هذه المفازة رباطا غير ما ذكرنا، وليس بها أهل غير بشت بادام، والخبز والعلف في غيره متعذر وإنما يجب أن يحمل ويتزود لها زاد ستة أيام. وطولها على السواء ستون فرسخا أو نحوها. وفي طريق الري نهريخاض عظيم ينحدر إلى خوزستان وموضع شديد البرد في جميع السنة.

فهذا ما عرفنا من أقاليم الإسلام وشاهدنا وسمعنا وصح عندنا من وصف البلدان نسأل الله العفو والغفران إنه رحيم منان. فرحم الله عبدا نظر في كتابنا فاستحسنه أو رضيه واستصوبه إلا دعا لنا بنية صادقة وطلبة خالصة أن لا يجعله علينا وبالا يوم نسأل عن الصغير والكبير والدقيق والجليل، حين لا ينفع عذر ولا تنذيل، ولا يغني صديق ولا خليل، إلا من أتى الله بقلب سليم، وعمل لذلك الموقف العظيم، وخاف من ذلك الخطب الجسيم، يوم يجثو الأنبياء على الركب، وينقطع كل سبب ونسب. وقال: مصنفه في وداعه

كتاب كالألى والربيع ... وكالعقيان والروض المريع

كذلك فيه ذكر الأرض طرا ... بديعا ثم سمي بالبديع

أقاليم البلاد وكل أرض ... وكل جزيرة مثل الصديع

فجاج الأرض من عدن وشام ... وسوس الغرب بالنبأ الرفيع

منابعها وغدران القيافي ... وما في الأرض من طود منيع

وأثمار الأقالم بعد نخل ... مع الحرف العجائب بالجميع

فمنها مارأيت وجست فيها ... ودخت نهارها بعد الهزيع
ومنها ما أثرت له حديثا ... عن الشعبي يؤثر أو وكيع
ذكرت بدائع الأمصار شتى ... وكل مدينة مثل الصديع
وميزت البحور بفضل علم ... ونجربة كتميز القطيع
وأسنه الورى جيلاً فجيلاً ... لغات العرب عن لغة الشنيع
متاجر كل إقليم وأرض ... وهيأت الرقيق المستبيع
مشاكل كل إقليم مثال ... لقد جاءوا بطوق المستبيع
لتنظر في أعاجيب البرايا ... وما في الأرض بالوشى الوليع
ويعلم قدرة الديان حقا ... وإبداع المهيمن والسميع
ويعبده عباده مستكين ... وعبد في عبادته مطيع
يذيع أيادي الرحمن طرا ... لمفضال الورى دأب الذيع
فإن إذاعة الإحسان تنمو ... إلى الرحمن من قول المشيع
وصغت أجيل فيه الفكر جهدي ... رجاء الخلد في يوم فظيع
وغفران الذنوب بعفو ربي ... و من نار و من فزع و جيع
فدونك حكمة كالدرا حسنا ... أبا حسن وزير ابن الرفيع
مقدسة تبص بصيص شذر ... من الياقوت ألف للقريع

تم والحمد لله وحده